مؤلف جماعي:

منطقة تساوت:

التاريخ، المجال، المجتمع، والتنمية وتثمين الرأسمال اللامادي.

الجزء الأول

تنسيق

عبد المجيد السحنوني رشيد شحمي

محمد كنتيتي عبد الرحيم عياد

الطبعة الأولى

مؤلف جماعي

منطقة تساوت:
التاريخ، المجال، المجتمع، والتنمية وتثمين الرأسمال اللامادي

تنسيق:

- عبد المجيد السحنوني
- رشيد شحمي
- ذمحمد كنتيتي
- عبد الرحيم عياد

الطبعة الأولى

عنوان الكتاب: منطقة تساوت: التاريخ، المجال، المجتمع، التنمية وتثمين الرأسمال اللامادي

المؤلف: مؤلف جماعي

رقم الإيداع القانوني: 2024MO4743

ردمك: 978-9920-28-773-9

طبعة: 2024

المطبعة : SO-ME PRINT Agadir

الهاتف: 88 79 22 28 05

البريد الإلكتروني: contacsome@gmail.com

© جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

لجنة التحكيم

- د. إبراهيم أزوغ، جامعة مولي الحسن الأول سطات.
- د. حسن رامو، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- د. حميد أجميلي، جامعة ابن طفيل، المغرب.
- د. خالد الرامي، جامعة عبد المالك السعدي تطوان.
- د. خالد أوعسو، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء.
- د. عالي واعزيز، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. عبد المجيد السحنوني، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. عبد المجيد أمريغ، جامعة ابن زهر أكادير.
- د. عبد النور صديق، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. محمد أبيهي، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. محمد المغبر، جامعة القاضي عياض مراكش.
- د. مولي إسماعيل الناجي، جامعة ابن زهر أكادير.
- دة. خديجة اليعقوبي القباقبي، جامع القاضي عياض مراكش.
- دة. رتيبة ركلمة، جامعة ابن زهر أكادير.
- دة. عبد الرحيم خالص، جامعة ابن زهر أكادير
- دة. فاطمة بوشمال، جامعة مولي سليمان بني ملال.
- دة. عزيزة خرازي، جامعة مولي سليمان بني ملال.

- د. أنوار أصبان، أكاديمية التربية والتكوين مراكش.
- د. هشام بويزكارن، اكاديمية التربية والتكوين بني ملال.
- دة. سناء زعيمي، أكاديمية التربية والتكوين مراكش.

محتوى الكتاب

تقديم 1

إبورك يونس:

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ليهود ملاح السراغنة زمن الجوع (1944- 1945) 3

لحسن الصديق:

الصراع القبلي في حوض تساوت ما قبل الاستعمار: قبيلتا انتيفا وولتانة نموذج 17

رشيد عابدي:

تاريخ الولاية والصلاح في بلاد تساوت: من المقاربة الوظيفية إلى المقاربة الأنثروبولوجية 35

توفيق عدية، عبد العزيز العربي، عبد الصادق بلفقيه:

التغايرية المناخية وتواتر سنوات الجفاف وتأثيرها على الموارد الترابية بحوض تساوت 51

الملوكي محمد توفيق، عبد الصادق بلفقيه، عبد العزيز العربي:

دور جمعيات مستعملي مياه السقي في التدبير الاجتماعي للماء حالة تساوت السفلى بإقليم قلعة السراغنة 66

ازرورة ياسين:

الإعداد الهيدروفلاحي ومساهمته في استدامة الإنتاج الفلاحي بالمجال السرغيني.....84

فيصل حياني، محمد الأكلع:

الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية بِمَدينَة قَلعَة السَّرَاغِنة 106

نورالدين الحباش

دينامية إحداث التجهيزات الراقية الخاصة وإعادة تشكيل العلاقات الترابية الحضرية، نموذج المدن الصغرى بمنطقة تساوت الوسطى (الحوز الشرقي). 130

قاسمي أمين، محمد الأكلع

الإدارة الرقمية ورهانات التنمية الترابية -جماعة قلعة السراغنة نموذجا- 146

الجيلالي لكتاتي:

الذكاء الاصطناعي والبناء الافتراضي للمعالم التاريخية: منطقة السراغنة زمران نموذجا 171

Khanniba Abdelilah -Benbouya Hassane

Détection de changement spatiale du couvert végétal (1987-2014) et ses impacts sur la stabilité des terrains du bassin versant de l'oued Ourous...... 185

تقديم

عرفت تساوت الكبرى العديد من التحولات العامة؛ إذ تميزت منذ القديم باستقرار سكاني، جعلها تعرف دينامية وحركية مستمرة ميزت المنطقة بتراث مادي ولا مادي غني.

وتعود تسمية المكان إلى اسم واد ي "تساوين" مر من المنطقة قادم من أعلى جبال غجدامة، ويعني بالأمازيغية نهر الحجر أو النهر الذي يصدر صوات قوية، ويرى آخرون أن أصله الأمازيغي يعني الأطراف والتخوم.

أما على المستوى التاريخي فقد عرف مجال تساوت عدة تطورات، تتنوع بين الامتداد والتراجع، وبين القوة والضعف، بسبب الوقائع التاريخية التي مرت منها المنطقة باعتبارها مجاورة لمدينة مراكش التي حظيت باهتمام الدول المتعاقبة على حكم المغرب. ومن أبرز التحولات التي عرفتها منطقة تساوت هي تأسيس مدينة قلعة السراغنة، باعتبارها عاصمة لتساوت، كما قال الباحث الحسن شوقي: "**إذا كانت مصر هي هبة النيل، فالسراغنة هي هبة تساوت**". وقد لعبت هذه القلعة منذ تشييدها دورا استراتيجيا تمثل في مراقبة القبائل المجاورة لها وضبطها، إلى جانب دورها التجاري؛ حيث كانت مركز مرور واستراحة للقوافل القادمة من الجنوب نحو فاس.

ويزخر هذا المجال بالعديد من الموارد الطبيعية القادرة على خلق دينامية بهذه المنطقة وتحقيق التنمية بها، وهو ما جعلها وجهة لاستقرار التيارات البشرية المتنقلة خاصة خلال سنوات الوفرة؛ إذ يسهم توفر المياه بهذه المنطقة وخصوبة أراضيها، في ارتفاع الكثافة السكانية بها، وتعايش العديد من التيارات البشرية المختلفة، حسب العرق (أمازيغ وعرب) وحسب الديانة (مسلمين، يهود، نصارى)، كما تتميز المنطقة بالنشاط الفلاحي الذي يعتبر نمط عيش سكان تساوت بامتياز، واشتهرت بزراعة الشعير والقمح والدخن، بالإضافة إلى أنشطة حرفية وصناعية أخرى.

واشتهرت المنطقة عبر تاريخها كقبلة للأولياء؛ إذ لا تزال قبورهم المنتشرة بمجالها شاهدة على ذلك. ولعل أصل تسمية المدينة بالسراغنة وهي كلمة أمازيغية تعني الشرفاء، كما انتشرت بالمنطقة بدور القرآن وكانت الحناجر تصدح بقراءته وتعليمه.

إن راهنية التنمية الشاملة والمستدامة لثروات البلاد البشرية والطبيعية لأي منطقة لا تتم إلا بالبحث في أصول البنيات والتنظيمات والعلاقات والمشاكل التي تعرفها المنطقة عبر التاريخ، من أجل معرفة الثابت والمتغير منها ومن أجل الوقوف على العوامل المنظمة لها والمتحكمة فيها، ومن أجل أن يكون موضوع التنمية مبني على حلول واقعية وصحيحة. لذلك كان موضوع هذا الكتاب وهدف لجنة التنسيق ينصب في هذا الاتجاه وهو أن يكون ركيزة أي دراسة تنموية للمنطقة. وحيث أن عمق الدينامية المجالية والخصوصية التاريخية للمنطقة،

والخوف من تلاشي آثارها المادية وغير المادية المشكلة لها، جعلنا نهتم بتوثيقها في كتاب جماعي، يؤرخ لهذه التحولات، ويشخص واقعها الحالي، ويساعد في وضع استراتيجية محلية لتنمية هذه المنطقة.

يحتوي الكتاب مجموعة من المساهمات التي أدل بها ثلة من الباحثين المهتمين بالتاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، والذين خصصوا مساهماتهم العلمية لأجل النبش في ذاكرة وتاريخ ومجال تساوت الكبرى عبر مواضيع مختلفة من زوايا ورؤى ومقاربات متعددة بغيت تسليط الضوء على أهم القضايا التي تستدعي التدخل من أجل تنمية مستديمة.

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ليهود ملاح السراغنة

زمن الجوع (1944-1945)

يونس إبورك، باحث بسلك الدكتوراه

مختبر المغرب في محيطه المتوسطي والإفريقي،

جامعة شعيب الدكالي -الجديدة

الملخص:

تهدف هذه المقالة إلى دراسة بعض الجوانب المتعلقة بالوضعية الاجتماعية والاقتصادية ليهود السراغنة إبان أزمة عام الجوع الناتجة عن جفاف سنوات (1944-1945)، انطلاقا من اعتماد وثائق الأرشيف الفرنسي والمراسلات الخاصة بممثلي الطائفة اليهودية (Communautés Israélites de El Kelaa des Sraghnas)خلال الفترة الاستعمارية؛ إذ تصور هذه الوثائق واقعا رهيبا حول بؤس الحياة، وانعدام الموارد الاقتصادية داخل ملاح قلعة السراغنة، ومعاناة اليهود مع الجوع وانتشار الأمراض والأوبئة، فتدخلت السلطات الاستعمارية الفرنسية والجمعيات اليهودية الأوربية لتقديم المساعدات الغذائية للمحتاجين والفقراء. لكن الدعم المقدم ليس كافيا، ولم يحل دون هلاك أبناء اليهود وهجرة الأقارب لذويهم، ضمن الظواهر الاجتماعية الشادة التي تلازم سلوك الأفراد في مثل هذه الأزمات.

الكلمات المفاتيح: الجفاف -اليهود – الجوع – الفترة الاستعمارية – الملاح -الفقر.

Abstract:

The present article seeks to investigate specific elements of the social and economic circumstances experienced by the Jewish population of El Kelaa des Sraghnas amidst the famine crisis resulting from the drought in the years 1944-1945. Utilizing French archival records and communications of the representatives of the Jewish community (Communautés Israélites de El Kelaa des Sraghna) from the colonial era, this research portrays a stark portrayal of the hardships endured, the economic destitution within the Jewish quarter (Mellah) of El Kelaa des Sraghna, and the afflictions faced by the Jews including starvation, illnesses, and outbreaks of diseases. Efforts were made by the French colonial authorities and European Jewish organizations to offer food assistance to the indigent and impoverished individuals. Nonetheless, the aid extended through the Poor Relief Fund was inadequate and failed

to avert the fatalities of Jewish children or the emigration of family members, phenomena that commonly arise alongside individual actions during such critical situations.

Keywords: Drought - Jews - Famine - Colonial Period - Mellah - Poverty.

مقدمة

شهد المغرب خلال الفترة الاستعمارية أزمة غذائية قاسية، تظافرت لإنتاجها عوامل متعددة، منها ما هو طبيعي وما هو سياسي، إذ ساعد جفاف مواسم 1944 و1945 في تهيئ البلد للدخول إلى دوامة مجاعة قاتلة، أنهكت بنية الإنتاج التقليدية القائمة على إذخار السكان لفائض محاصيلهم الزراعية للسنوات الخصبة، لاستهلاكها زمن الانتكاسات المائية التي كانت ملازمة لمناخ المغرب المعاصر. ساهم دخول فرنسا لمعترك الحرب العالمية الثانية في استنزاف مدخرات المغاربة من الحبوب والمواد الفلاحية ما بين سنتي 1940 و1943، فتضاءلت المواد الأساسية الغذائية في الأسواق، فعمت المجاعة معظم المناطق المغربية الساحلية والهامشية، ونال الجوع من المسلمين واليهود معا على حد سواء، وتسبب في خلق تناقضات عميقة في بنية الاقتصاد وسلوك المجتمع. فانطلاقا من هذا الاعتبار ستحاول هذه المقالة تعقب الوضعية الاجتماعية والاقتصادية ليهود ملاح قلعة السراغنة، اعتمادا على الإشارات الواردة في بعض الوثائق التاريخية الأجنبية الخاصة بالأرشيف الفرنسي بنانت Nantes، لمحاولة استقاء المعلومات الكافية حول وضعية يهود ملاح قلعة السراغنة إبان مجاعة (1944-1945)، إذ تصور بعض المراسلات العسكرية الفرنسية واقعا رهيبا عاشه يهود ملاح القلعة، في خضم انعدام الموارد الاقتصادية، وتسلط القحط والمجاعة.

ففي ظل ندرة المعلومات المتعلقة بيهود ملاح قلعة السراغنة في المصادر التاريخية المعاصرة، وقلة الأبحاث التي تناولت الموضوع بالدراسة، سيركز هذا العمل على تحليل المعطيات الواردة في مراسلتين مكتوبتين باللغة الفرنسية، حول وصف حالة المجاعة بالملاح أواخر دجنبر 1944، ونهاية يناير 1945، حيث لا نجد معطيات كثيرة حول الجماعة اليهودية بقلعة السراغنة، مقارنة بمثيلاتها في ملاحات أخرى مجاورة كدمنات ونتيفة وبادية فطواكة.

إن اقتصار هذه الدراسة في الاعتماد على الوثائق الأجنبية الفرنسية التي تضم الرسائل، والتقارير الخاصة برئيس الطائفة اليهودية بملاح قلعة السراغنة، ليست وليدة صدفة معينة، بقدر ما هو محاولة لتعقب واقع وأثر الجوع على اليهود في الزمن القصير، بتوظيف منهجية تاريخية رصينة، تعتمد على وصف وتفسير ونقد الحدث التاريخي من جميع جوانبه، ووفق الرصيد الوثائقي المتوفر لدينا.

- ما هي أسباب مجاعة (1944-1945) خلال الفترة الاستعمارية؟

- كيف تصور الوثائق الأجنبية الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ليهود ملاح قلعة السراغنة خلال مجاعة (1944-1945)؟

- ما هي الإجراءات المتخذة من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية والجمعيات اليهودية لإنقاذ سكان ملاح قلعة السراغنة؟

أولا: وضعية المغرب خلال الفترة الاستعمارية إبان مجاعة (1944-1945)

عرف المغرب خلال الحقبة الاستعمارية تعاقب ثلاث أزمات جفاف شديدة ترتبت عنها مجاعات قاتلة، أثرت سلبا على نمط عيش السكان المسلمين واليهود، وأحدثت نزيفا ديموغرافيا كبيرا وكسادا اقتصاديا مدمرا للأعمال التجارية والحرفية في معظم قرى وحواضر البلد، إذ اضطر المغاربة إلى تناول أغذية محضورة ومحرمة لسد رمق جوعهم أثناء دروة هذه الكوارث الطبيعية. وهكذا تعرضت البلد لأول حالة جفاف خلال الفترة الاستعمارية بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1912، تلاها جفاف أواخر الثلاثينيات، الذي لم يكن أثر وقعه كبيرا على المغاربة، كما حدث في قحط أواسط العقد الرابع من القرن العشرين سنوات (1944-1945)، والذي تسبب في مجاعة طاحنة واكبتها أمراض وأوبئة فتاكة أنهكت المغاربة، وأفرغت مطاميرهم من مدخراتها، لدعم مشاركة فرنسا في الحرب العالمية الثانية ما بين سنتي (1940-1943)، لتساهم هي الأخرى في تجويع المغاربة عبر ما شاع بمسمى عام البون[1].

1 – وضعية المغرب خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية ما بين (1912-1945)

بعد توقيع معاهدة الحماية من طرف السلطان مولاي عبد الحفيظ بفاس في مارس 1912، شرعت فرنسا في تثبيت تواجدها بالسيطرة على مجموعة من المناطق المغربية، عن طريق الاحتلال العسكري أو بمساعدة بعض القواد المغاربة المتحالفين معها مثل أسرة الكلاوي في الجنوب والأطلس الكبير الأوسط[2]. فبعد الاستحواذ على هذه الأراضي الخصبة، عملت سلطات الحماية على محاولة تحديثها فيما يشمل البنية التحتية،

[1]- يشار إلى عام البون في الذاكرة الجماعية للمغاربة بالفترة التي شهدت فيها البلد أسوء مجاعة خلال عهد الاستعمار ما بين سنتي 1944 و1945، وبرتبط معنى إسم عام البون بعبارة وصل تحصيل الطعام خلال أزمة الجوع، وهو نظام تموين يقوم على تقنين المواد الغدائية وتحديد الكمية المخصص لكل أسرة حسب حاجياتها الشهرية، فقامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بتوزيع بطاقات التموين على المغاربة، وتفويض صلاحية التوزيع لبلديات المدن، أنظر:

- بوجمعة رويان، "مجاعات 1945 بالمغرب"، وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1999، ص ص 144-145.

[2] - إبراهيم ياسين، **جنوب أطلس مراكش تحث حكم الفرنسيين والكلاويين: اثار الاحتلال الفرنسي لبلاد أيت واوزكيت**، دار أبي رقراق، الرباط، 2003 ص ص 122- 124.

لجعلها تتماشى مع سياستها الاقتصادية ومتطلبات السوق الفرنسية من المواد الأولية[1]، لتسهيل الاستغلال الاستعماري لخيرات البلد، لكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة للقبائل المغربية التي رفضت الاحتلال الأجنبي الفرنسي لأراضيها[2]، فدافعت عن البلد ببسالة واستماتة، فبرزت مقاومة الشيخ أحمد الهيبة بالجنوب حتى حدود 6 شتنبر 1912[3]، تاريخ هزيمته في معركة سيدي بوعثمان، ثم كفاح موحى أحمو الزياني بالأطلس المتوسط مع قبائل زيان، إذ كبد الفرنسيين هزيمة ساحقة عقب معركة لهري في 13 نونبر 1914، لكن الفرنسيون طاردوه حتى استشهد بتاوجكالت في 27 مارس 1921[4]. كما حارب المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي القوات الإسبانية على مستوى الجبهة الشمالية بالريف، إلى غاية 27 ماي 1926 تاريخ استسلامه[5]، بعد توقيع معاهدة التعاون العسكري الفرنسي الإسباني.

بعد إخماد فتيل المقاومة المسلحة للقبائل المغربية، قامت فرنسا بالاستحواذ على أجود الأراضي الزراعية الخصبة ومصادر الماء الغنية[6]، فعملت على إقبار نمط إنتاج الزراعة المعاشية بمجموع البوادي المغربية، وتم تعويضه بنمط إنتاج زراعي جديد تبرز تجلياته في اعتماد الفلاحة الرأسمالية، التي ترتكز على تشجيع الزراعات التسويقية المربحة، وتوجيه فلاحة البلد عامة لخدمة الدولة الفرنسية، التي أقدمت وتبنت مجموعة من المخططات لتحديث القطاع الفلاحي. وفي هذا الصدد تم استحداث تعاونيات أهلية والبيزانات (Paysanat) لخدمة المشروع الإمبريالي[7]، بالإضافة إلى استغلال الثروات المعدنية والموارد الطاقية للبلد كالفوسفاط والحديد والفحم، التي يتم تصديرها نحو الموانئ الفرنسية كمارسيليا[8]. وسيطرت السلطات الاستعمارية كذلك على نشاط التجارة الداخلية والخارجية للبلد، مما خلف انعكاسات سلبية على جميع مكونات المجتمع، ففقد الفلاحون أراضيهم وحقولهم[9]، فأصبحوا عمالا في ضيعات الاستعمار، في حين تضررت دور الصنعة والحرف اليدوية من قلة الطلب على منتوجاتها، ومنافسة البضائع والشركات الفرنسية لها[10]،

1 - جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال (1912-1956)، ترجمة محمد المؤيد، منشورات أمل التاريخ والثقافة والمجتمع، مطبعة الرباط نت، الرباط، 2014، ص 42.

2 - روس أدان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية (1881-1912)، ترجمة أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006، ص ص 272- 273.

3 - محمد بن بلحسن، معركة لهري (13 نونبر 1914) صفحات من الجهاد الوطني، ط الأولى، مطبعة انفو برانت، فاس، 2001، ص 131.

4 - نفسه، ص ص 121-124.

5 - ألبير ساسون، خياطو السلطان: مسار عائلة يهودية (محكيات ألبير ساسون)، ترجمة سعيد عاهد، منشورات مرسم، مطبعة أبو رقراق، الرباط، 2009، ص 74.

6 - ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القدر الشاوي ونورالدين سعودي، مراجعة وتقديم إدريس بنسعيد وعبد الأحد السيتي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى أبريل 1985، ص ص224 و225.

7 - نفسه، ص269.

8 - نفسه، ص269.

9- حليم الجليل، "الوضع العقاري بالمغرب من خلال بعض وثائق وزارة الخارجية الفرنسية "، ندوة: البادية المغربية عبر التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 77، الطبعة الأولى، سنة 1999، ص 156.

10 - أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم63، الطبعة الثانية 1983، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 620.

فأفلس الحرفيون والتجار وعادوا ضمن أفواج المعطلين، كما شهدت البلد ميلاد الحركة الوطنية المغربية الفتية، بعد إصدار فرنسا للظهير البربري في 16 ماي 1930[1]، وكرد فعل عن تأزم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمغاربة، لتدخل البلد عهدا جديدا في النضال السياسي عبر مطالبة الحركة الوطنية للسلطات الاستعمارية بتعجيل الإصلاحات، قبل انتقالها للمطالبة بالاستقلال.

2 – حيثيات وأسباب أزمة عام الجوع في المغرب المستعمر (1944-1945).

شكلت المجاعة آفة دورية تهدد كينونة ووجود الإنسان المغربي عبر التاريخ. فشح السماء كان عاملا مولدا لإنتاج الجوع في مجتمع متخلف تقنيا، ويرزح تحت وطأة الاستغلال الاستعماري الفرنسي، الذي ساهم بدوره في تجويع المغاربة وسرقة قوتهم اليومي ما بين سنة 1940 و1943، لتوجيهه لخدمة معارك فرنسا في الحرب العالمية الثانية[2]، حيث ثم استنزاف مدخرات المغاربة للسنوات الخصبة التي كانت تخزن لأوقات الشدائد والمجاعة، فتم توجيها نحو التصدير إلى الموانئ الفرنسية، كما حدث سنة 1942، حينما صدر المغرب حوالي 500000 قنطار من القمح و 320000 ق من القطاني، و335000 قنطارا من الفواكه[3]، وغيرها من المواد الزراعية وقطعان الماشية.

جدول رقم 1: صادرات المغرب إلى فرنسا من رؤوس قطعان المواشي ما بين سنة (1940-1942)

القطيع	1940	1941	1942
الأغنام	110.39407	13.036.375	13.057429
الأبقار	2.047880	2.381.437	2.675396
الماعز	6.486.165	7.880.276	8.078.813
الخنازير	68660	128425	175466

المصدر: رويان بوجمعة، الاستغلال الاستعماري للمغرب في ميدان الفلاحة إبان الهدنة الفرنسية الألمانية يونيو 1940- نونبر 1942، منشورات مجلة أمل، مج 3، ع 9، ط 1997، 52.

فتسببت حركة تصدير المواد الفلاحية إلى فرنسا سنوات (1942-1943) في قلة المواد الأساسية للغذاء في الأسواق، فحلت السنة الفلاحية الموالية بانحسار المطر وقلة المياه في الأنهار والعيون، ليتسلط الجفاف على

1 - جورج سبيلمان، م س، ص 57.

2 - رويان بوجمعة، "الاستغلال الاستعماري للمغرب في ميدان الفلاحة إبان الهدنة الفرنسية الألمانية يونيو 1940- نونبر 1942"، منشورات مجلة أمل، مج 3، ع 9، ط 1997، 54.

3 - نفسه، ص ص 53-54.

الأراضي الزراعية، فكانت المردودية الإنتاجية ضعيفة وغير كافية لسد المتطلبات الغذائية للمغاربة لمواسم (1944-1945)[1]، لتدخل البلد في أسوء مجاعة خلال الفترة الاستعمارية.

قضت الإكراهات المتعلقة بالجفاف على مردودية الأعمال الفلاحية خلال سنوات (1944-1945)، فأنتجت أزمة مجاعة خانقة، واكبها أنتشار كبير للأمراض والأوبئة كالجدري والسل والتيفوس، نتيجة نقص مناعة المغاربة بسبب الجوع وقلة النظافة[2]، فهلك من السكان سنة 1944 ما يزيد عن 30.000 ألفا شخص، في حين بلغت الوفيات دروتها عام 1945 بتسجيل ما يقدر ب 49.986 حالة وفاة، حسب الإحصائيات المقدمة من طرف السلطات الصحية الاستعمارية[3]، كما خلفت المجاعة بروز مجموعة من الظواهر الاجتماعية، كالهجرة الإجبارية والتضرع بقبور الأولياء والصلحاء[4]، لطلب رفع بلاء الجوع.

ثانيا: الوضعية الاجتماعية والاقتصادية ليهود ملاح السراغنة من خلال المراسلات الفرنسية زمن مجاعة (1944-1945):

لعبت المجاعة دورا مهما في تأزم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لليهود وسط ملاح قلعة السراغنة، إذ خلق الجوع تناقضا عميقا في البنية الاجتماعية لفئة الحرفيين والتجار اليهود الصغار، الذين طالهم الفقر الشديد بسبب قلة مواردهم وإفلاس أنشطتهم الاقتصادية، فاضطر بعضهم إلى هجرة الملاح في اتجاه المدن الكبيرة كالدر البيضاء وتطوان، تاركين وراءهم أفراد أسرهم من النساء والأطفال عرضة للتسول والمعاناة مع الجوع وانتشار الأمراض الفتاكة، فبلغ الفقر مستويات مرتفعة، ليطال نصف مجموع سكان الملاح المقدر عددهم ب 570 نسمة، حسب مراسلة رئيس الطائفة اليهودية بتاريخ 26 دجنبر 1944.

1 – بؤس الحياة وتردي الأوضاع المعيشية لجماعة يهود ملاح قلعة السراغنة.

عاش يهود ملاح قلعة السراغنة مأساة إنسانية كبيرة جراء تبعات أزمة الجوع، التي أنهكت العقول والأبدان أعوام 1944 و1945، حيث تفشى الجوع بشكل رهيب وسط عامة سكان الملاح، بعدما توقفت جميع أنشطتهم الحرفية والتجارية جراء الجفاف، واستحواذ السلطات الاستعمارية الفرنسية على معظم الموارد الفلاحية والمعدنية اللازمة لتحريك دواليب الاقتصاد داخل الحي اليهودي.

1 - نفسه، ص 53.

2 - Georges SICAULT, «Epidémiologie de la variole au Maroc », Bulletin de L'institut D'hygiène du Maroc, tome 2, Editions Felix moncho, Rabat, 1943, p 6.

3 - بوجمعة رويان، "مجاعة 1945 بالمغرب"، وقفات في تاريخ المغرب، م س، ص 259.

4 - إدموند دوتي، مهام في المغرب من خلال القبائل، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الرحيم حزل، مطبعة دار الأمان، الرباط، 2015، ص ص 285-288.

يقودنا تصفح المراسلات الخاصة بجماعة يهودية في قلعة السراغنة خلال عام الجوع إلى تحديد دقيق لوضعية البؤس التي كانت تعيشها الأسر اليهودية داخل الملاح، في ضل قلة المواد الغذائية في السوق، ومعاناة أبناء الطائفة في الحصول على طعام يقيهم شر الجوع، فأصبح الحصول على الخبز أمرا عسيرا على معظم السكان، وتقول المراسلة في هذا الصدد " لنا شرف إحاطة علمكم اتجاه الوضع الصعب للغاية لليهود في ملاح السراغنة"[1]، حيث أنتشر الفقر بين الأسر القاطنة بالحي اليهودي، والتي لا تجد موارد اقتصادية تمكنها من توفير مستلزماتها الغذائية، فاضطر أهل الكتاب[2] إلى مغادرة وهجرة أقاربهم بالملاح، وانتشروا في الأرجاء بحثا عن لقمة تسد رمقهم.

الوثيقة رقم 1: رسالة إخبارية من رئيس طائفة يهود ملاح قلعة السراغنة إلى المقيم الفرنسي العسكري بمراكش حول وضعية اليهود إبان المجاعة، بتاريخ 28 دجنبر 1944.

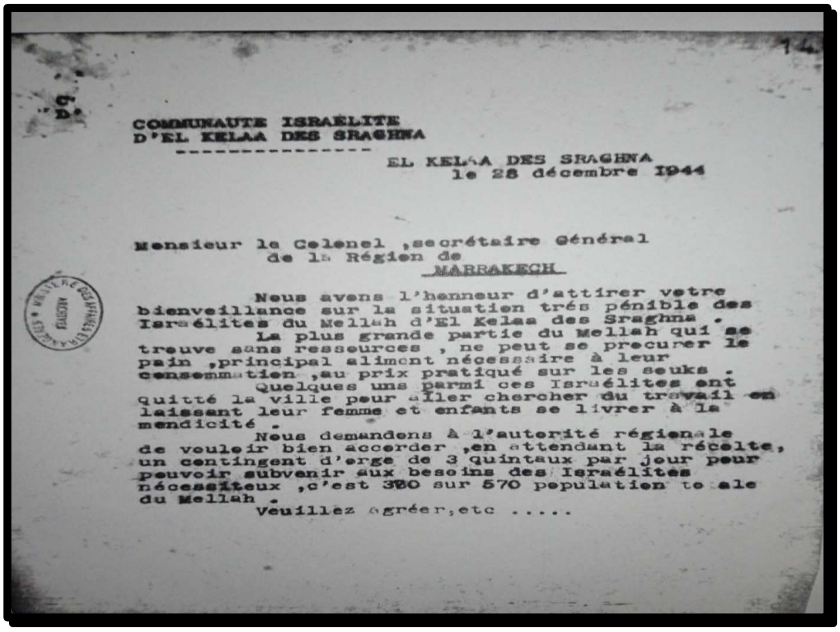

COMMUNAUTE ISRAELITE
D'EL KELAA DES SRAGHNA

EL KELAA DES SRAGHNA
le 28 décembre 1944

Monsieur le Colonel ,secrétaire Général
de la Région de
MARRAKECH

Nous avons l'henneur d'attirer votre bienveillance sur la situation très pénible des Israélites du Mellah d'El Kelaa des Sraghna .
La plus grande partie du Mellah qui se treuve sans ressources , ne peut se procurer le pain ,principal aliment nécessaire à leur consommation ,au prix pratiqué sur les souks .
Quelques uns parmi ces Israélites ont quitté la ville pour aller chercher du travail en laissant leur femme et enfants se livrer à la mendicité .
Nous demandons à l'autorité régionale de vouloir bien accorder ,en attendant la récolte, un contingent d'orge de 3 quintaux par jour pour pouvoir subvenir aux besoins des Israélites nécessiteux ,c'est 380 sur 570 population totale du Mellah .
Veuillez agréer,etc .....

Source : A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

تشير الأرقام المقدمة في المراسلة أعلاه إلى مستويات الفقر في صفوف يهود قلعة السراغنة خلال عام الجوع (1944-1945)، حيث بلغت نسبة اليهود المحتاجين حوالي 67 بالمئة من مجموع سكان الملاح المقدر

[1] - Archives de la Direction de l'Intérieur de la Résidence Générale de France au Maroc, « dossiers relatifs aux questions juives » (ancienne cote S.5), Dates Extrémes (1920-1956). « Communauté Israélites de El-Kelaa- des Srarhna », N° 7 volume 45a, Centre des archives diplomatiques de Nantes, N° de document 14.

[2] – يرتبط المعنى العام **لأهل الكتاب** في مصادر الفقه الشرعي بالطوائف التي بعث فيها رسول من الله، كسيدنا موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمسلمون، ويعيش معظم أهل الكتاب أو الذميين تحت حماية السلطان المغربي مقابل خضوعهم له، وأداء واجبهم الشرعي المتمثل في دفع ضريبة الجزية، أنظر:
- عمر بوم، **يهود المغرب وحديث الذاكرة**، ترجمة خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 18، الطبعة الثانية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2017، ص 19.

عددهم ب 570 نسمة[1]، إذ نسجل تراجعا كبيرا في الكثافة السكانية ليهود السراغنة خلال عام الجوع، مقارنة مع الإحصائيات المقدمة حولهم مع بداية القرن العشرين. إذ أشار أوجين أوبان إلى أن مناطق السراغنة وتملالت وسيدي رحال كانت تعرف استقرارا يهوديا مهما[2]، ومما لا شك فيه أن هذا التراجع في أعداد اليهود بقلعة السراغنة له علاقة بأثر الكوارث الطبيعية (مجاعات و أوبئة) في تحريك الهجرات اليهودية، وتسهيل سلطات الحماية الفرنسية للعملية بتنسيق مع الرابطة الاسرائيلية العالمية[3]، لإجراءات تهجير اليهود المغاربة لفلسطين عبر الجزائر، وربما سيكون ضمن هؤلاء المهجرين يهود تعود أصولهم إلى السراغنة، فلا نستبعد كذلك أن يكون ملاح القلعة هو عبارة عن ممر لتصدير وعبور النازحين اليهود القادمين من المناطق الجنوبية هروبا من المجاعة، والمتجهين شمالا، إذ نرجح أن ترجع أصول يهود ملاح قلعة السراغنة إلى الجنوب المغربي ضمن يهود واحات درعة، أو يهود جبال الأطلس الكبير.

2 – تدهوروكساد الأنشطة الاقتصادية ليهود ملاح قلعة السراغنة.

يمثل الجفاف عائقا كبيرا لتطور المهارات والتقنيات في المغرب المعاصر، إذ تتأثر الحياة الاقتصادية وتتراجع مردودية جميع الأنشطة الإنتاجية البسيطة التي كان المغاربة يزاولونها أنذاك[4]. فخلال أزمة مجاعة أواسط الأربعينيات حدث ركود اقتصادي كبير داخل ملاح قلعة السراغنة، بدأت معالمه الأولى تتضح مع ضعف المحصول الزراعي لسنة 1944، وانتشار القحط السنة الموالية، ما تسبب في وقوع كساد كبير في الأعمال التجارية والحرفية لليهود[5]، نتيجة ارتباطها بالقطاع الفلاحي، الذي يزودها بالمواد الأولية الضرورية أثناء مراحل الإنتاج، حيث تحدث رئيس الطائفة اليهودية بملاح القلعة في رسالته للمسؤول العسكري الفرنسي بمراكش عن ندرة الموارد الاقتصادية للسكان داخل الحي اليهودي، ويقول في هذا الصدد "الجزء الأكبر من الملاح يجد نفسه بدون موارد ولا يستطيع الحصول على الخبز، الغداء الضروري لهم للاستهلاك[6]" وتشير العبارة الواردة ضمن متن

---

[1] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

[2] - Eugéne AUBIN, Le Maroc d'aujourd'hui, Librairie Armand Colin, Paris, 1904, p.p. 365-367.

[3] - الرابطة الاسرائيلية العالمية هي تجمع يهودي ظهرت بوادره الأولى في فرنسا وبريطانيا خلال أواسط القرن التاسع عشر، وعملت الرابطة اليهودية على تبني الترافع على قضايا اليهود في مختلف بلدان العالم، وتأسس مشروع الرابطة على تحقيق أهداف التكافل والتنوير والاصلاح مع التجديد، فدشنت الرابطة تواجدها في المغرب بفتح مجموعة من المدارس العصرية في معظم المناطق التي يسكنها اليهود، وكانت مدرسة تطوان أول المؤسسات التي فتحت أبوابها لتعليم وتربية أبناء اليهود سنة 1862، أنظر:

- Levy COCHBA, « Notes de voyage dans l'extréme sud marocain », Les Cahiers de L'Alliance Israélite Universelle, n° 83, 1954, p. p. 26-30.

[4] - ترتكز الحياة الاقتصادية لمعظم سكان المغرب على ممارسة العمل الفلاحي المرتبط بتقلبات المناخ ونشاط الحرف اليدوية البسيطة، بالإضافة إلى مزاولة التجارة بصنفيها الداخلية والخارجية، ويؤثر الجفاف بشكل مباشر على جميع الأنشطة الاقتصادية للمغاربة، فتضعف مردودية المحاصيل الزراعية تدب الأزمة إلي الحرف التقليدية، لجاجتها إلى المواد الأولية اللازمة لها، كما تتضرر التجارة كذلك لغياب البضائع، ونقص الموارد ذات المصدر الفلاحي، التي كان التجار المغاربة يبيعونها للأجانب.

[5] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

[6] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

الرسالة "الجزء الأكبر من الملاح يجد نفسه بدون موارد " إلى التلميح لإفلاس وتوقف الحياة الاقتصادية داخل الملاح، وتدهور أوضاع الحرفيين والتجار اليهود، وهذا ما تسبب في هجرة نسبة مهمة منهم نحو المدن الساحلية الكبيرة كالبيضاء وتطوان والرباط، تحث أمل العثور عن فرص شغل وموارد اقتصادية جديدة[1]، تمكنهم من توفير غذائهم، وتنقدهم من ويلات الجوع القاتل.

تضعنا مراسلة رئيس طائفة ملاح قلعة السراغنة في قلب الظرفية المتأزمة للبلد سنوات (1944-1945)، وتعطينا تصورا عاما عن حالة الركود الاقتصادي الذي طال الأنشطة الحرفية والتجارية لليهود داخل ملاح السراغنة[2].

هكذا يمكن القول على أن مجاعة أواسط الأربعينيات تسببت في كارثة إنسانية كبيرة على مستوى ملاح قلعة السراغنة، فتدوق اليهود مرارة الجوع، وطالهم الفقر والبؤس[3]، مما حدى بالسلطات الاستعمارية والجمعيات اليهودية الأوربية للتدخل لمساعدة فقراء اليهود ضمن ما يسمى بصندوق دعم الفقراء والمحتاجين اليهود.

ثالثا: أثر أزمة عام البون على يهود ملاح قلعة السراغنة والاجراءات المتخذة لإنقاذ الجماعة.

ساهمت أزمة عام البون في بروز مجموعة من الظواهر الاجتماعية الشاذة وسط ملاح القلعة، فأثر الجوع على سلوك بعض فقراء اليهود، الذين هاجروا أسرهم وتركوهم بدون معيل، وتدخل رئيس طائفة يهود السراغنة لطلب المساعدة من سلطات الحماية بمراكش، والإلحاح بطلب حصة الملاح من التموين بالشعير الفرنسي، للتخفيف من عواقب المجاعة، والحد من هجرة يهود المدينة، وانتشار الظواهر الشاذة كالتسول والبغاء داخل الملاح، لكن الفرنسيين تماطلوا وتأخروا في تقديم المساعدة الغذائية لملاح القلعة، كما فعلوا مع جميع المغاربة إبان مجاعة عام البون (1944-1945).

[1] - تتحدث مجموعة من المراسلات الفرنسية عن ارتفاع حدة الهجرة خلال أزمات الجفاف والمجاعة التي ألمت بالمغرب خلال الفترة الاستعمارية، كما حدث في مجاعة أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، التي شهدت نزوحا جماعيا لليهود والمسلمين الفارين من ويلات الجوع بالمناطق الجنوبية في درعة وتافيلالت، وهجرة سكان كثاوة بدرعة السفلى وتنقلهم نحو المناطق الداخلية، حيث لا يستبعد أن يكون لهؤلاء المهاجرين دور في تأسيس قرية الكتاوة الموجودة في مدخل مدينة قلعة السراغنة على نقطة التقاء طريق دمنات ومراكش أنظر:

- علي هدهودي، من تجليات القحط والمجاعة في ثلاثينات القرن 20: الهجرة من درعة السفلى نموذجا، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 4 (المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب)، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 2002، ص ص 434-435.

[2] - يورد صاحب العز والصولة إلى أن اسم السراغنة يطلق على مجموعة من القبائل يزيد عدد أهلها عن 130 ألف نفس، مستقرة بشمال شرق مراكش وجنوب وادي أم الربيع، وهذه القبائل هي أهل الغابة، بني عامر، وأولاد خلوف، وأولاد سيدي رحال، وأولاد يعقوب الشماليين والجنوبيين، وكل قبيلة تشتمل على عدد من العشائر، ومن أشهرها قلعة السراغنة التي هي مقر الدائرة ودشرة بني عامر، أنظر:

- عبد الرحمان بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، مطبوعات القصر الملكي، ج الأول، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ/1961م، ص 153.

[3] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

1 – تسبب الجوع في انتشار ظواهر اجتماعية شاذة وسط ملاح قلعة السراغنة.

شكلت أزمات الجوع موعدا لاختبار مدى تكافل وتعاضد المغاربة فيما بينهم، لتجاوز عواقب المجاعة وبؤس الحياة، فانعكس الوضع المأساوي على السلوك الاجتماعي لبعض يهود ملاح قلعة السراغنة[1]، فبالإضافة إلى الهجرة الجماعية التي كان يقوم بها أفراد الأسرة اليهودية الواحدة زمن الجوع (1944-1945)، انتشر نوع آخر من الهجرة في صفوف يهود ملاح القلعة، حيث هجرة الأقارب لذويهم في ظروف غامضة، وبدون إعلان وجهة محددة[2]، ما طرح مشكل إعالة الأسر المتخلي عنها داخل الملاح. وهذا ما جعل رئيس الطائفة اليهودية بالقلعة يدق ناقوس الخطر، ويراسل مستنجدا بسلطات الحماية الفرنسية بمراكش[3]، لإغاثة الفقراء والمحتاجين اليهود من الأطفال والنساء المتخلي عنهم، ويشير سلوك هجرة اليهود لأقاربهم إلى عدم تماسك منظومة الأسرة اليهودية في ملاح قلعة السراغنة، وتفكك التضامن العائلي بين أفراد الأسرة الواحدة، وربما يكون هذا السلوك له ارتباط بشدة وقع الجوع على أبناء اليهود من الحرفيين والتجار الصغار الذين أفلست مشاريعهم، كما لا يستبعد أن يكون لهذا السلوك الشاد واقع الأثر في تفشي الدعارة والبغاء بالملاح، ناهيك عن انتشار التسول والاحتيال، وهذه الوقائع شهدتها معظم المدن والقرى التي كانت مستقرا لليهود زمن عام الجوع[4]، حيث يلتجأ الناس إلى التبرك بالأولياء والصلحاء من اليهود والمسلمين لطلب رفع البلاء وإغاثة العباد.

2 – الإجراءات المتخذة من طرف فرنسا والجمعيات اليهودية لإنقاذ ملاح قلعة السراغنة.

يتضح من خلال مراسلات رئيس طائفة يهود ملاح القلعة مع ممثل السلطات الاستعمارية بمراكش، مطالبة النكيد[5] بإغاثة ملاح قلعة السراغنة من المجاعة، وتوفير الغذاء لقاطنيه من الفقراء اليهود، الذين فقدوا عملهم وأفلست مشاريعهم، جراء أوضاع المجاعة، فتضررت أنشطتهم الحرفية والتجارية، فلم تعد لهم القدرة على توفير وشراء رغيف خبز لأسرهم، وألح رئيس الطائفة على ضرورة تزويد ملاح المدينة بالدعم الغذائي اللازم،

[1] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

[2] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

[3] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14.

[4] - محمد كنبيب، يهود المغرب (1912-1942) مساهمة في تاريخ الأقليات بالديار الإسلامية، ترجمة إدريس بن سعيد، تقديم أندري ازولاي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة 8، ط 1998، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص ص 209.

[5] - يستعمل لقب النكيد للإشارة إلى رئيس أو زعيم الطائفة اليهودية، الذي يقود الجماعة ويمثلها في القضايا الدينية والاجتماعية، ويلعب النكيد دورا مهما في المحافظة على الأمن والاستقرار داخل الملاح، وهو المكلف بجميع قضايا اليهود ومعاملاتهم مع السلطان المغربي، وهو تمثيلية الطائفة أمام سلطات الاستعمار الفرنسي، ويشترط في النكيد أن يكون على دراية بالجانب الديني، وتفسير القوانين والتشريعات، أنظر:

- حاييم الزعفراني، "**لف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ - ثقافة – دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، ط 1987، ص 126.

ومضاعفة التمويل لإنقاذ 370 جائعا من اليهود[1]، حيث الحاجة الماسة لما يزيد عن 300 كيلوغرام من الشعير يوميا، لتوفير الطعام للجميع.

جدول رقم 2: بطاقة تشخيصية لحاجيات ومتطلبات ملاح قلعة السراغنة من الشعير

عدد المحتاجين اليهود	مجموع يهود الملاح	حصة الطعام لكل فرد	حاجيات الملاح الأسبوعية	حاجيات الملاح السنوية
380 نسمة	570 نسمة	300 ÷ 380 = 0.789 للفرد 789 g	300 kg x 7 = 2100 21 قنطار	21 x 12 = 252 252 قنطار

Source : Ibid, N° de document 14

ونسجل من المعطيات أعلاه أن رئيس الطائفة حدد حاجيات الملاح من الشعير اعتمادا على عدد فقرائه من اليهود، وباستثناء أغنيائه المقدر عددهم ب 190 فردا في خريف 1944، ونلاحظ من نبرة وأسلوب كتابة هذه المراسلات، استنجاد رئيس جماعة اليهود بالمقيم العسكري الفرنسي بمراكش (Colenel Jean ALBOUY)، لمنحة بطاقات تموين إضافية لصالح فقراء الملاح، الذين أصبحت غالبيتهم من النساء والأطفال[2]، ودعوته له لقبول مساعدات الرابطة العالمية لأبناء اليهود المتضررين جراء المجاعة.

[1] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 14

[2] - A.R.L.R.G.F.M, Ibid, N° de document 15.

الوثيقة رقم 2: رسالة رئيس طائفة يهود ملاح قلعة السراغنة إلى المقيم الفرنسي العسكري بمراكش حول حصة الملاح من التموين بالشعير، بتاريخ 20 يناير 1945.

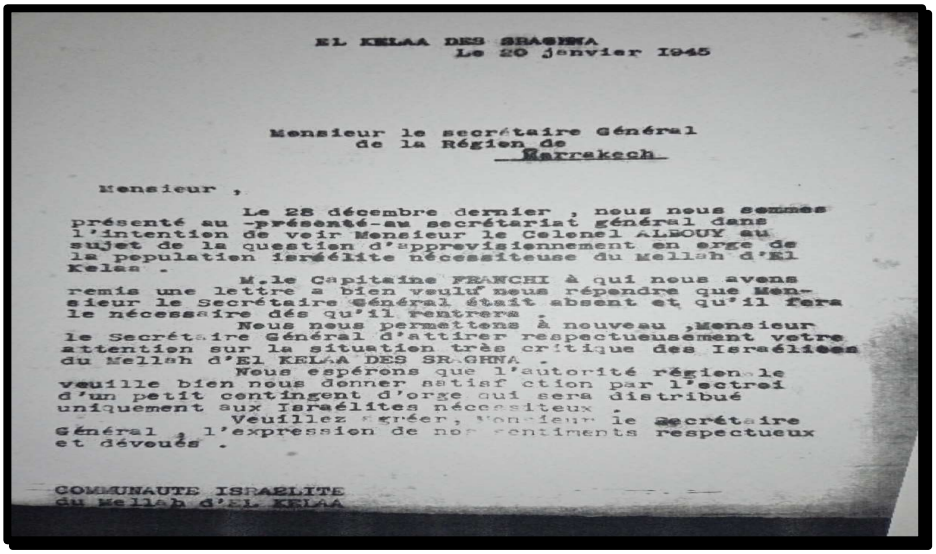

EL KELAA DES SRAGHNA
Le 20 Janvier 1945

Monsieur le secrétaire Général
de la Région de
Marrakech

Monsieur ,

Le 28 décembre dernier , nous nous sommes présenté au -présenté-au secrétariat général dans l'intention de voir Monsieur le Colonel ALBOUY au sujet de la question d'approvisionnement en orge de la population israélite nécessiteuse du Mellah d'El Kelaa .

M.le Capitaine FRANCHI à qui nous avons remis une lettre a bien voulu nous répondre que Monsieur le Secrétaire Général était absent et qu'il fera le nécessaire dés qu'il rentrera .

Nous nous permettons à nouveau ,Monsieur le Secrétaire Général d'attirer respectueusement votre attention sur la situation très critique des Israélites du Mellah d'El KELAA DES SRAGHNA .

Nous espérons que l'autorité régionale veuille bien nous donner satisfaction par l'octroi d'un petit contingent d'orge qui sera distribué uniquement aux Israélites nécessiteux .

Veuillez agréer, Monsieur le Secrétaire Général , l'expression de nos sentiments respectueux et dévoués .

COMMUNAUTE ISRAELITE
du Mellah d'EL KELAA

Source : Ibid, N° de document 15

تأكيد وإلحاح رئيس الطائفة اليهودية في الرسالة الثانية على طلب حصة الملاح من تموين الشعير الفرنسي، لأن اليهود متدمرون من الأوضاع المعيشية الصعبة، وينتظرون مساعدة سلطات الحماية الفرنسية ودعم الرابطة العالمية.

خاتمة

خلاصة ما سبق، أن أزمة الجوع لسنة (1944-1945) قد خلفت واقعا مريرا وسط ملاح قلعة السراغنة، عكسته مراسلات رئيس الطائفة حول وصف وضعية البؤس والمعانات التي أصبح يعيشها أبناء اليهود، إذ أفلست جميع الأنشطة الحرفية والتجارية داخل الملاح، فاكتسح الفقر أزيد من نصف سكانه، ما جعل الفئات النشيطة من الحرفيين والتجار الصغار يغادرون حيهم في أتجاه المدن الكبيرة، تاركين وراءهم أفراد أسرهم عرضة للتسول والضياع، ونستنتج من مراسلات رئيس طائفة ملاح قلعة السراغنة لسلطات الحماية بمراكش مدى حاجة الأسر اليهودية للتموين بالشعير الفرنسي، لإنقاذ المحتاجين والفقراء المتخلي عنهم، ونسجل تماطل السلطات الاستعمارية لمراكش في تقديم المساعدة ليهود ملاح قلعة السراغنة، رغم توصلهم بطلب رئيس الطائفة في مراسلتين إلحاحيتين حول الحاجة للدعم بالتموين، لكن الفرنسيين تأخروا في تقديم المساعدة الغذائية ليهود القلعة، وتركوهم يعانون قساوة المجاعة كما فعلوا مع جميع المغاربة خلال أزمة عام البون.

لائحة المصادروالمراجع

❖ الوثائق المخطوطة والمراسلات:

- Archives de la Direction de l'Intérieur de la Résidence Générale de France au Maroc, « Dossiers relatifs aux questions juives », (ancienne cote S.5), Dates Extrémes (1920-1956), « Communauté Israélites de El-Kelaa- des Srarhna », N° ? volume 45a, Centre des archives diplomatiques de Nantes, N° de document 14 et 15.

❖ مصادرومراجع باللغة العربية:

- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، الطبعة الثانية 1983، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

- ألبير ساسون، خياطو السلطان: مسار عائلة يهودية (محكيات ألبير ساسون)، ترجمة سعيد عاهد، منشورات مرسم، مطبعة بورقراق، الرباط، 2009.

- ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القدر الشاوي ونورالدين سعودي، مراجعة وتقديم إدريس بنسعيد وعبدالأحد السيتي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1985.

- إبراهيم ياسين، جنوب أطلس مراكش تحث حكم الفرنسيين والكلاويين: اثار الاحتلال الفرنسي لبلاد أيت واوزكيت، دار أبي رقراق، الرباط، 2003.

- إدموند دوتي، مهام في المغرب من خلال القبائل، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الرحيم حزل، مطبعة دار الأمان، الرباط، 2015.

- بوجمعة رويان، مجاعات 1945 بالمغرب: وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1999.

- جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الاستقلال (1912-1956)، ترجمة محمد المؤيد، منشورات أمل التاريخ والثقافة والمجتمع، مطبعة الرباط نت، الرباط، 2014.

- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ - ثقافة – دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، ط 1987.

- روس أدان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية (1881-1912)، ترجمة أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006.

- عبد الرحمان بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، مطبوعات القصر الملكي، ج الأول، المطبعة الملكية، الرباط، 1381ه/1961م.

- عمر بوم، يهود المغرب وحديث الذاكرة، ترجمة خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 18، الطبعة الثانية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط.

- محمد بن بلحسن، معركة لهري (13 نونبر 1914) صفحات من الجهاد الوطني، ط الأولى، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2001.

- محمد كنبيب، يهود المغرب (1912-1942) مساهمة في تاريخ الأقليات بالديار الإسلامية، ترجمة إدريس بن سعيد، تقديم أندري ازولاي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة 8، ط 1998، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.

❖ المقالات باللغة العربية:

- حليم الجليل، "الوضع العقاري بالمغرب من خلال بعض وثائق وزارة الخارجية الفرنسية"، ندوة: البادية المغربية عبر التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 77، الطبعة الأولى، سنة 1999.

- رويان بوجمعة، "الاستغلال الاستعماري للمغرب في ميدان الفلاحة إبان الهدنة الفرنسية الألمانية يونيو 1940- نونبر 1942"، منشورات مجلة أمل، مج 3، ع 9، ط 1997.

- علي هدهودي، "من تجليات القحط والمجاعة في ثلاثينات القرن 20: الهجرة من درعة السفلى نموذجا"، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 4 (المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 2002.

❖ مراجع ومقالات باللغة الأجنبية:

- Eugéne AUBIN, Le Maroc d'aujourd'hui , Librairie Armand Colin, Paris, 1904.

-Georges SICAULT, « Epidémiologie de la variole au maroc », Bulletin de L'institut D'hygiéne du Maroc, tome 2, Editions Felix moncho, Rabat, 1943.

- Levy COCHBA, « Notes de voyage dans l'extréme sud marocain », Les Cahiers de L'Alliance Israélite Universelle, n° 83, 1954.

الصراع القبلي في حوض تساوت ما قبل الاستعمار:

قبيلتا أنتيفا وولتانة نموذجا

د. لحسن الصديق:

باحث في التاريخ والتراث

ملخص

امتد نفوذ قبيلة أنتيفا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الى حدود "تيزي نفدغات" على الضفة اليسرى ولوادي تساوت نظرا للطموحات التوسعية للقائد النتيفي "محمد بن الطالب". وقد امتد نفوذ هذا القائد أيضا الى حدود قبائل مكون (قلعة مكونة الحالية) حيث خضعت مجمل قبائل الاطلس الكبير الأوسط له. إلا أن هذه الطموحات التوسعية لم تكن ترق لبعض جيرانه من القياد ولممثلي المخزن بكل من فاس ومراكش. وقد أدى توتر العلاقات بين بن الطالب والمخزن إلى العمل على تقليص نفوذه لصالح قياد ولتانة جيرانه. وقد تم الحاق القائد محد بن الطالب بفاس بعد عزله عن قيادة القبيلة التي تم تقسيمها الى جزئين تم الحاقهما بمجال نفوذ القياد المجاورين (السراغنة، أيت عتاب، ولتانة...) حسب خصوصيات كل مرحلة. وقد تميزت هذه المرحلة بالصراعات المتعددة بين قبيلة أنتيفا وجيرانها من ولتانة والسراغنة.

Résumé :

L'influence de la tribu Antifa s'est étendue durant la première moitié du XIXe siècle jusqu'aux frontières de Tizi Nafdaghat sur la rive gauche et de Wadi Tasaout en raison des ambitions expansionnistes du caid Antifi, Muhammad ibn Talib. L'influence de ce chef s'étendit également jusqu'aux frontières des tribus M'Goun (aujourd'hui Qal'at M'Gouna), où toutes les tribus du Haut Atlas central lui furent soumises. Mais ces ambitions expansionnistes n'étaient pas du goût de certains de ses voisins (caids) et des représentants du Makhzen à Fès et Marrakech. La tension dans les relations entre Ibn Talib et le Makhzen l'a conduit à œuvrer pour réduire son influence au profit du caids et du pouvoir de ses voisins. Le chef, Muhammad ibn Talib, fut rattaché à Fès après avoir été démis de la direction de la tribu, divisée en deux parties rattachées à la sphère d'influence des chefs voisins (Sraghna, Ait Attab et oultana. .) selon les spécificités de chaque étape. La deuxième moitié du 19 -ème siècle a été caractérisée par de multiples conflits entre la tribu Antifa et ses voisins d'Oultana et de Sraghna.

تقديم

تستقر قبيلتا أنتيفا وولتانة على قدم جبال الاطلس الكبير المركزي (الأوسط) من الجهة الشمالية، وتعود أصول القبيلتان المشتركة إلى بطنين من بطون اتحادية هسكورة المصمودية. استوطنتا هذا المجال منذ فترات قديمة أشارت أولى النصوص التاريخية (البكري، ابن خلدون، البيدق...) إلى استقرار قبيلهما المشترك "هسكورة" قبل الفتح الإسلامي على أقل تقدير، إذ أشارت نصوص تاريخية وسيطية إلى المواجهات بين الهساكرة وعقبة بن نافع أثناء زياراته لهذا المجال. يتناول هذا المقال العلاقة بين هذين المكونين القبليين ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر إلى سنة 1912 اعتمادا على نصوص تاريخية منتقاة من المصادر والمراجع ووثائق مخزنية من مديرية الوثائق الملكية بالرباط، ويستهدف ابراز علاقات التعاون والصراع بينهما خلال هذه الفترة التاريخية.

يحاول هذا المقال مقاربة ظاهرة العنف المرتبط بالصراع القبلي بمغرب ما قبل الاستعمار، في سياق الأزمات البنيوية التي مست هياكل الدولة المغربية مركزيا وجهويا، بما ترتب عن ذلك من تفسخ لأنساق التدبير العام لشؤون القبيلة، سواء في علاقة أفراد القبيلة ببعضهم البعض، أم في علاقاتهم بجيرانهم من القبائل الأخرى، أم في علاقتهم بالسلطة المركزية للمخزن. وقد اتخذنا من قبيلتي أنتيفا وولتانة نموذجا للدراسة من خلال ما توفر لذينا من وثائق مخزنية وأرشيف عسكري فرنسي خاص بفترة الدراسة.

أولا: التعريف بقبيلة أنتيفا

ونعثر عند تتبعنا لكلمة «أنتيفا» في المصادر التاريخية أنها وردت لأول مرة عند المؤرخ الموحدي أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق[1]، وهو يتحدث عن فخدات إتحادية «هسكورة». بناء على ما سبق فإن قبيلة «أنتيفا» هي بطن من بطون «هسكورة» التي هي بطن من بطون «مصمودة» التي تعتبر بطنا من بطون البربر البرانس. وتجدر الإشارة إلى أن البيدق لم يَعُد إرفالة من بين بطون «أنتيفا» في هذا التصنيف بل عدّهم من بين اخماس بني صاط التابعين لصنهاجة الظل.

فيما يتعلق بأصل القبيلة، فقد تحدث ابن خلدون عن مصمودة التي تدخل أنتيفا ضمن بطونها قائلا: "وأما المصامدة وهم من ولد مصمود بن يونس بربر فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم. من بطونهم بورغواطة وغمارة وأهل جبل درن. لم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة. وكان المتقدم فيهم قبيل الإسلام وصدره بورغواطة، ثم صار التقدم بعد ذلك لمصامدة جبال درن إلى هذا العهد وكان لبورغواطة في عصرهم دولة

[1] ابو بكر بن علي الصنهاجي، المقتبس من كتاب الانساب لمعرفة الاصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ص 52-53

ولأهل درن دولة أخرى ودول حسبما نذكر."[1] يتحدث ابن خلدون في هذا النص عن الثخوم والحدود بين مصمودة وصنهاجة والتي لازال طبونيم قرية إزناكن يحيل عليها قائلا: "يعمرها من قبائل المصامدة أمم لا يحصيهم إلا خالقهم... وقد أوطنوا منها أقاليم تعددت، فيها الممالك والعمالات بتعدد شعوبهم وقبائلهم، وافترقت أسماؤهم بافتراق أجيالهم، تنتهي ديارهم من هذه الجبال إلى الثنية المعروفة ببني فازان حيث تبتدئ مواطن صنهاجة"[2]. ويذكر ابن خلدون بطون هسكورة في قوله: "وبطون هسكورة هؤلاء متعددون، فمنهم مصطاوة- أيت مصاد- وغجدامة- اغجدامن- وزمراوة – زمران- وانتيفت – أنتيفا-وبنونفال وبنو رسكونت إلى آخرين لم تحضرني أسماؤهم، وكانت الرياسة عليهم آخر دولة الموحدين لعمر بن قاريط.) "[3]

ويرى نيغل روجر، صاحب "منوغرافية أنتيفا"، أن دلالة كلمة "أنتيفا"، ترتبط بأصل ايتيمولوجي متعدد الافتراضات، لكن أيا منها ليست مقنعة بما يكفي، "فالبعض يعتبرها تحريفا لكلمة "انفيفا" وهو اسم لقبيلة بضواحي ايمينتانوت، وبذلك يمكن اعتبار أصل "أنتيفا" من هناك، وتظهر هذه الفرضية هي الأرجح في نظره. ويرجعها البعض إلى الفعل العربي "نتف" الذي يعني إزالة الريش، وبذلك تحيل كلمة " أنتيفا" على "النتافة" التي تدل على أولئك الذين يزيلون الريش، وهي كناية على ما يعرف به هؤلاء اتجاه الأجانب وخصوصا أولئك القياد الذين يحكمونهم وهم من خارج القبيلة."[4] إن التأويلات التي قدمها نيغل لأصل كلمة "أنتيفا" تظهر عدم اطلاعه على المصادر التاريخية عامة وتاريخ المنطقة بشكل خاص؛ إذ ذكرت القبيلة منذ القرن الخامس الهجري على الأقل مع كتابات البيدق بهذا الاسم "انتيفت" تم تكررت لدى ابن خلدون، والتي سبق أن أشرنا إليها أعلاه.

يلاحظ نيغل أن قبيلة "أنتيفا" غير متجانسة في مكوناتها، وَعَدَّها مجرد "فسيفساء من التجمعات الإثنية الصغرى القادمة من جهات مختلفة من سوس بشكل خاص ومن منطقة دمنات وزاوية أحنصال ومن منطقة فكيك ومن الجنوب الجزائري ومن منطقة واويزغت ومن مازاكان بالقرب من أزمور ومن قلعة السراغنة."[5] وهي ملاحظة مهمة استنتجها نيغل من خلال عمل ميداني ومقابلات مع مستجوبين صرحوا بأصولهم القبلية، لكنها غير مستندة على دراسة علمية، إذ نجد إشارات واضحة لدي ابن خلدون والبكري والبيدق تؤكد على استقرار القبيلة بهذا المجال قبيل مرحلة الفتح الاسلامي. لقد وفق الباحث في هذه الملاحظة بناء على أن مجال أنتيفا هو مجال عبور عرف صراعات قوية خلال مراحل تاريخية طويلة أدت إلى انتقال

1 عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1979، ج 6 ص 205

2 عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي، م س، ص 224

3 الرحمان بن خلدون الحضرمي، م س، ص 203

4 Le capitaine Neigel Roger (chef de l'annexe des A I de Tanant), monographie de la tribu Entifa, signée a Tanant le 15 février 1953, A D N, dossier cote 1MA/285/18, p 11

5 Neigel Roger, monographie de la tribu Entifa, op cit, p 11

مكونات أو القضاء عليها لتحل محلها مكونات أخرى، كما شكلت ملاذا آمنا لمكونات أخرى كانت بالسواحل المغربية، ففرت منها تحت الضغوطات البرتغالية.

وتحدث الفقيه أحمد نجيب الدمناتي الذي عاش خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عن القبائل المنتسبة لمصمودة وعددها في قوله "وقبائلها التي يطلق عليها هذا الاسم، هسكورة، صنهاجة، دكالة، حاحة، رجراجة، جزولة، لمطة، جنفيسة، هنتاتة، هرغن، وقبائل أهل تنمل، وهم قبائل شتى يجمعها هذا الموضع، وحول مراكش قبائل منهم أيضا وهم هزميرة وهيلانة وهزرجة، يدعوهم الموحدون بالقبائل."[1] وقد وقع في الخلط عندما جعل صنهاجة من فروع مصمودة، إذ هما من القبائل الكبرى المستوطنة بالمجال المغربي قديما وهما مختلفتان.

وأورد عيسى العربي رواية تعيد نسب «أنتيفا» إلى "إنفيفن" أو "إعفيفن" وهي قبيلة مصمودية تستوطن المنحدرات الغربية لجبل درن على بعد حوالي 100 كلم جنوب مراكش في اتجاه تيزي نمعاشو، لكن هذا القول لا يرقى إلى مستوى يجعل منه موقفا يستحق مناقشته نظرا لكونه يستند إلى الرواية الشفوية من جهة، ومن جهة أخرى لكون صاحبه قد تجاوزه من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة لكون قبيلة «أنتيفا» يسبق وجودها بالمجال وجود القبيلة المذكورة أو على الأقل إنهما كانتا موجودتين منذ فترة الفتح الإسلامي في مواقعهما.

ويرجع عبد الوهاب ابن منصور في سياق حديثه عن أصول القبائل المغربية عن أصل قبيلة أنتيفا إلى قبيلة مصمودة الكبيرة حيث يقول عنها: "تعد «مصمودة» من القبائل الكبرى المستوطنة لجبل درن، وصفهم ابن خلدون بأنهم بطن من بطون البربر البرانس[2] السبعة وهم ازداجة واوربة واوريغة وكتامة و«مصمودة» و«صنهاجة» وعجيسة. وأشار عبد الوهاب ابن منصور إلى أن النسابة البربري سابق المطماطي وأصحابه زاد على هذه البطون كل من لمطة وهسكورة وجزولة[3]. حيث إنها تشكل بطنا من بطون هسكورة ذات الأصول المصمودية، حيث تشير بعض النصوص التاريخية التي تعود إلى المرحلة الوسيطية إلى أن نسب هسكورة و«صنهاجة» ولمطة وجزولة مشترك من جهة الأم، واستشهد بابن خلدون الذي ذهب إلى أن نسابة البربر يزعمون أن "جزول جد جزولة ولمط جد لمطة وهسكور جد هسكورة وصنهاج جد «صنهاجة» كلهم إخوة للأم، وأمهم هي تصكي بنت زحيك بن مادغس"[4].

[1] أحمد نجيب الدمناتي، القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع، تحقيق وضبط أحمد بن محمد عمالك، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الثانية، مراكش، 2011، ص 23-24.

[2] عبد الوهاب ابن منصور، قبائل المغرب، الجزء الأول، المطبعة الملكية بالرباط، 1388/ 1968، ص 302.

[3] نفسه.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، ج 6، طبعة لبنان، ص 310-419، نقلا عن، عيسى العربي، قبيلة هنتيفة، المجال والسكان من خلال بعض المحطات التاريخية، جريدة منبر ايت اعتاب، العدد الثاني، غشت 2001، ص 4.

وأما بخصوص موطنها فقد عدها من القبائل الجبلية التي استوطنت جبل درن في اتصاله بمجال تادلا. وقد أشار إلى بطونها المتعددة وهي: "مصطاوة (أيت مصاد) وغجدامة وفطواكة وزمراوة وانتيفت وبنو نفال وبنو رسموكت"[1]. وهذه البطون القبيلية لازالت تستوطن جبل درن بين إقليم الحوز ومنخفض واويزغت. كما يؤكد على الفكرة نفسها صاحب كتاب الأنساب، صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي، المتوفى سنة 726هـ_ 1326 م إلى أن أغلب قبائل جبل درن هم إخوة لأم من وريكة إلى أيت مصاد، فقد روى صاحب المخطوط عن دينار بن عبد الرحمان "أن مصطاو وصاد وتيفت وجلاوة هم أولاد توطس، وأن فطواك و سايوي وغجدام وسكور أولاد توطس من امرأة أخرى، ووريك هو ابن توطس من امرأة أخرى، وهو أصغر أولاد توطس.[2] ومن المعلوم أن توطس هو شخصية تاريخية معروفة بالمجال خلال مرحلة الفتوحات الإسلامية للمغرب وهو صاحب السلطة الرمزية والواقعية بالمجال الجبلي لدرن خلال سنة 62 هجرية_ 681 م حينما زار عقبة بن نافع الفهري المنطقة، وكان توطس بن حرما هو الشخص الذي استقبله آنذاك.

تعتبر قبيلة ولتانة من القبائل المجاورة جنوبا لأنتيفا من الناحية الجغرافية، كما تفيد الإشارات الواردة أعلاه اشتراك القبيلتين في الأصول القبلية، فقد أشار ابن خلدون في النص أعلاه إلى أن "تيفت" و"فطواك" أبناء "توطس" من امرأتين مختلفتين. فإذا كانت القبيلتان تشتركان الأصل وتتجاوران في المجال، فإن ذلك غالبا سيؤثر في العلاقات فيما بينهما خلال مختلف المراحل التاريخية التي لا يسعنا في هذا المقال تتبعها منذ الفترة التي تحدث عنها ابن خلدون، لكننا سنقتصر على تتبع هذه العلاقة ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى غاية سنة 1912 استنادا إلى بحث في الوثائق المخزنية وبعض تقارير الأرشيف العسكري الفرنسي. تميزت العلاقة بين أنتيفا وولتانة بنوع من الشد والجدب نظرا لكونها تبادلتا تمثيل دور السلطة الممثلة للمخزن المركزي بمنطقة الأطلس الكبير المركزي عموما.

ثانيا: علاقات التعاون بين أنتيفا وولتانة

عرفت العلاقة بين أنتيفا وولتانة فترات ومحطات من التعاون المتبادل في إطار التنسيق المخزني بينهما خلال فترات مختلفة. فمن خلال الوضع الاعتباري لكلتا القبيلتين وأهميتهما العسكرية والتنظيمية وتجربتهما في تدبير المناطق الجبلية المجاورة إلى حدود قبيلتي "أيت مكون" و" أيت واوزكيت" فقد شكلتا سندا لبعضهما خلال مختلف المحطات التاريخية، وغالبا ما كان تعاونهما وتبادلهما للمساندة بتنسيق مع المخزن الجهوي بمراكش أو المركزي بفاس منها:

[1] نفسه ص 4.

[2] عيسى العربي، قبيلة هنتيفة، م.س.، ص 4.

1-مساندة أنتيفا للقائد علي وحدو الدمناتي في مواجهته أيت مساض سنة 1873

قامت قبيلة أنتيفا بدعم علي وحدو الدمناتي ضد تمرد أيت مساض حيث يقول التوفيق: " بعد سنتين من القتال (بين علي وحدو وكطيوة) وقع التصالح على أن يؤدي كطيوة ما كان عليهم من الواجب للمخزن. ولكنهم ما لبثوا أن عادوا إلى تمردهم، وتحزبوا مع أيت مساض[1]، فخرج علي وحدو لقتالهم. وكان ما يزال مشتغلا بسلب أموالهم وإرسال مواشيهم إلى دمنات، حين وافاه خبر موت السلطان محمد بن عبد الرحمن."[2] وقد وردت إشارة أخرى إلى وجود أعيان وزعماء وجيش أنتيفا مع علي وحدو في هذه المواجهة.

2-دعم ولتانة لابن الطالب ضد أيت عطا:

وقد ساهمت ولتانة سنة 1265 هجرية الموافق لسنة 1848 ميلادية في مواجهة "ايت عطا " إلى جانب القائد «محمد بن الطالب»، إذ يقول: " وردعنا كل ما أمرنا به مولانا الخليفة أعزه الله فقد أمرنا بمائة خيلا من جيشه ومائة من زمران وإعانة أهل « دمنات» وبلغتنا إعانة القائد عبد الله بن أدادس حاركا معه بنفسها مده الله برضوان مولانا الخليفة وإنعامه فكل ما طلبناه منه اجابنا به امدنا الله واياه بطول حياة سيدنا وسعادة ايامه"[3] تجدر الإشارة إلى أن مواجهة حركة أيت عطا نحو الشمال كانت مستمرة خلال القرن التاسع عشر وعرفت مشاركة العديد من قبائل محيط أنتيفا وبزعامة قيادها ودعم من القبائل المجاورة.

3-ثورة أنتيفا على عاملهم وطلبهم التبعية لعلي وحدو الدمناتي (1264-1292هـ/1848-1875م)

أدت الصراعات الداخلية لمكونات أنتيفا بعد إلحاقها بقياد السراغنة إلى استمرار العنف والعنف المضاد، وأدى ذلك إلى استنزاف جهود القبيلة، كما عمل قياد السراغنة على تأجيج هذه الصراعات واستغلال الأعيان بكثرة الواجبات المخزنية، والهدايا للحصول على مهام الأشياخ. وقد أدت هذه العوامل إلى نفورهم من السراغنة فسجلت بعض النصوص التاريخية كما ورد عند أحمد التوفيق في كتابه "اينولتان" تمردهم على هؤلاء القياد وطلبوا تولية علي أحدو الدمناتي عليهم، يقول أحمد التوفيق: "وقد ثار جماعة من أنتيفا على عاملهم، وطلبوا من السلطان أن يدخلوا في عمالة علي وحدو، بعد أن تردد عليه أعيانهم وحظوا منه ببعض الهدايا. ولما صاروا في حكمه، بالغ أولئك الأعيان في استغلال طيبوبة علي أوحدو، فقد ذهبت جماعة منهم تزوره ذات مساء وتثاقلت في ضيافته ستة أيام، تشرب الشاي وتستمري الطعام، ولما أرادوا الانصراف طلبوا من القائد أن يودعهم بهدايا من عنده، وضايقه من أجل ذلك كبيرهم المسمى محمد أوعروب، فوقف القائد يتأوه ويصعد زفرات حارة،

[1] يبدو أن هذا الصراع كان بين ابن الطالب وعلي وحدو الدمناتي على أساس أن أيت مساض كانوا تابعين لأنتيفا. ويمكن أن يكون علي وحدو قد قدم لهم إغراءات للتبعية له كجزء من خطة تقليص نفوذ ابن الطالب بالجبل.

[2] أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثانية، 1983ص 148

[3] رسالة القائد «محمد بن الطالب» إلى السلطان بتاريخ 16 شوال 1265 الموافق 3 شتنبر 1849، م.و.م.، علبة شوال 1265. (و454)

ولما ضجرت زوجته من شكاواه خاطبته من وراء حجاب: ما بك تتنهد أيها القائد؟ فأجابها: إن خويا محمد أوعروب يطلب الهدايا. فردت عليه: اعطه عمامتك إن لزم الأمر، ودع أولئك اللئام ينصرفون بأسرع ما يمكن."[1]، وتجدر الإشارة إلى تبعية قبيلة أنتيفا لقياد ولتانة خلال هذه الفترة حيث أنهكت القبيلة بالصراعات الداخلية والصراعات مع السراغنة فأصبح الأعيان يتلاعبون بها.

ثالثا: علاقة التوجس والحذر المتبادل بين القبيلتين

تميزت هذه المرحلة من العلاقة بين أنتيفا وولتانة بسيادة نوع من الحذر التي اتخذته كلتاهما تجاه الأخرى، فكلتاهما تسعى لتوسيع مجال نفوذها على حساب الأخرى بحكم جوارهما، وقد لعبت العلاقة بالمخزن دورا حاسما في ترجيح كفة إحداهما على الأخرى. ابتدأت هذه المرحلة بالمحاولات التي قام بها القائد محمد بن الطالب النتيفي لتوسيع نفوذه وانتباه المخزن الجهوي[2] بمراكش لطموحاته التوسعية. كما زاد من حدة العلاقة بين أنتيفا والمخزن التوترات المتكررة الناتجة عن رفض أعيان القبيلة ومختلف مكوناتها التبعية لقياد السراغنة الذين يتم فرضهم على القبيلة خلال ولايات متتابعة، تجسد هذا الرفض من خلال الحروب والمواجهات الكثيرة التي استمرت لسنوات كما في ولاية علال الشرقاوي السرغيني على أنتيفا، انتهت هذه التوترات باعتراض قبيلة أنتيفا لمحلة المخزن المتوجهة لقبائل أيت سخمان أدت إلى اقتطاع السلطان جزء من أرض أنتيفا لصالح ولتانة بسبب رفضهم تمويل الحركة المخزنية التي حلت بتنانت وقيام ولتانة بذلك بدلا عنهم.

1-محاولة القائد « محمد بن الطالب» توسيع نفوذه على « دمنات»

لقد تميزت سنوات بداية خمسينات القرن التاسع عشر بنوع من التوتر بين قبيلة «أنتيفا» وولتانة نظرا لاتساع طموحات القائد ابن الطالب من جهة وسياسة المخزن في التقليص من هيمنة القياد الكبار من جهة ثانية. وقد أشارت إحدى الوثائق المخزنية لهذا الموضوع يقول فيها الحاجب السلطاني: " يعلم أدام الله علاه أن القائد «محمد بن الطالب» لما لم يحصل على طائل مما كان يحاوله من التوصل للولاية على «دمنات» وقبائله وأيس (يئس) منهم حيث رءاهم (رآهم) تفطنوا له وعلموا مراده ونفروا منه ومن مخالطته نفور حمر الوحش جعل يغري عليهم المجاورين من إيالته ويضيق عليهم ويفرغ ذلك في قالب التظلم والانتصار لقومه ولم يقصر في أثناء هذا من طلب الولاية عليهم وعلى غيرهم ونحن مع ذلك كله نجيبه ونعامله بما ينبغي ونغض الطرف عن مساويه"[3] لقد كشف هذا النص عن عملية تتبع لسلوكات ابن الطالب وأعماله تجاه القبائل الجبلية، حيث

[1] أحمد التوفيق، إينولتان، م س ص 147

[2] نقصد بالمخزن الجهوي خلال القرن التاسع عشر ممثل السلطان بمراكش الذي كان ينوب عنه في أغلب القضايا والمشكلات التي تقع بقبائل حوز مراكش والجنوب، بينما لا يتدخل السلطان الذي كان بفاس إلا في بعض القضايا التي استعصى حلها.

[3] رسالة من الحاجب السلطاني محمد إلى السلطان بتاريخ 8 جمادى الأولى عام 1267 الموافق 10 مارس 1851، م وم، علبة جمادى الأولى 1851. (و436)

تبين رغبته القوية في بسط نفوذه على ولتانة والقبائل المجاورة لها بعد تمكنه من السيطرة على الممر الشمالي للأطلس الكبير عبر أيت مساظ وأيت بوكماز، لكن هذا ليس السبب الوحيد الذي دفع إلى تقليص نفوذ ابن الطالب، بل كشفت وثائق أخرى[1] إلى عدم حضوره لدار المخزن مرات عديدة رغم توجيه الدعوة له.

كما عمل ابن الطالب قائد أنتيفا على تغيير البنية السكانية لقبيلة ولتانة، حيث أشارت نفس الوثيقة إلى تحويله لجزء من "أيت أنير" وهم من قبائل أيت عطا الذين هاجروا من الجنوب نحو الشمال. وفي إطار عملية التسوية معهم وجههم إلى استيطان مجالات تابعة لقبيلة ولتانة حيث يصرح كاتب الوثيقة: "ومن أقبح أفعاله نقله أيت أنير الخارجين من إخوانهم ءايت عطة من الجبل الذي كانوا فيه وإنزاله إياهم بجبال إيالة « دمنات» مظهرا بذلك تقوية ظهورهم بهم ومريدا في الباطن جر فساد عطة إليهم لأنهم لمزيد من العداوة التي بينهم وبين أيت أنير يتبعونهم حيث ما حلوا ونزلوا ويبقى هو حينئذ يتفرج فيهم، وربما يعين في الباطن عليهم لتنحل عراهم وتكسر شوكتهم وتنسب إليهم قلة الفائدة فينتج ذلك ردا من المدافعة عنهم إليه وذلك لا يكمل ولا يتم إلا بتوليته عليهم إلى غير ذلك من أنواع مكره."[2]. يعد هذا النص معبرا على دهاء ابن الطالب وقدرته التدبيرية التي فطن ممثلو المخزن إليها، وقد نتج عن ذلك توليته مناصب أعلى بفاس[3].

وقد كان لهذه الطموحات في الاستحواذ على مجال قبيلة ولتانة دور في إنهاء مهام ابن الطالب كقائد على قبيلة أنتيفا، حيث شكلت هذه الأحداث نقطة انعطاف في علاقة المخزن بابن الطالب، فرغم الأدوار التي قام بها في ضبط أمور الجبل فإن ذلك لم يشفع له في تجاوز صلاحياته، وهو الأمر الذي وقع لمنافسه القائد أحمد بلقايد السرغيني، فيشير كاتب الوثيقة "فإن استصوب سيدي قمعه وردعه وتولية أخ له لم ينقطع قدومه عن دار المخزن حتى يتربى ويرتح لمرتبته أن يبقى أخوه فإن هذا إبانه، فإن قبيلته ضعفت جدا ومع ذلك فهي تبغضه وأما إسناد أمر ولايته لأجنبي منهم فغير لائق لحزمهم وضبطهم ومقاومتهم فساد الجبالة وغيرهم وإن ظهر لسيادته بقاؤه فإنا لا زلنا نراعيه ونلحظه (نلاحظه) بعين الاعتبار ولا نظهر له إلا الجميل والله يبارك في عمر سيدي."[4].

[1] رسالة من القائد « محمد بن الطالب» إلى وزير السلطان (محمد بن ادريس) بتاريخ 20 جمادى الثانية عام 1265 الموافق 12 ماي 1849، و م و م، علبة جمادى الثانية 1265. (و 446)

[2] رسالة من الحاجب السلطاني محمد إلى السلطان بتاريخ 8 جمادى الأولى عام 1267 الموافق 10 مارس 1851، م وم، علبة جمادى الأولى 1851. (و436)

[3] تم تعيين ابن الطالب بعد عزله عن قيادة القبيلة مكلفا بتدبير شؤون الجيش المخزني على المستوى المركزي.

[4] رسالة من الحاجب السلطاني محمد إلى السلطان بتاريخ 8 جمادى الأولى عام 1267 الموافق 10 مارس 1851، وم وم، علبة جمادى الأولى 1851. (و436)

2-اعتراض القبيلة لحركة السلطان المتوجهة نحو أيت سخمان

لقد اعترضت قبيلة أنتيفا على محلة السلطان المولى الحسن التي كانت بصدد عبور مجالها ورفضت تقديم المؤونة لها فأعلنت نفسها في وضع " السيبة"[1]، فقام السلطان باقتطاع جزء من تراب القبيلة ومنحه للقائد الجيلالي الدمناتي (تنانت وعين تنانت) ولأعيان ايت ماجطن الدين ساندوا المحلة السلطانية.

خلال نفس الفترة التي تولى فيها محمد أوراغ قيادة أنتيفا السهل بعد رفض القبيلة لولاية بوعبيد بن صالح السرغيني، عين السلطان الحاج عبد الله الزناكي على أنتيفا الجبل[2].

كما تولى قيادة قبيلة أنتيفا كلها بعد وفاة محمد أوراغ الذي لم يدم حكمه للقبيلة غير ثلاث سنوات، فمنح مجال نفوذه للحاج عبد الله الزناكي (عهد المولى الحسن) نظرا لصغر سن أبناء محمد أوراغ.3

قام المولى الحسن الأول بسجن ابني القائد المتوفى محمد أوراغ وأعيان القبيلة وزعماءها نظرا لصغر سن أبناء المتوفى من جهة و عدم قدرتهم على تولي قيادة القبيلة، ومن جهة ثانية لمواجهة الاضطرابات التي عرفتها القبيلة حيث رفضت الخضوع لأي قيادة خارجية (قياد السراغنة) فأسند قيادة أنتيفا السهل التي كان أبوهم متوليا عليها للحاج عبد الله الزناكي.[4]

لقد عرفت فترة والد القائد محمد بن عبد الله الزناكي توترات قوية داخل القبيلة، إذ بدأ الانقسام يظهر جليا بين أنتيفا السهل وأنتيفا الجبل. فقد قامت أنتيفا الجبل بطرد والده الذي لجأ الى فرع الزاوية الناصرية بتكلاووت بفطواكة لمدة، ولم يعد الى القبيلة إلا بدعم من السلطان الذي أرسل له جيشا يقويه به. ورغم ذلك لم يكن له القبول من لدن الجميع.

تولى قيادة قبيلة أنتيفا بعد وفاة والده الحاج عبد الله الزناكي في عهد المولى الحسن، وخلال مرحلة الوفاة هذه انقسمت أنتيفا الى قسمين بخصوص العلاقة مع هذا القائد، قسم معه وقسم آخر يرفض حكمه، فلما تولى المولى عبد العزيز عزل القائد محمد بن عبد الله الزناكي لعدم قدرته على ضبط النظام بالقبيلة، ونظرا لعدم وجود أحد الاعيان بالقبيلة الذي يمكن الاطمئنان إليه وإسناد المهمة له لكثرة الصراعات الداخلية التي نتج عنها عدم قبول أي زعيم محلي في محل إجماع كل مكونات القبيلة، فقد عين السلطان القائد الجيلالي بن المودن السرغيني على أنتيفا، أي أنه وسع نفوذه الترابي ليشملها.[5]

---

[1] GERONTTON, « origine de la tribu Entifa », annexe n 2, tourée de Demnat et Entifa, A. D. N. boite électronique 1MA/285/48 , dossier sur l'installation du poste de Tanant, p. 22

[2] GERONTTON, origine de la tribu Entifa, op.cit., p 22.

[3] Ibidem.

[4] GERONTTON, origine de la tribu Entifa, op.cit., p 22.

[5] Ibidem.

رجع السلطان بنفسه ليفرض الخضوع على أنتيفا فهزمهم بأيت ويرار، وقد مرت ثلاث سنوات على فرار عبد الله الزناكي إلى تاكلاووت أصبح النتيفيون منهكين بهذه المواجهات والمواجهات الداخلية فيما بينهم، فلم يستطيعوا غير تضميد جراحاتهم وإعادة بناء منازلهم، فعرفت القبيلة إذن ثلاث سنوات من الازدهار والسلم كانت وفاة الحاج عبد الله في نهايتها. تولى بعد ذلك ابنه سي محمد بن الحاج عبد الله، وبعد توليته بخمس سنوات توفي المولى الحسن، وقد عرفت الخمس سنوات هذه هدوء بأنتيفا بفضل المولى الحسن، لكن بعد موته سادت الفوضى التامة ففر القياد إلى حيث استطاعوا الحفاظ على أنفسهم وممتلكاتهم. فر الحاج الجيلالي الدمناتي إلى تناغملت وفر سي محمد بن الحاج عبد الله، قائد أنتيفا لاجئا إلى أيت اعتاب بتاونزة عند أصدقائه وسقط المخزن في الفوضى العارمة كرد فعل للسلطة الاستبدادية للمولى الحسن، وكانت عودة المولى عبد العزيز من فاس مرورا بالبلد مناسبة لعودة الهدوء للبلد. ومما ميز فترة حكم القائد عبد الله الزناكي بضعف حكمه إلى درجة أن القبيلة رفضت حكمه وفر الى زاوية "تكلاووت" لمدة عامين حتى تم ارجاعه بدعم من حركة مخزنية. وقد نتج عن هذا الضعف فصل أيت مساض عن أنتيفا.

3-قبيلة ولتانة ضمن المكونات البارزة للحركات المخزنية على أنتيفا

عرفت الحملة المخزنية المركزية التي وجهت ضد « أنتيفا» مشاركة مجموعة من قياد القبائل و فرسانهم مثل علي أحدو الدمناتي كما تشير إلى ذلك رسالة المولى الحسن لهؤلاء القياد: "وصيف سيدنا القائد علي أحد الدمناتي وخديمي مولانا القائد علال الشرقاوي والحاج محمد بن صالح أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير سيدنا أيده الله ونصره ،وبعد فإن خبر (البغاة) لم ينه منه شيء لشريف علم سيدنا منذ أخبرناه بما وقع في الصدمة الأولى لعذر المطر العائق لكم من التحرك وبنفس حصول الصحو عزمنا على الأمر بالسوكة وتوجيه الإعانة اليوم لاكن (لكن) أخرنا لصبيحة الغد كي تزداد الأرض جفافا كي يتمكن الناس من نيل الغرض في القتال على الوجه الذي ينبغي في أقل زمان وأقصر وقت لأن التطويل والإمهال يؤذن بالخور والصغار ويحمل الفاسدين على زيادة التمادي والاستكبار مع أنهم ليسوا بشيء وأمرهم لا يهم ولو قاتلتم فيما سلف كما قاتل القائد علال الشرقاوي لاستأصلتموهم عن ءاخرهم (آخرهم) سيما وهم لا يساوونكم في القوة و (كذا) ولكم مزيد خبرة بالحروب ومكايدها دونهم"[1] تتحدث الوثيقة عن حركة مخزنية موجهة ضد قبيلة أنتيفا خلال فصل الشتاء والتي سبقتها حركة أخرى تزعمها القائد السرغيني علال الشرقاوي دامت لمدة تزيد عن العام، حيث تحصن النتيفيون بجبالهم ولم تستطع الحركة أن تنال منهم.

[1] رسالة المولى الحسن خليفة المولى محمد بن عبد الرحمن بن هشام بمراكش إلى القياد المشاركة في الحملة ضد أنتيفا في تاريخ 16 ذي القعدة عام 1279

وقد أشارت الوثيقة إلى اعتماد المخزن على القبائل المذكورة سابقا والتي تشكل ولتانة واحدة منها في تطويع المتمردين من قبيلة أنتيفا، إذ يقول المولى الحسن في تتمة الرسالة: "والآن إن فعل وفعلتما مثل ما فعل قبل فإنكم في دفعة واحدة تستريحون منهم إذ لا تقوم لهم بعدها قائمة ولا تبقى فيهم باقية فقد تبث عندنا من وجوه ان عددهم لا يفي بعشركم لاكن (لكن) حيث استعضتموهم بعثنا لكم من الإعانة ما إن زيد عليهم أضعافهم لكفت وحدها لمقابلتهم وغدا تغدوا عليكم فقوموا على ساق الجد واصبروا وصابروا واثبتوا واعملوا ما يسمع عليكم فإن الناس كلهم متشوفون لما يرد من قبلكم (كذا) الآذان إنكم متغيظون عليهم وكفى فيكم إغراء ما تعانونه من مقاساة الفساد الشدائد في نصح إخوانهم وصاروا (كذا) الوادي لإعانتهم مع أنهم لإعلاء كلمة الزيغ والضلال وأنتم لإعلاء راية الإسلام"[1].

4-تقليص نفوذ «أنتيفا» لصالح ولتانة

عمل المخزن على توسيع نفوذ عامل ولتانة الجيلالي الدمناتي (1875-1904) على حساب قيادة « أنتيفا» من خلال اقتطاع أجزاء كانت تابعة لها وإلحاقها بدائرة نفوذ الجيلالي الدمناتي، فقد " ولاه السلطان على قبائل سائبة، هي بوكماز و تدغة وأيت عطة و إيمغران و دادس[2]، إن استطاع إلى اخضاعها من سبيل.."[3] وقد أفادت الإشارة الواردة في النص " إن استطاع إلى ذلك سبيلا" أهمية هذه المكونات القبلية والبعد الاستراتيجي لخضوعها له بعد أن كانت تابعة للقائد ابن الطالب الذي خرج عن الطاعة والمخزنية وتحالف معها كما أشارت وثيقة أخرى إلى الحركة التي قام بها الجيلالي الدمناتي. ومن المعلوم أن هذا الخضوع لم يكن سهلا، بل كان بعد مواجهات معها وتم إحراق بعض الدور بها. وقد أشارت بعض الروايات الشفوية بقرية عروس الموجودة بين أيت بوولي وأيت بوكماز إلى عملية هدم وإحراق طالت بعض القصبات والدور في إطار حملة مخزنية سابقة.[4]

وقد تحدث لينارس (الطبيب المرافق للسلطان) عن سرور الجيلالي الدمناتي بعبور السلطان لإيالته (ما وراء الجبل) إلى أن خرج إلى إيالة الكلاوي بتلوات التي خرج منها إلى مراكش. ومن المعلوم أن هذه المناطق كانت تابعة من قبل لقبيلة أنتيفا لفترات طويلة، فأصبحت قبيل وصول الفرنسيين تابعة للجيلالي الدمناتي. وقد ورد في النص السابق حضور الطبيب الفرنسي لينارس ضمن أعضاء المحلة السلطانية. وقد استمرت ولايته على هذه المناطق إلى أن نقصت له قبل وفاة الحسن الأول، يقول الغجدامي: "...نقص له تكانة وغجدامة وبوكماز وتودغة من ايالته قبل موت السلطان مولاي الحسن."[5]

---

[1] نفسه.

[2] أورد الأستاذ أحمد التوفيق مجموعة من الرسائل لكل من الوزير المعطي بن العربي والوزير أحمد بن موسى إلى القائد الجيلالي الدمناتي تفيد دخول المناطق المذكورة في نفوذه بما فيها تذغة ودادس.

[3] أحمد التوفيق، اينولتان، م س ص 156.

[4] رواية السيد محمد الموحي، من ساكنة قرية عروس بأيت بوولي.

[5] محمد الغجدامي، التسلي عن الآفات بذكر الاحوال ومافات، م س، ص .218

5-المواجهة بين أنتيفا وولتانة بسبب اقتطاع أرضها

تحدث صاحب القول الجامع عن مواجهة بين القبيلتين قائلا: "وإذ ذاك اجتمعت قبائل أنتيفا، ومعهم قبيلة أيت اعتاب وقبيلة ايت بوزيد وقبيلة ايت عطى لقتال ايت ماجظن، ليستردوا تنانت من أيديهم، فوجه العامل الحاج الجيلالي الإذن للشيخ ابن توتو ليتوجه بالحركة من ولتانة لمعاونة أيت ماجطن. ولكن هذا الشيخ تراخى أو تهاون هو مع الحركة، فوصلوا إلى دوار تفغمات بتودنوست. وفات الأوان، فما أعان أيت ماجطن إلا قبيلة جطيوة وكرول وأيت صالح. فوقع النصر والغلبة لقبائل أنتيفا على جطيوة. فاستردوا تنانت وسكنوها بعد أن استولوا على ما فيها، والله غالب على أمره، وتلك عادة الله في أرضه وخلقه."[1]

وفد السلطان في إحدى حركاته إلى المنطقة سنة 1887م لحل نزاع بين أنتيفا وولتانة، يقول صاحب القول الجامع:"ونزل بتنانت وخيم بأطار بترست، وعاملها فارغ اليد لخروج القبيلة عنه. وفي هذه الأوبئة، كان القائم بالأمور المخزنية (يقصد من تولى قيادة القبيلة واستقبال الوفود المخزنية) هو الحاج الجيلالي، وتقدمت أعيان أيت ماجظن للشكاية على مولانا الإمام بتعدي أنتيفا القاطنين بتنانت عليهم والإضرار بهم، فشهد بذلك عدول من قبيلة السراغنة وأعيانها، فأصدر ظهيره الشريف بإقتطاع البلدة المذكورة، وإعطائها لأيت ماجظن، عوضا عما أضاعوه لهم. وقد أشار القائد الغجدامي إلى إطلاعه على هذا الظهير"[2].

سجلت بعض النصوص التاريخية نوعا من التنسيق بين القبيلتين وهو الأمر الذي يمكن أن يفهم منه أنهما وصلتا إلى نوع من التسوية إذ تحدث الغجدامي عن ملاقاة صالح أوراغ لمحمد أبلاغ وكلاهما بحركته ثم افترقا بدون قتال، يقول الغجدامي: " وقد سمعت بأذناي من بعض أنتيفا التصريح بذلك لما قدم القائد صالح أوراغ الهنتيفي لملاقاة مع الحاج محمد أبلاغ المذكور في واويزغت، بأيت ماجطن، ومع الاول من خيل أنتيفا نحو مائتي فارس، ومع أبلاغ مثل ذلك، فباتوا بدار الشيخ محمد بن حدو الماجطي، وظلوا ثمة، وأكرم أيت مجطن الفريقين بأنواع الأطعمة وعلف البهائم، وفي اليوم الثاني أفطروا، وركب السيد صالح أوراغ، وركب معه أبلاغ يودعه."[3]

كما سجلت بعض النصوص التاريخية مواجهة بين أنتيفا وكطيوة من مكونات ولتانة، يقول الغجدامي بخصوص هذه المواجهة: " وكان أخبرني رجل منهم يسمى الهيسوف أن جيرانه من أنتيفا كانت بينهم وبين جطيوة عداوة، فجعل يدرس (الزرع) على بهائمه بفم الدار، وهو داخلها بسلاحه، ولم يطمع أحد من أعدائه فيها، وكان أنتيفا، وهم تسعة "أعظام"، يجتمعون بخيل كثير ويدخلون بلد جطيوة بقوة، ويطوفون على جميع مزارع

[1] أحمد نجيب الدمناتي، تاريخ دمنات، م س، ص 98.

[2] نفسه، ص 97.

[3] الغجدامي، التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات، م س، ص 128-129.

جطيوة، فلا يجدون شيئا من البهائم ولا من الآدمي، لأنهم يدخلون الدور فيتحصنون بحيطانها ولا مطمع لأحد في ما قرب من الحائط، بل ولا فيما يظهر للحائط، ويدورون في الفضاء طول النهار، فيرجعون خائبين."[1]

رابعا: إخضاع أنتيفا لقياد ولتانة

تميزت هذه المرحلة ببلوغ قبيلة أنتيفا لدرجة من الضعف جعلتها غير قادرة على لم شتاتها بسبب النزاعات الداخلية المتتالية بين مكوناته من جهة، وبفعل استنزاف قياد السراغنة الذين حكموها لجهودها وتشتيتهم لشيوخها من جهة ثانية، فظهرت للمخزن الجهوي بمراكش أهمية إسناد حكمها لقياد ولتانة نظرا لعلاقة الجوار بينهما من جهة ونظرا للمشترك الثقافي بينهما من جهة ثانية وبفضل العلاقات التي أسسها قياد ولتانة مع أعيان أنتيفا من جهة ثالثة.

1-علي الدمناتي قائدا على أنتيفا

تولى القائد علي الدمناتي على أنتيفا قبل وفاة الحسن الأول بعد أن ظهرت عدم فعالية إسناد قيادتهم لقياد السراغنة وفشل قيادها في جمع كلمة القبيلة كلها وتجنيبها الصراعات الداخلية "كان سيدي علي الدمناتي أثناء قدوم خبر وفاة السلطان بحركته بواولى، التي تتكون في معظمها من رجال أنتيفا، من أجل إخماد إحدى الاضطرابات في قبيلة كطيوة. كان سيدي علي محبوبا عند أنتيفا بفضل كرمه ولطفه، اذ يجدون عنده دوما الترحاب والكرم، ولازال الناس يتحدثون عن بعض الطرائف التي حدثت له مع شيوخ أنتيفا.

كما ساهمت قبيلة أنتيفا في دعم ولتانة و إعادة إعمارها بعد عملية الخراب التي أصابتها بعد أحداث الفوضى الموالية لوفاة الحسن الأول، حيث عرفت هجوم الجبليين عليها ونهب دار القائد الجيلالي الدمناتي وانقطعت الأسواق فتبعت ذلك عملية فوضى وركود اقتصادي، ولما انتهت مدة إقامة الجيلالي الدمناتي بزاوية تناغملت بإذن السلطان له بالعودة كانت حركة قبيلة أنتيفا من مكونات الجيش المخزني الذي سهر على عودته وساعده على تثبيت سلطته وساهمت أنتيفا في إعادة تنشيط أسواق دمنات. يقول الغجدامي: " ولما سلبت الأموال والمتمولات من دمنات، ولم يبق بها أنيس من أهلها، وبطلت منافع الأسواق التي كانت تعمر فيها كل يوم بوجود المعلمين والصناع والتجار من سكانها، اضطرت القبائل المجاورون (ة) لهم، من ولتانة وأنتيفا والسراغنة وفطواكة، إلى عمارة مدينة دمنات برجوع أهلها القائمين بأسواقها لاحتياجهم إلى قضاء أوطارهم من الضروريات."[2] وقد كانت هذه المساهمة من علامات حسن الجوار بين القبائل، فبعد الخراب الذي عرفته المدينة نتيجة الاضطرابات تمت إعادة الأمور إلى نصابها بدعم المخزن والقبائل المجاورة.

[1] نفسه، ص 95.

[2] محمد الغجدامي، التسلي عن الآفات بذكر الاحوال ومافات، م س، ص 81

وقد كان لقائد أنتيفا خلال هذا الفترة " دحان الصنهاجي" دور في ذلك إذ تحدث محمد الغجدامي عن ذلك موردا حديثا عن محاولة دحان الصنهاجي ومجموعة من ممثلي القبائل مصحوبين بخيلهم إطفاء فتنة بين أهل دمنات و الحاج علي بن محمد الغوات مستعينا بأيت شتاشن، وقد فر السكان من جديد من دمنات لولا تدخل هؤلاء لرد الأمور إلى نصابها. يقول الغجدامي: " فوجد الحال دحان الصنهاجي وإيالته في جمع، ومعهم ولتانة(الحاج أبلاغ وجماعة جطيوة..)، فبلغهم أن أهل دمنات قد رحلوا منها كلهم، خائفين من النهب على يد الشيخ علي الغوات، فطلعوا حينئذ لدمنات لإطفاء هذه الفتنة."[1] وقد أسفرت عملية التسوية لهذا المشكل بتأخير الغوات عن مشيخة ولتانة وتم تعيين ابن حسي مكانه.

2-ولاية الجيلالي الدمناتي على أنتيفا

وعندما كان السلطان بمشرع بن عبو قدم عنده سي أحمد اولعباس مقدم زاوية تناغملت مع أعيان القبيلة من أجل أن يعين عليهم قائدا من اختياره وحضر الحاج الجيلالي الدمناتي قائد دمنات وسي محمد بن الحاج عبد الله أيضا من أجل تجديد الولاية والحفاظ على موقعه، فعين السلطان قائدان على أنتيفا:

- الأول: الحاج الجيلالي الدمناتي حيث كانت ولايته على أيت انوس والعثامنة وقلعة ابزو وارفالة وأيت امراس وسكورة...
- الثاني: محمد بن الطيبي.

لم يدم هذا التقسيم الاعتباطي طويلا، فقد نظم محمد بن الطيبي حركة للدخول الى فم الجمعة، وبعد أقل من سنة من تعيين القائدين أرسل أنتيفا وفدا عنهم الى السلطان لطلب تغيير القائدين فوافق السلطان على ذلك، فنقل من كان تحت ولاية الجيلالي الدمناتي الى حكم الجيلالي بن المودن ابن القائد السابق لأنتيفا، كما نقل من كان تحت ولاية محمد بن الطيبي الى ولاية دحان الصنهاجي.

لم يكن القائدان يحكمان في الواقع، بقدر ما كان الشيوخ هم من كان يمارس الحكم فعليا، وقد بدأ بعضهم يقوي نفوذه في القبيلة، وبدأت شخصياتهم في الظهور كحكام للبلد وهم: سي محماد أوراغ ببني حسان وعبد الله أوشطو في بوحرازن وحمو أكنشيشن بأمغيزيض وسي عزيز بأيت ويرار وإبراهيم نايت عدي بأيت أنول.[2]

[1] محمد الغجدامي، التسلي عن الآفات بذكر الاحوال ومافات، م س، ص 215

[2] Le capitaine Neigel Roger (chef de l'annexe des A I de Tanant), « Monographie de la tribu Entifa », signée a Tanant le 15 février 1953 , A D N , dossier cote 1MA/285/18, p. 15

وقد دامت هذه الفترة أربع سنوات، توفي بعدها القائد دحان الصنهاجي فاجتمع أنتيفا ليبعثوا وفدا إلى السلطان لتولية الجيلالي بن المودن الذي منحهم مبالغ مهمة، وكان ترشحه مناسبة لتفويت الفرصة على أحد الشيخين المهمين بالقبيلة صالح أوراغ وعبد الله أشطو ليستفرد بالسلطة.[1]

خاتمة

عرفت العلاقة بين قبيلتي أنتيفا وولتانة علاقات تعاون أحيانا، كما عرفت علاقات صراع وتوتر خلال فترات أخرى، فكلتا القبيلتان تشكلان جزءا من قبائل حوز مراكش التي اعتمد عليها مخزن القرن التاسع عشر في كثير من المحطات التاريخية. كما شكلتا داعما للحركات المخزنية المتوجهة لمختلف مناطق المغرب في إطار الحملات التي ينظمها المخزن المركزي لتأديب القبائل والقضاء على التمردات. غير أن الاطماع التوسعية للقياد كثيرا ما أدت إلى توتر العلاقات بين القبائل وإدخالها في دوامة من المواجهات والدسائس التي أنهكت القبيلة وضعفتها، وهذا ما حدث في إطار العلاقة بين هاتين القبيلتين. فقد ابتدأ التوتر بين القبيلتين بمحاولة القائد محمد بن الطالب النتيفي توسيع نفوذه على حساب قبيلة ولتانة مما جعل قياد هذه الأخيرة يستغلون توتر العلاقة بين ابن الطالب والمخزن لإضعاف القبيلة وإدخالها في صراعات انتهت بخضوعها التام لها.

[1] Le capitaine Neigel Roger, op. cit. p. 15

لائحة المصادروالمراجع

- **أرشيف باللغة الفرنسية:**

-GERONTTON, « origine de la tribu Entifa », annexe n 2, tourée de Demnat et Entifa, A. D. N. boite électronique 1MA/285/48 , dossier sur l'installation du poste de Tanant ,

- Le capitaine Neigel Roger (chef de l'annexe des A I de Tanant), « Monographie de la tribu Entifa, signée a Tanant le 15 février 1953, A D N, dossier cote 1MA/285/18.

- **الوثائق المخزنية:**

- رسالة القائد «محمد بن الطالب» إلى السلطان بتاريخ 16 شوال 1265 الموافق 3 شتنبر 1849، وم وم، علبة شوال 1265. (و454)

- رسالة من الحاجب السلطاني محمد إلى السلطان بتاريخ 8 جمادى الأولى عام 1267 الموافق 10 مارس 1851، وم وم، علبة جمادى الأولى 1851. (و436)

- رسالة (و123) المولى الحسن خليفة المولى محمد بن عبد الرحمن بن هشام بمراكش الى القياد المشاركة في الحملة ضد أنتيفا في تاريخ 16 ذي القعدة عام 1279.

- **مصادرومراجع باللغة العربية:**

- أبو بكر بن علي الصنهاجي، المقتبس من كتاب الانساب لمعرفة الاصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور.

- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثانية، 1983.

- أحمد نجيب الدمناتي، القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع، تحقيق وضبط أحمد بن محمد عمالك، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الثانية، مراكش، 2011.

- عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1979، ج 6

- عبد الوهاب ابن منصور، قبائل المغرب، الجزء الأول، المطبعة الملكية بالرباط، 1388/ 1968.

- عيسى العربي، "قبيلة هنتيفة، المجال والسكان من خلال بعض المحطات التاريخية"، جريدة منبر ايت اعتاب، العدد الثاني، غشت 2001

- محمد الغجدامي، التسلي عن الآفات بذكر الاحوال وما فات، تقديم وتحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 2019.

الرواية الشفوية:

- رواية السيد محمد الموحي، من ساكنة قرية عروس بأيت بوولي

تاريخ الولاية والصلاح في بلاد تساوت

من المقاربة الوظيفية إلى المقاربة الأنثروبولوجية

رشيد عابدي،

باحث بسلك الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس

ملخص:

تتعدد المقاربات التي يمكن من خلالها دراسة ظاهرة الولاية والصلاح بالمغرب عموما، وفي بلاد تساوت بصفة خاصة، اقتصر هذا المقال فقط على مقاربتين، هما المقاربة الوظيفية والمقاربة الأنثروبولوجية، فمن خلال الأولى سلطنا الضوء على مختلف الوظائف والأدوار التي لعبها أولياء بلاد تساوت، والتي اختلفت بين الأدوار العلمية والدينية التي تعتبر الوظيفة الأساسية للزوايا، وكذلك الأدوار الاجتماعية كالإيواء والاطعام التوسط والتحكيم وإعمار الأرض إضافة إلى الأدوار الاقتصادية كتطوير الفلاحة. أما المقاربة الأنثروبولوجية فقد مكنتنا من فهم الزاوية في حد ذاتها باعتبارها بنية ثقافية واجتماعية، سواء من حيث المرتكزات التي تقوم عليها قدسية أولئك الشيوخ أو من حيث معرفة العناصر التي يمكن من خلالها تمييز زاوية عن أخرى، بالإضافة إلى تحليل الرموز الثقافية التي يتأسس عليها الخطاب الصوفي.

Résumé :

Il existe de nombreuses approches à travers lesquelles on peut étudier le sujet du soufisme et maraboutisme, au Maroc en général, et dans la région de Tassaout en particulier. Cet article focalise seulement sur deux approches, à savoir l'approche fonctionnelle et l'approche anthropologique , la première met le projecteur sur les différentes fonctions et rôles joués par les saints de Tassaout, qui différaient entre Des rôles scientifiques et religieux, considérés comme la fonction de base des zawiyas, ainsi que des rôles sociaux tels que se loger, se nourrir , la médiation, l'arbitrage et le peuplement de l'éspace , en plus des rôles économiques tels que le développement de l'agriculture. Quant à l'approche anthropologique a permis d'appréhender la zawiya en elle-même comme une structure culturelle et sociale, que ce soit en termes de fondements sur lesquels repose le caractère sacré de ces cheikhs ou en termes de connaissance des éléments à travers lesquels une zawiya peut être distingué d'un autre, en plus d'analyser les symboles culturels sur lesquels repose le discours soufi.

مقدمة

تعددت الكتابات حول ظاهرة الولاية والصلاح بالمغرب، إذ نجد الكتابات التقليدية المتمثلة فيما عرف بكتب المناقب والتي اهتمت بمناقب الصلحاء وكراماتهم، وهي الكتابات التي تم تأليفها في الغالب من طرف أبناء العائلات المرابطية أو المريدين. النوع الثاني يتمثل في الكتابات الكولونيالية والتي درست الزوايا في إطار المشروع السياسي الاستعماري الذي يسعى إلى فهم المجتمعات المحلية لضبطها من جهة وحسن استغلالها من جهة أخرى، وهذه الأخيرة اعترتها العديد من النقائص للأحكام المسبقة والمغالطات التي كانت تروجها. بالإضافة إلى ما ذكر سادت أيضا كتابات سلفية، هاته الأخيرة انقسمت إلى فرقين، الأول هاجم ظاهرة الصلحاء والزوايا كبدعة تمس جوهر العقيدة وتجانب الاسلام الصحيح، والثاني حاول الانتصار للصلحاء حيث اعتبرهم ورثة الأنبياء وبالتالي فإن خص الله الرسل بالمعجزات، فقد خص أيضا الأولياء ببعض الكرامات.

سنحاول في هذا المقال التركيز على تجاوز تلك المقاربات التقليدية في دراسة الزوايا، وذلك بتسليط الضوء على ظاهرة الصلاح ببلاد تساوت اعتماد على مقاربات جديدة،

وهكذا ففي المقام الأول سنسلك مقاربة وظيفية نستعرض خلالها مختلف الوظائف التي لعبها الأولياء خدمة للمجال الذي استوطنوه، أما في المقام الثاني فسنعتمد على مقاربة أنثروبولوجية نسعى من خلالها تجاوز الأحكام المسبقة والحرص على تحليل ودراسة ظاهرة التصوف والزوايا لفهمها كنسق ثقافي، باعتبارها إحدى أهم عناصر بنية المجتمع وذلك في علاقتها بالمعتقدات الدينية والمخيال الشعبي، وذلك بالارتكاز على نماذج من بعض أولياء السراغنة وزمران.

أولا: المقاربة الوظيفية

تناولت الكتابات الاكاديمية موضوع الزاوية بمقاربات مختلفة، من أهم تلك المقاربات نجد المقاربة الوظيفية ونسعى من خلالها إلى توضيح مختلف الوظائف التي لعبتها الزوايا عبر التاريخ، وهي وظائف متعددة منها ما هو ديني وما هو اجتماعي وما هو سياسي وما هو اقتصادي...، وبطبيعة الحال فمختلف هذه الوظائف نجدها حاضرة عند أولياء بلاد تساوت ومن أهمها نذكر ما يلي:

1- إعمار الأرض:

نجد في مختلف المصادر إشارات حول العديد من المناطق التي كانت عبارة عن خلاء، لكنها تحولت إلى تجمعات سكانية مهمة بعد استقرار شيوخ الزوايا فيها، مما يؤكد الدور الكبير لهؤلاء الصلحاء في إعمار الأراضي في المغرب عموما، وفي بلاد تساوت بشكل خاص.

ومن الأمثلة العديدة على ذلك ببلاد تساوت نذكر على سبيل المثال سيدي علي الكتا الذي انتقل إلى بلاد تساوت(ق13/6م)، وبعد استقراره بها كان حفدته سببا في إعمار تلك الأرض التي كانت غابوية وشبه فارغة من السكان. ومن الأمثلة الأخرى على هذا الدور نذكر الزاوية الناصرية التي اتخذت من اكادير بوعشيبة مقرا لها فتحولت إلى مجمع سكني يشبه مدينة قائمة بذاتها.

ونشير في هذا الإطار أيضا إلى سيدي أحمد الشريف، أحد صلحاء ازنادة، والذي يعزى إليه تعمير تلك المنطقة التي كانت أيضا شبه فارغة إلى حدود القرن التاسع عشر، ويسجل لنا الموروث الشعبي هذه الأدوار التي لعبها شيوخ الزوايا كما تظهر ذلك الاغنية التراثية التالية: "سيدي أمحمد الشريف عمر لينا بلادنا قري لينا أولادنا".

تطوير الفلاحة

ساهم شيوخ الزوايا بالمغرب عمو ما كما هو الشأن بمنطقة السراغنة في تطوير الاقتصاد الزراعي إما عن طريق ممارسة الفلاحة بأنفسهم، أو تلقين تقنياتها للمريدين والأتباع وحثهم على مزاولة هذا النشاط الحيوي الذي يوفر الأمن الغذائي للناس. وقد كان هؤلاء الصلحاء يساهمون في تطوير النشاط الفلاحي كذلك بالسهر على إنجاز ومراقبة التجهيزات الهيدروليكية كالآبار والسواقي، حتى أن أحد أولياء تساوت عرف باسم "سيدي فراق المياه"[1]، وقد كانت الساقية السلطانية التي تعتبر أهم المشاريع المائية في بلاد تساوت، تحت نظر الولي الصالح سيدي التهامي الناصري[2]. الشيء الذي مكن من ضمان نوع من التوازن والاستقرار لاستغلال هذه المنطقة، وهو الشيء الذي انعكس بالإيجاب حيث تم استغلال الأراضي الشاسعة المجاورة لها، والتي اشتهرت بمنتوجاتها المتنوعة.

وقد لا نبالغ إذا قلنا أنه لولا صلحاء تساوت لكان من الصعب العيش في هذه المنطقة، وهكذا فبفضل سيدي حسين الناصري الذي مارس أشغال الغرس والفلاحة واستقدم لذلك مجموعة من الصحراويين إلى زاوية تكلاوت –أكادير بوعشيبة، فتمكن بفضل جهوده من تحويلها إلى ما يشبه استغلالية فلاحية تأسست على المساحة المسقية لساقية تكلاوت، وذلك ما جعلها منطقة مناسبة لاستقرار العديد من الناس[3].

ومن الأمثلة الأخرى نذكر سي مصور الذي كان يوصي أولاده بتعاطي الفلاحة، وبفطناسة دوار أولاد مبارك كذلك كان سيدي عبد الرحمان بن الحاج سليمان فلاحا وكسابا. وقد كانت الزاوية أيضا تستغل مكانتها

[1] الحسن شوقي، صلحاء تساوت دراسة تاريخية، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات مراكش، ط2011/1، ص. 48

[2] يونس بن الهاشمي، أساليب الري التقليدي بالحوز الشرقي: أنموذج الساقية السلطانية، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة القاضي عياض السنة الجامعية 2015/2014، ص. 79

[3] الحسن شوقي، صلحاء تساوت ص. 45

الرمزية في القبائل لتقوم بمراقبة السواقي كما هو الشأن بالنسبة للساقية السلطانية أشهر السواقي التاريخية بالمنطقة[1]، التي كان لها دور مهم في ازدهار الفلاحة ببلاد السراغنة.

2- الأدوار العلمية والدينية :

تعتبر قبائل بلاد السراغنة وزمران من اهم القبائل الحافظة للقرآن في المغرب، ولعل هذه الشهرة في حفظ القرآن والاقبال على العلوم الدينية يمكن أن تفسر بالعدد الكبير من المدارس التي توجد بها، وهي المدارس التي أنشأها الأولياء ودرسوا فيها. وإلى جانب ذلك كانوا يمارسون عدة وظائف دينية وعلمية كالإمامة والوعظ والارشاد والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها الفقيه بن كروم الذي بنى مسجد القصور ودرس فيه ونشر العلم إلى وفاته سنة 1799، ومن الأمثلة الأخرى أيضا ذكر سيدي علي موسى في بروطة الذي كان يدرس في مدرسة القائد أحمد بن المؤذن (ق19) حيث احتضنوه لصلاحه وتدريسه ابناءهم[2].

3- الإيواء والإطعام :

يعتبر الايواء والإطعام من الوظائف الأساسية والدائمة لجميع زوايا المغرب، وهي من القيم التي تحدد السلوك الاجتماعي للأولياء الذين تتحول منازلهم وزواياهم إلى ملاجئ للخلاص الجماعي من الفقر والجوع وكذلك ظلم الحكام والمخزن، وتزداد هذه الوظيفة حيوية على الخصوص إبان الازمات كالجفاف. فالإيواء والاطعام ممارسة متأصلة في السلوم الصوفي بالمغرب واعتبر من الغايات التي من أجلها شرع الاجتماع في الرباطات والزوايا.

وما قيل على زوايا المغرب أعلاه يسري على كل الزوايا الموجودة بمنطقة السراغنة وزمران، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر زاوية سيدي ادريس التي عرفت منذ القديم عند كافة الناس كمأوى للسابلة والمنقطعين وغير الامنين وكذلك المغتربين.

4- التوسط والتحكيم

تعتبر الوساطة والتحكيم من أهم الوظائف التي لعبتها الزوايا بالمغرب، وقد كانت تمارسها بفعالية كبيرة نظرا للمكانة التي يحظى بها الصلحاء وشيوخ الزوايا لدى العامة والخاصة على السواء، وبذلك كانت الزاوية هي الملاذ عند استنفاذ كل المحاولات، ولم تكن تلك الوساطة في الصراعات القبلية فقط بل كانت تتدخل حتى في حال وجود صراع بين القبائل والمخزن أو بين ممثلي المخزن على المستوى المحلي وبين السلطة المركزية.

[1] نفسه ص. 49

[2] نفسه، ص. 59

هكذا إذن، كان للزوايا دور مهم في حقن الدماء في الكثير من الصراعات، ومكنت من توفير أهم شروط الازدهار وهو الأمن، بطبيعة الحال تصبح هذه الأدوار أكثر حيوية في الأوقات التي تضعف فيها السلطة المركزية حيث تحاول الزوايا ملء تلك الفراغات التي يخلفها ذلك الضعف. وفي هذا الإطار عرف الرحاليون بحل الخلافات حول الرعي والحرث والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الاشخاص والفرق والقبائل، ويكون ذلك مقابل بعض الهدايا أو مقابل مالي.

بل أكثر من ذلك فمؤسس الزاوية الرحالية التي عاصرت فترة الاضطراب السياسي التي تلت نهاية الحكم الوطاسي وبداية الحكم السعدي، لعبت دورا هاما في تبديد الخلاف الذي قام حول الحكم بين محمد الشيخ السعدي وأخيه مولاي أحمد الاعرج بعد وفاة والدهما.

ونفس الشيء يقال عن الزاوية الناصرية التي حفظت الامن والاستقرار بفضل تواجدها بموقع حساس يعتبر حدا فاصلا بين قبيلة كلاوة وفطواكة الامازيغيتين وقبيلة أولاد وكاد المنتمية للسراغنة والمستفيدة من الساقية التي تمر بجوار الزاوية والتي تسمى بتكلاوت[1].

ثانيا: المقاربة الأنتربولوجية:

تسعى المقاربة الأنثروبولوجية إلى دراسة الزوايا كبنية ثقافية قصد فهمها من الداخل، فتحاول الكشف عن البنية الذهنية التي تساهم في تشكل مكانة الأولياء، وهي البنية التي تساعد في فهم الأسس التي تقوم عليها العلاقات بين مختلف مكونات المجتمع وتسمح لشيوخ الزوايا بأداء وظائفهم بفعالية، وهنا تبرز عدة مفاهيم كمفهوم البركة ومفهوم الكريزمة ومفهوم العار...، وسنسعى بدورنا لمحاولة فهم الزوايا في المنطقة من خلال تصنيفها بناء على عدة معاير، وسنحاول كذلك فهم تلك الأسس التي تقوم عليها قدسية الصلحاء، وسنختم تلك المحاولة بمقاربة زوايا المنطقة كنسق ثقافي يحبل بالرموز.

1- تصنيف الزوايا ببلاد تساوت[2]

من حيث الامتداد الروحي وعلاقته بالمجال الجغرافي يمكن أن نصنف الزوايا إلى زوايا لها امتداد واسع إلى المستوى الوطني، والذي يمكن أن تتعداه أحيانا إلى المستوى الدولي. هاته الأخيرة وجدت لها موطئ قدم في بلاد تساوت، مثل الزاوية القادرية والناصرية والتيجانية. وبين زوايا يقتصر امتدادها على المستوى الجهوي كما هو الشأن بالنسبة للزاوية الرحالية.

---

[1] نفسه، ص. 80.

[2] اعتمدنا في هذا التصنيف على الدراسة التي أنجزها فوانو حول زوايا مراكش والجهة المجاورة.

أنظر:

L. Voinot, « Les Zaouias de Marrakech et de la région voisine », R. G. M., N: 1/ 1937, p.p. 5-53

فمن حيث حجم الامتداد الروحي على المجال الجغرافي نميز بين ثلاثة أنواع من الزوايا، زوايا على امتداد وطني كبير، يتجاوز نفوذها الروحي أحيانا المغرب، وقد عرفت بلاد تساوت تواجد هذا النوع من الزوايا حيث استوطنت عدة فروع لهذه الزوايا الطرقية الكبرى، ومن أهم الزوايا الكبرى التي امتدت لبلاد تساوت نذكر على سبيل المثال القادرية والناصرية والتيجانية.

وهناك زوايا أخرى لم تصل ذلك الإشعاع الذي وصلته الأولى وبقي نفوذها الروحي منحصرا على المستوى الجهوي، نتحدث هنا عن زوايا أم تأسست ببلاد تساوت وانتشرت فروعها في عدة مناطق من المجالات المجاورة وأبرز مثال على هذا النوع الثاني يتجسد في الزاوية الرحالية. كما نجد نوعا آخر من الزوايا لم ينجح في خلق أي امتداد بعد التأسيس، نتحدث هنا عن زاويا ظلت مستقلة كما هو الشأن بالنسبة للزاوية الزعرية بين زمران والرحامنة (بني زيد).

1-1- زو ايا بلاد تساوت حسب توسع النفوذ والاشعاع:

الزو ايا الطرقية الكبرى

- القادرية:

زاوية أولاد سيدي منصور

زاوية سيدي الحطاب (بني عامر)

زاوية الحنون (أولاد فكرون)

زاوية سيدي الهواري(أولاد يعكوب)

زاوية ركراكة (بني عامر)

- **الناصرية**

زاوية سيدي الناوي (العنابرة)

زاوية سيدي عيسى بن سليمان(أولاد سلامة)

زاوية سيدي بوعزون (الفرايطة)

زاوية بن وافا (أولاد سلامة)

زاوية سيدي محمد بوحمدي مسناوة (أولاد سيدي رحال)

زاوية سيدي محمد بن بوزيد (أولاد خيرة)

زاوية سيدي علي بناصر (سيدي رحال)

- **التومية:**

زاوية سيدي بوعنان (أولاد يعكوب)

زاوية بمدينة القلعة

- **التيجانية**

فرع بأولاد خلوف

فرع بأولاد عراض

فرع بقلعة السراغنة

زوايا ثانو

- **الرحالية**

سيدي عبد الرحمان(القلعة)

سيدي علي بن النويتي(أولاد الشرقي)

مولاي رحال (أولاد سيدي رحال)

زاوية سيدي أحمد بن عبد العزيز(بوهولة)

سيدي إبراهيم بن كانون (العثامنة)

زاوية سيدي زعير بن اعلي (الشعرا)

سيدي علي الكتاوي(أولاد سيدي رحال)

زاوية اكتاوة (أولاد زراد)

- **الكتانية**

زاوية سيدي ادريس (أولادخلوف)

زاوية الفقيه سي المعطي بن الشيخ(فطناسة)

زاوية القلعة (حي العوينة)

- **زوايا مستقلة**

سيدي أحمد بن زينب (أولاد كايد)

سيدي عمر بن جبور(أولاد كايد)

الزاوية الزعرية بين زمران والرحامنة (بني زيد)

سيدي عمر بن الحسن(أولاد فكرون)

سيد أحمد بن عبد الله (أولاد فكرون)

سيدي أحمد بن منيار (بني عامر)

سيدي منصور بن عميري(أولاد بوعلي)

سيدي محمد بن التوهيمي(أولاد سلامة)

سيدي عبد الله بن مسعود(أولاد فكرون)

سيدي إبراهيم بن الشيخ (بني عامر)

سيدي بو محمد الصالح (بني عامر)

سيدي محمد بالكرن (الوناسدة)

2-1- زوايا بلاد تساوت حسب النسب الشريف:

المرتكز الثاني الذي يمكن ان نصنف به الزوايا هو الأصل الشريف، حيث يمكن ان نميز بين الشرفاء الأدارسة والشرفاء العلويين.

- **الشرفاء الأدارسة:**

سيدي إدريس على الواد الأخضر

سيدي بومحمد صالح، مول سبع سميات (أولاد أحمد)

سيدي موسى بن قرقور (أولاد سعيد)

سيدي إبراهيم بن كانون (العثامنة)

سيدي علي الكتاوة

سيدي موسى على واد تساوت

سيدي المعطي بن الشيخ (أولاد عيسى)

سيدي بوعنان (أولاد يعكوب)

- **الشرفاء العلوين:**

سيدي بلغيث (أولاد سلامة)

زاوية القراقرة

سيدي عبد الرحمان (أولاد يعكوب)

الفقيه بن كروم (أولاد سلامة)

2- مرتكزات"قدسية"الأولياء بالسراغنة وزمران

تقوم "قدسية" صلحاء بلاد تساوت، شأنهم في ذلك شأن سائر أولياء المغرب، على ثلاث مرتكزات أساسية: أولها الشرف السلالي، كرأسمال رمزي مهم يمتلكه الولي، ويكون ذلك بالانتساب إلى أهل البيت أو أحد الصحابة. ثم يأتي في المقام الثاني السند الصوفي الذي يكتسبه الولي بعد مسار علمي طويل يقوده إلى الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وغالبا ما يتوج هذا المسار بمنحه الاذن لبناء زاويته الخاصة. هذا وتكتمل قدسية الولي بالاعتراف الرسمي من قبل المخزن.

2.1- الشرف السلالي: رأسمال رمزي موروث

مبدئيا يتوفر جل أولياء تساوت على رأسمال رمزي، موروث، يتمثل في الانتساب إلى آل البيت، وهو الأمر الذي توضحه شجرات النسب التي تكون معلقة في كل الزوايا، أو يكون مدونا في كتب المناقب، بل نجده حتى في المراسلات المخزنية. ومن الأمثلة على ذلك نورد هذا النص الذي يوضح نسب سلالة سيدي ادريس بالواد الأخضر إلى آل البيت: "...الشريف السيد محمد بن العربي بن علال بن محمد بن علي... ومن توصل اليه ... أبو زيد بن سيدنا ادريس... بن سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبطي بن سيدنا على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة بنت مولانا رسول الله... والحمد لله رب العالمين"[1].

بالإضافة إلى هذا الانتماء إلى آل البيت نجد العديد من الأولياء ينتسبون إلى أحد الصحابة خصوصا إل عمر بن الخطاب أو أبو بكر الصديق، فسيدي صالح الذي أصبح قبره مزارة للناس بمدينة قلعة السراغنة يقال انه من نسل الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب[2]. أما أولاد الشيخ ببني عامر فيدعون انهم من سلالة أبي بكر الصديق[3].

وهنا لا بد من الوقوف على المزايا التي يحققها هذا النسب العمري لبعض الصلحاء، أو النسب إلى نسل أبي بكر الصديق، حيث يمكن اعتباره وسيلة تضعهم في منأى عن الصراع السياسي الدائر حول السلطان والذي أصبح من متطلباته الانتساب لآل البيت. وفي نفس الوقت يميز هذا النسب الجماعة المرابطية عن العامة ويحفظ لها الامتيازات التي تتمتع بها، ومنها إمكانية الاقتران بامرأة تنتسب لآل البيت[4].

2.2- السند الصوفي: رأسمال رمزي مكتسب

ترتبط أجيال الأولياء بحبل يسميه الصوفية بالسند[5]، وعلى الأرجح جميع أولياء المنطقة اقتدوا بأسلوب صوفي واحد هو الأسلوب الجزولي الشاذلي الذي وضع مبادئه الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. ولفهم مسألة السند الصوفي سوف نعتمد على زاوية لها علاقات متينة مع منطقة الدراسة، وهي الزاوية التي أسسها أبو عبيد الله الشرقي زوايا منطقة تادلا المجاورة لبلاد تساوت.

فقد أخذ الشيخ الشرقي عن والده سيدي أبي القاسم في زاويته بتادلا، وتوسعت أسانيده التباعية الجزولية الشاذلية على يد كبار شيوخها، فاخذ عن الشيخ محمد عبد الله بن ساسي، وعن الشيخ أبي محمد

[1] الحسن شوقي، صلحاء تساوت، ص. 43

[2] نفسه، ص. 73

[3] نفسه، ص. 92

[4] يكلماندیل، "الاسلام في المغرب"، ج 1، ترجمة محمد اعفيف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص. 52

[5] عبد الوارث أحمد، "أولياء تادلا خلال ق16، ملاحظات أولية". ضمن ندوة: تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1993، ص57-58

عبد الله الغزواني، كما اخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله بن عمر المختاري، وكلهم اخذوا عن الشيخ عبد العزيز التباع الذي اخذ عن القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي وهو الأصل بالمغرب ومنه تفرعت طريقة الشاذلي.

" الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي، اخذ عن الشيخ عبد الله أمغار، أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمان الرجراجي، عن الشيخ أبي الفضل الهندي، عن الشيخ سيدي عنوس البدوي، عن الشيخ سيدي أحمد القرافي، عن الشيخ أبي عبد الله المغربي، عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن القطب سيدي عبد السلام امشيش، عن القطب سيدي عبد الرحمان المدني، عن القطب تقي الدين الفقير بالتصغير،...،عن القطب فخر الدين، عن القطب نور الدين، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين، عن القطب زين الدين القزويني، عن القطب إبراهيم البصري، عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني، عن القطب سعيد، عن القطب سعد، عن القطب فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن القطب جابر، عن قطب الأقطاب الحسن السبط رضي الله عنه، عن أبيه سيدنا مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عن سيد الوجود سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام"[1].

ما يمكن إبداؤه حول سلاسل التصوف عموما أنها كلها، ماعدا القليل منها، ينتهي إلى علي ابن أبي طالب دون غيره من الصحابة وهو ما يجعل البعض يربط بين التصوف والتشيع [2]، أو على الأقل إرجاع منشأ التصوف إلى الإمام علي وذريته، وأن كل أقطاب وطرق التصوف نهلوا منها[3]، وهو الأمر الذي يستبعده البعض بحجة أن الإمام علي لم يكن أكثر أصحاب الرسول(ص) زهدا، خصوصا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب[4].

2.3- الاعتراف الرسمي من المخزن: رأسمال رمزي ممنوح

تكتمل قدسية الولي وتبلغ أقصى مداها باعتراف سياسي رسمي من السلاطين. هذا الاعتراف يتم من خلال ظهائر التوقير والاحترام التي كان يحظى بها الأولياء والصلحاء في سائر جهات المملكة الشريفة. ويعتبر ذلك بمثابة مكافأة لهم نظير المجهودات التي يبذلونها في نشر العلوم وتلقين الناس أمور دينهم. وجل أولياء بلاد تساوت كانوا يحظون بظهائر التوقير والاحترام، حيث يحتفظون بها من جيل لآخر، ويدلون بها عند الحاجة لأنها تؤكد نسبهم الشريف الذي يميزهم عن العامة، وفي نفس الوقت كانت تلك الظهائر تضمن لهؤلاء الشرفاء عدة امتيازات كالإعفاء من سائر الأعمال والكلف المخزنية (الضرائب، السخرة، الحركة، المؤونة، الغرامة)[5].

[1] العروسي عبد الخالق، المرقي في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، تحقيق محمد الشرقاوي بن العربي، طوب بريس، الرباط، ط.1 . 2017، ص.ص. 300-301

[2] إلهي ظهير إحسان، "التصوف: المنشأ والمصادر"، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط.1، 1986، ص . 148

[3] أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباء، التعرف لمذهب أهل التصوف، بيروت 1993، ص. ص.21-22

[4] إلهي ظهير إحسان، التصوف: المنشأ والمصادر، م.س.، ص.97

[5] شوقي، صلحاء تساوت، م.س.، ص. 92

وقد كان المخزن أحيانا يتنازل لصالح الزوايا عن ضرائب منطقة معينة كما هو الشأن لهذا الظهير الذي يأمر فيه محمد الخامس بالتنازل عن جباية الضرائب لصالح حفدة الولي سيدي عيسى بن سليمان، على أن يتم تخصيصها لترميم الضريح: " يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره أننا بحول الله وقوته أقررنا حملته الشرفاء حفدة الولي سيدي عيسى...على التصرف فيما يجبى لضريح جدهم المذكور من الهبات ويجلب له من الفتوحات على عادتهم مألوفة... على أن يقوموا بإصلاح الضريح فيما افتقر للإصلاح والترميم، والتمشي في ذلك على المنهج القويم إقرارا تاما فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة شريف امرنا بإجرائهم على مقتداه والسلام..."[1].

وتطورت مسألة الظهائر ولم تعد تشمل هذا الجانب الرمزي، بل أصبحت هذه الظهائر ذات طابع تدبيري لشؤون الزاوية، يتعلق بتعيين القيمين عليها، أو الفصل في بعض النزاعات التي تنشب بين أبناء الصالحين، كما يثبت ذلك هذا الظهير الذي يعود لبداية القرن السابع عشر، والذي يعين من يتولى امر الزاوية الزعراوية:"... أقررنا بحول الله وقوته... لحملته المرابطين أولاد الولي الشهير سيدي أمحمد بن عامر بن أعمارة بن الولي الصالح سيدي أمحمد الكرن... القاطنين بين قبيلة زمران وحربيل...على ما بأيديهم من ظواهر أسلافنا الكرام... المتضمنة توقيرهم واحترامهم.. لكونهم زوايا معظمين وموقرين... وانعمنا على أخيهم السيد أعمارة بالتقدم على إخوانهم... وأوليناه امر زاوية جده ... فنأمر بالسير على عادة اسلافهم والمجاهدة في طاعة الله واثبتناه في أوائل ربيع النبوي عام 1017"[2].

3- قراءة في بعض الرموز الثقافية المرتبطة بالتصوف.

3.1- الترميز والاستنساخ :

إن الترميز إحدى الدعائم الأساسية لتقوية النص الكرامي وتهيئ المتلقي نفسيا لاستقبال الغريب والعجيب فيه، فبدون الرمز يعتبر النص المنقبي ركيكا. وهي رمزية تعيد تقليد السلف لتأكيد هذه الولاية، فلا يستطيع تجاوز المخيال والموروث الكرامي للأولياء والأنبياء بانفراده بكرامة لا مرجعية لها، لأن من شأن ذلك أن يشكك في مصداقيتها.

لمحاولة فهم مسألة الرمز في الكتابات المنقبية، والخطاب الصوفي عموما، سوف نحاول تحليل إحدى كرامات أولياء المنطقة، حيث تقول هذه الكرامة بأنه لما عسر الحفر على العمال المكلفين بشق الساقية

[1] نفسه، ص. 103

[2] شوقي، صلحاء تساوت، ص. 96

السلطانية، بالقرب من الزاوية الناصرية، استدعوا هذا الولي الذي ضرب بعصاه المكان الذي استعصى على العمال حفره فانساب منه[1].

فهذه الكرامة لا يمكن قراءتها إلا بالتناص مع النص القرآني، حيث قامت باستنساخ الرمز النبوي لموسى عليه السلام (العصى) حين استسقى لقومه فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتي عشر عينا (ما ورد في صورة البقرة الآية 59). وتجدر الإشارة أن مثل هاته الكرامة تتزامن دائما مع فترات الجفاف، فاستحضار رمز هنا يسهل ادماج هذا النص في المخيال الشعبي، وهو الأمر الذي سيكون من الصعب في حال غياب هذا الرمز. فلو قلنا مثلا أنه ضرب بفأس أو بأي أداة أخرى ربما لن تحقق الكرامة الصدى المرغوب. وتجدر الإشارة أخيرا إلى أن كرامة الضرب بالعصا لا تقتصر على أولياء تساوت بل هناك العديد من الأولياء على الصعيد الوطني ذكرت هذه الكرامة في الكتابات المنقبية التي تتحدث عنهم.

3.2- حضور السلطة الوقتية:

من الأمور الأخرى التي نسجلها في كرامات بلاد تساوت، بل في كل النصوص التي تتحدث عن الأولياء في كل مناطق المغرب، فهي ذكر السلطة السياسية، والتي تتجسد في ذكر السلطان (غالبا السلطان الأكحل) أو وزير، وأحيانا نجد بعض ممثلي المخزن. وغالبا ما يتم ذكر هذه السلطة المخزنية في إطار مواجهة أو صراع أو تحدي مع أحد الأولياء، وتنهي هذه الوضعية بكسب الرهان من طرف الولي الذي يمثل السلطة الروحية.

ونمثل لهذا النوع من الكرامات بتلك الكرامة التي تقول بأن السلطان الاسود أراد أن يثبت عجز الولي سيدي بو أمحمد (أولاد أحمد)، فاتاه السلطان بمحلة كبيرة فطلب منه الماء والدقيق، فطلب الولي ذلك من الجبل فأرسل له واد تساوت والواد الأخضر، لكن السلطان، زيادة في اختبار الولي أراد أن يسقي المحلة عسلا، فاتى نحل من الحجم الكبير فبدأ يعض محلة السلطان فولى مدبرا. ولذلك يسمى هذا الولي ب (مول النحلة)[2].

هذه الكرامة تستغل حقائق تاريخية ومجالية لنسج النص الكرامي لجعله شبيه بالحدث التاريخي. السلطة الزمنية (السلطان) التي تشكك وتريد إظهار عجز السلطة الروحية هو ما أدى إلى ظهور الكرامة عند السلطة الروحية (الولي) فانتصر على السلطان بعد أن أصبح مثل الابطال الخارقين يتحكم في قوى الطبيعة.

الغاية من هذه الكرامة هي الارتقاء بالولي إلى قمة الولاية الصوفية على غرار السلطان الذي يوجد في قمة السلطة السياسية، فهذه الكرامة تؤدي وظيفة إعلامية تساهم في زيادة الانبهار بالولي ونشر ذلك بين صفوف العامة.

[1] بن الهاشمي، أساليب الري التقليدي بالحوز الشرقي: أنموذج الساقية السلطانية، م.س.، ص. 80

[2] شوقي، صلحاء تساوت، ص. 51

3.3- دلالات الأرقام في الخطاب الصوفي:

من المسائل التي نجدها تتردد بكثرة في النصوص المنقبية هي الأرقام، فقد ينادي أحد بعدد معين من الصيحات أو قد يأكل عددا معينا من الثمار، أو قد يمكث عددا معينا من الأيام في مكان ما. هذه الإعداد التي تذكر نجدها تتكرر بدورها عند جل أولياء المغرب، ولا يمكن أن تفهم أيضا إلا بالتناص مع نصوص أخرى، حيث نجد هذه الأرقام غالبا سبق ذكرها في القرآن والسنة، وهو ما يضفي عليها بعض المصداقية التي تسهل تقبلها في الأوساط الشعبية.

وكمثال على هذا النوع من الكرامات ندكر ما يقال انه عند زيارة سيدي ادريسي جبان لا يغتسل الزائر ولا يتصلب أحد ولا يحلق شعره ولا يغسل ثيابه لا يخرج وأن يبقى في الحجبة الصغرى والتي تدوم 3 أيام وكبرى 40 يوما ووسطى 7 أيام[1]. وهناك عدة أولياء في بلاد تساوت تحدد مدة زيارتهم في ثلاثة أيام.

خاتمة

مما سبق يتضح لنا أن المقاربة الوظيفية سمحت لنا بفهم كل الأدوار التي لعبها أولياء بلاد تساوت والمغرب عموما، وهي الأدوار التي كان له الأثر الإيجابي الكبير على المجتمع، وقد شملت تلك الوظائف التي قام بها شيوخ الزوايا كل جوانب الحياة، فاقتصاديا عملوا على تطوير الفلاحة واجتماعيا كانوا يوفرون الايواء والطعام، كما يرجع لهم الفضل في نشر التعليم والعلوم الدينية على الخصوص، بالإضافة إلى الأدوار السياسية التي تمثلت في الوساطة والتحكيم.

أما المقاربة الانثروبولوجية فقد مكنتنا من فهم الزاوية في حد ذاتها باعتبارها بنية ثقافية واجتماعية، سواء من حيث المرتكزات التي تقوم عليها قدسية أولئك الشيوخ أو من حيث معرفة العناصر التي يمكن من خلالها تمييز زاوية عن أخرى، بالإضافة إلى تحليل الرموز الثقافية التي يتأسس عليها الخطاب الصوفي.

[1] نفسه، ص. 42

لائحة المصادروالمراجع

❖ مصادرومراجع باللغة العربية:

- إلهي ظهير إحسان، التصوف: المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط.1، 1986,

- إيكلمان ديل، الاسلام في المغرب، ج 1، ترجمة محمد أعفيف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989.

- الحسن شوقي، صلحاء تساوت، دراسة تاريخية، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات مراكش، ط2011/1

- عبد الوارث أحمد، "أولياء تادلا خلال ق. 16 م، ملاحظات أولية"، ضمن ندوة: تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1993، ص57-58

- العروسي عبد الخالق، المرقي في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، تحقيق محمد الشرقاوي بن العربي، طوب بريس، الرباط، ط.1. 2017،

- الكلاباء أبي بكر محمد بن إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، بيروت 1993.

- يونس بن الهاشمي، أساليب الري التقليدي بالحوز الشرقي: أنموذج الساقية السلطانية، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة القاضي عياض السنة الجامعية 2015/2014،

❖ مراجع باللغة الفرنسية:

-L. Voinot, « Les Zaouias de Marrakech et de la région voisine », R. G. M., N: 1/ 1937

التغايرية المناخية وتواترسنوات الجفاف

وتأثيرها على الموارد الترابيةبحوض تساوت

توفيق عدية*عبد العزيز العربي**عبد الصادق بلفقيه***

*باحث سلك الدكتوراه، مختبر التراب والبيئة والتنمية،

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

**أستاذ محاضر، المدرسة العليا للتربية والتكوين، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

***أستاذ باحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

ملخص:

تتناول هذه المساهمة العلمية إشكالية تفاقم ظاهرة الجفاف بحوض واد تساوت، وانعكاساتها على الموارد الترابية، وذلك لما يشهده هذا الحوض من اتجاه نحو طول فترات الجفاف، يبدو أنها ذات صلة بمظاهر التغايرية المناخية. سنحاول، إذن، الإجابة على السؤال الإشكالي الآتي: ما مدى تأثير ظاهرة الجفاف على الموارد الترابية بحوض تساوت؟

ونروم، من خلال فقرات هذا المقال العلمي، تبيان الإكراهات التي تعاني منها الموارد الترابية بحوض تساوت، حيث ركزنا على قطاع المقالع والزيتون. واعتمدنا، في معالجة الإشكالية المطروحة، على المنهج الجغرافي، وما يميزه من الاعتماد على المعطيات النوعية والكمية، لتحليل وتفسير الظواهر الجغرافية. وتشكل مختلف الأبحاث والدراسات السابقة التي همت مجال بحثنا، منطلقا لبناء الهيكل العام لمعالجة الإشكالية المطروحة. وتنضاف إليها معطيات تقرير المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، منسقية قلعة السراغنة، وتقرير منجز من طرف وكالة حوض أم الربيع. واستندنا، أيضا، على العمل الميداني من خلال القيام بعدة زيارات ميدانية، لملاحظة مختلف مظاهر الجفاف على الأراضي الفلاحية المغروسة بالزيتون، والانعكاسات البيئية لأنشطة مقالع الرمال، إضافة إلى إجراء عدة مقابلات مع الفلاحين واستجوابهم.

خلصت هذه المساهمة إلى إبراز طبيعة العلاقة القائمة بين ظاهرة الجفاف وتزايد أنشطة شركات المقالع المستغلة للرمال والأحجار بسافلة حوض تساوت، وما خلفته من اختلالات بيئية كمرحلة أولى. أيضا، في مرحلة ثانية، بينا أثر الجفاف على تراجع ازدهار سلسلة إنتاج الزيتون بإقليم قلعة السراغنة، الذي أضحى واضحا، حيث انتقل الإنتاج من 216.441 طن سنة 2010 إلى 60.840 طن في سنة 2022. وفي مرحلة ثالثة، تطرقنا إلى مسألة تعرض مساحات شاسعة من أشجار الزيتون للضياع والهلاك بسبب توقف مياه السقي،

وشروع الفلاحين بشكل عشوائي بقطع أشجار الزيتون، وتحويلها لفحم خشبي، زاد الإقبال عليه في المدن الكبرى كفحم للحمامات والأفران.

الكلمات المفتاحية: التغايرية المناخية، الجفاف، الموارد الترابية، مقالع الرمال، الزيتون، حوض تساوت.

Résumé :

Cette contribution scientifique aborde la problématique de l'aggravation du phénomène de sécheresse dans le bassin de l'Oued Tassaout, et ses répercussions sur les ressources territoriales, en raison de la tendance que connaît ce bassin vers des périodes de sécheresse plus longues qui semblent liées à des manifestations d'hétérogénéité de changement climatique. Nous tenterons donc de répondre à la question problématique suivante : Quelle est l'ampleur de l'impact du phénomène de la sécheresse sur les ressources territoriales du bassin de la Tassaout ?

À travers les paragraphes de cet article scientifique, nous cherchons à clarifier les contraintes auxquelles sont confrontées les ressources en sols du bassin de Tassaout, en nous concentrant sur les carrières et le secteur oléicole. En abordant le problème en question, nous nous sommes appuyés sur l'approche géographique, et sur ce qui la distingue de l'utilisation de données qualitatives et quantitatives, pour analyser et interpréter les phénomènes géographiques. Les différentes recherches et études antérieures qui ont concerné le domaine de notre recherche constituent un point de départ pour construire la structure générale pour et aborder la problématique posée. A cela s'ajoutent les données du rapport du Bureau Régional d'Investissement Agricole d'Al Haouz, du Bureau de Coordination de l'Office Régional de Mise en Valeur agricole du Haouz (ORMVAH) et de la subdivision de la province d'El Kelaa des Sraghna, et un rapport réalisé par l'Agence du Bassin de l'Oum Er Rbia. Nous nous sommes également appuyés sur le travail de terrain en effectuant plusieurs visites de terrain, pour observer diverses manifestations de la sécheresse sur les terres agricoles, plantées d'oliviers, et les répercussions environnementales des activités d'extraction de sable. Nous avons également effectué plusieurs entretiens et enquêtes avec des agriculteurs.

Cette contribution a conclu en soulignant la nature de la relation existante entre le phénomène de sécheresse et l'activité croissante des entreprises de carrières, exploitant les sables et les gravas du bas bassin de Tassaout, et les déséquilibres environnementaux qu'elle a engendrés dans un premier temps. Aussi, dans un deuxième temps, nous avons montré l'impact négatif de la sécheresse sur le déclin de la prospérité de la chaîne de production d'olives dans la province du Kelaa des Sraghna, qui est devenu évident puisque la production est passée de 216 441 tonnes en 2010 à 60 840 tonnes en 2022. Dans une troisième étape, nous avons abordé le problème de l'exposition de vastes zones d'oliviers à la sécheresse et l'arrêt complet de l'irrigation, ce qui a conduit à la mort des oliviers et à leur arrachement et transformation en charbon

de bois. Ce charbon de bois a constitué une aubaine pour certains propriétaires de bains et de fours dans les grandes villes qui se sont précipités pour l'acheter.

Mots clés : changement climatique, sécheresse, ressources territoriales, carrières, oliviers, bassin de Tassaout.

مقدمة:

ينتمي الحوض النهري لواد تساوت إلى الأطلس الكبير الأوسط، الذي يمتد من الشرق في اتجاه الغرب. كما أنه أحد الأحواض الفرعية المهمة لحوض أم الربيع، بحيث يحده شمالا حوض واد العبيد، وجنوبا حوض غدات، غربا حوض تانسيفت ويشمل جزءا من سهل الحوز ليمتد في اتجاه الشمال نحو مصب واد تساوت في واد أم الربيع (خريطة 1). يقع حوض تساوت ما بين خطي طول °6و°8 غرب خط غرينتش، وما بين خطي عرض '30°32 و°31 شمال خط الاستواء. ويبلغ أقصى ارتفاع في الحوض 3978 متر عند منبع واد تساوت، وأدنى ارتفاع في السهل 300 متر عند المصب في واد أم الربيع، وتبلغ مساحة الحوض 8508 متر مربع (عدية، 2018، 17).

تعد الأحواض النهرية منظومات جغرافية وبيئية شكلتها المجاري المائية انطلاقا من العاليات (الجبال والهضاب)، والتي تزود السافلات (السهول) بالموارد الطبيعية (المياه والرواسب...). وترتبط الأحواض النهرية في إطار منظومات سوسيو-اقتصادية بالنمو الديمغرافي والاقتصادي، والتي تعتمد بالأساس على الموارد الطبيعية المتاحة. وسيؤثر تطور ونمو الأنشطة الاقتصادية وتوسيع التعمير واستغلال الموارد بشكل غير مستدام، على الأحواض النهرية وعلى تدبير مواردها البيئية في ظل أزمة التغايرية المناخية (منسوم، 2015، 13).

يعتبر حوض تساوت من الأحواض النهرية التي تعرضت للتدخل البشري والتهيئة، إذ انخرط المغرب منذ الاستقلال في سياسة التحكم في الموارد المائية، من خلال القيام بالعديد من البنيات التحتية المائية الهامة، والتي أمنت إلى يومنا هذا الحاجيات من المياه. وتتجلى هذه الأخيرة في سياسة بناء السدود من أجل تعبئة المياه السطحية (لحلو، والغاشي،2018، 106). لذا أنجز بحوض تساوت أربعة سدود كبرى على واد تساوت، ولخضر.

ولكن في السنوات الأخيرة أصبح حوض تساوت يعاني من تواتر سنوات الجفاف، بفعل التغايرية المناخية، ومع تزايد توسع الأنشطة الفلاحية، وحاجاتها من الموارد المائية للسقي، لم تعد المنظومة البيئية لحوض تساوت قادرة على مواكبة الأنشطة البشرية، وبهذا فقد نجم عنها عدة انعكاسات بيئية، والتي تمثلت في توقف مياه السقي، وما ترتب عنها من أضرار اقتصادية. وإلى جانب الأنشطة الفلاحية، تنشط بسافلة حوض تساوت عدة شركات لمقالع الرمال والأحجار، والتي استغلت جفاف وادي تساوت ونشاطه الموسمي، لتوسيع استغلالها، ومن هنا، يمكن أن نطرح عدة أسئلة: إلى أي حد ساهم إعداد وتهيئة حوض تساوت في سد متطلبات الأنشطة البشرية؟ ما مدى تأثر الموارد الترابية بالتغايرية المناخية خصوصا قطاع المقالع والزيتون؟

لمعالجة الإشكالية المطروحة اعتمدنا على المنهج الجغرافي، وما يميزه من الارتكاز على المعطيات النوعية والكمية، لتحليل وتفسير الظواهر الجغرافية. ناهيك عن الاعتماد على الأبحاث والدراسات السابقة التي تناولت مجال بحثنا، كما استندنا على معطيات تقرير المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز ومنسقية قلعة السراغنة، وتقرير منجز من طرف وكالة حوض أم الربيع، فضلا عن استغلال إحصاء المقالع الذي يُنجز من طرف وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك والماء. واستندنا، أيضا، على العمل الميداني من خلال القيام بعدة زيارات ميدانية، لملاحظة مختلف مظاهر الجفاف على الأراضي الفلاحية المغروسة بأشجار الزيتون، والانعكاسات البيئية لأنشطة مقالع الرمال والأحجار، إضافة إلى إجراء عدة مقابلات مع الفلاحين واستجوابهم.

خريطة (1): توطين حوض تساوت ضمن الحوض المائي أم الربيع

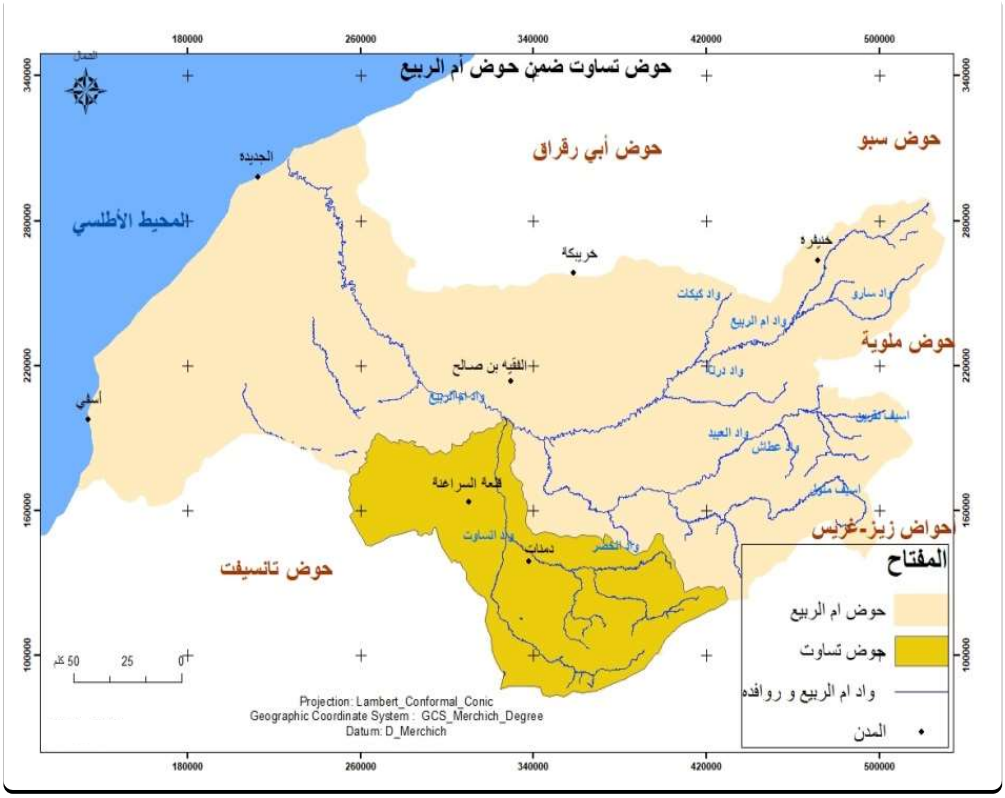

المصدر: صوررقمية MNT وتقرير المخطط التوجيهي لحوض أم الربيع، 2012

أولا: مظاهر التغايرية المناخية على حوض تساوت

1-واد تساوت ولخضر، أهم الوديان بحوض تساوت

ذكر حسن الوزان خلال القرن 16م واديا تساوت ولخضر، إذ قال "تِساوين نهران ينبعان من جبل مرتفع فطواكة، ويحمل كلاهما نفس الاسم تَسَاوَتْ، جمعه تِسَاوِينْ، أي الحواشي أو البطون باللغة الأمازيغية" (الوزان، 1983، 246).

❖ واد تساوت

يعد واد تساوت من أهم روافد واد أم الربيع، يأخذ منبعه عند قدم جبل مكون على قمة 2800 متر، (الأكلع، 2015، 33)، إلى مصبه في أم الربيع قرب بني مسكين. يبلغ طول الواد 237 كلم، ويقع معظمه بإقليم قلعة السراغنة، وينقسم إلى مجرى جبلي أعلى بطول يصل إلى 122 كلم، ومجرى سهلي يبلغ طوله 115 كلم يضم تساوت الوسطى وتساوت السفلى (هوزالي، 1992، 2055).

❖ واد لخضر

يعد واد لخضر من أهم المجاري المائية، وهو أحد روافد واد تساوت، ينبع من قدم الأجراف التي تحد في الغرب بحيرة إيزورار عند منخفضات آيت بوكماز. يحمل اسم لخضر ابتداء من خروجه من خوانق إيمي نتورزا، إذ يبلغ طوله 117 كلم من المنبع إلى التقائه مع واد تساوت في جماعة الفرايطة (الأكلع، 2004، 6886).

يقع حوض واد لخضر بين 31°28′ و31°59′ شمال خط الاستواء، و6°9′ و6°5′ غرب خط غرينتش. إداريا، ينتمي الحوض في غالبيته العظمى إلى إقليم أزيلال بحوالي 85% من مجموع مساحته، والباقي يقع تحت نفوذ مركز دمنات (أشهبون، والغاشي، 2021، 233).

جدول (1): بعض المعطيات المائية الوديان التي تصب بسهل الحوز (بالمليون م3)

الوديان	معدل الواردات السنوي	معدل الواردات القصوى	معدل الواردات الدنيا	المعدل السنوي	المعدل الشهري
تساوت	372,5	726	111,5	175	2,6
لخضر	455,6	856,4	107	158	3,3
نفيس	145,8	505	23	151,7	0,3
غيغاية	51,5	129	11,4	28	0,3
وريكة	164,1	390,5	40,1	138,7	0,3
زات	125	297,8	25,3	120	0,1

المصدر: المباركي، 2003، ص 204.

يبين الجدول (1) أن واديا تساوت ولخضر من أهم الوديان التي تصب في سهل الحوز، بحيث يبلغ معدل الواردات السنوي بواد تساوت إلى 372,5 مليون م3، وواد لخضر يصل إلى 455,6 مليون م3، أما باقي الأودية الأخرى فلا يتعدى معدل وارداتها السنوي 200 مليون م3.

2-تشييد السدود لتوفير مياه السقي بسهل الحوز

تعد سياسة بناء السدود التي نهجها المغرب منذ ستينيات القرن الماضي، والتي تتمثل في مشاريع التهيئة الهيدرولوجية، إحدى الأوراش التي يعتز بها، والتي مكنته من تدبير موارده المائية بشكل معقلن. ولتوفير مياه السقي لسهل الحوز، تم تشييد عدة سدود داخل حوض أم الربيع، وحوض تانسيفت، كما يظهر من خلال الجدول التالي:

جدول (2): السدود التي تم تشيدها لسقي أراضي سهل الحوز

السد	الواد	تاريخ بدء الاستغلال	الحقينة (مليون م3)
لالة تكركوست	انفيس	1935	53,3
بين الويدان	العبيد	1953	1215
مولاي يوسف	تساوت	1969	142,8
تيمنوتين	تساوت	1981	1,4
سيدي ادريس	لخضر	1984	2,4
إيمي لاربعا	تيغزريت	1985	-
الحسن الأول	لخضر	1986	236
أكفاي	عريسة	1986	-

Source : Situation journalière des principaux grands barrages du Royaume du Maroc, 2023

إن وفرة المياه كانت ولازالت ذات نسب متفاوتة، إذ توجد بكثرة بالحوز الشرقي بينما تقل بالحوز الغربي. وفي هذا الإطار، أنجزت أشغال ضخمة لضمان تحويل المياه على مسافات طويلة نحو الحوز الأوسط والغربي ونحو تساوت السفلى. فهناك قناة التوصيل الممتدة على 118 كلم والتي تجلب مياه واد لخضر حتى واد نفيس، وقناة (T2) الممتدة على 93 كلم لجلب مياه واد العبيد حتى تساوت السفلى (تراون جون فرانسوا، 2006، 230).

3-مظاهر الجفاف بحوض تساوت

شهد المغرب عدة فترات جفاف متفاوتة الحجم، عانت فيها المجالات المغربية من ندرة المياه لفترات طويلة منذ بداية الثمانينيات، والتي كان لها تأثير واضح على موارد المياه والإنتاج الفلاحي (شاكر، وآخرون، 2022، 118). ويعد حوض تساوت من الأحواض النهرية المغربية التي تعاني من الجفاف، خصوصا سافلة الحوض التي تدخل ضمن نطاق المجالات الجافة وشبه الجافة، والتي تعرف تساقطات مطرية ضعيفة، وبالتالي، لا تصلها مياه عالية واد تساوت إلا في الفترات المطيرة، وذلك راجع إلى بناء سدود في عالية حوض تساوت، واستغلال مواردها المائية في سقي العالية وتوفير المياه الصالحة للشرب. ولتتبع مظاهر الجفاف بالمجال المدروس سنركز على ثلاثة عناصر أساسية وهي معدل التساقطات المطرية، وحقينة السدود، والفرشة المائية.

أ-تراجع معدل التساقطات المطرية

تعتبر التساقطات المطرية المزود الوحيد لحوض تساوت بالواردات المائية. فكل اختلال في نظام التساقطات المطرية، يعتبر تهديدا للمنظومة الحوضية ككل. يتواجد حوض تساوت ضمن نطاق مناخ قاري شبه جاف إلى جاف، يتميز بشتاء بارد ورطب، وصيف حار وجاف، كما يجعل التساقطات المطرية تتميز بالتباين والاختلاف من سنة لأخرى، ومن شهر لآخر وداخل نفس الشهر (أشهبون، وآخرون، 2022، 482).

مبيان (1): معدلات التساقطات السنوية بإقليم قلعة السراغنة حسب محطات القياس (بالملم)

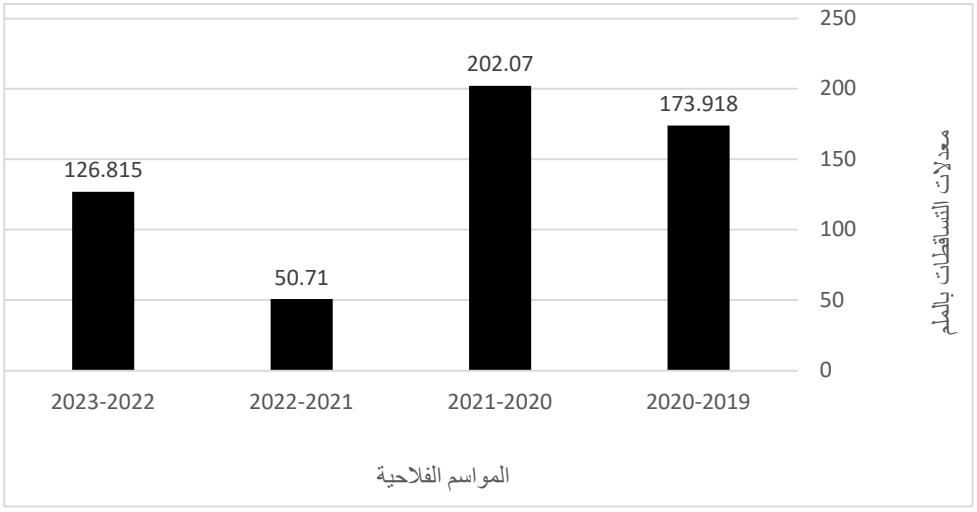

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، منسقية قلعة السراغنة، 2023 (بتصرف)

يوضح المبيان (1) أن معدل التساقطات المطرية بإقليم قلعة السراغنة تراجعت بشكل بارز، خصوصا في الموسم الفلاحي 2021-2022 الذي لم يتعد 50,71 ملم، وهو معدل ضعيف جدا بالمقارنة مع المواسم السابقة، والمعدل السنوي الذي يصل إلى 350 ملم.

ب-تراجع حقينة السدود

يؤكد الجدول (3) أن نسبة ملء السدود الكبرى بحوض تساوت خلال السنوات الأخيرة، لم تصل إلى نسبة 100%، بحيث لا تتعدى نسبة الملء 40%، وهذا الذي يدل على أن حوض تساوت يعاني من الجفاف المائي، وبالتالي، لا يتم فتح قنوات السدود لجعل المياه تجري في الوادي، مما ساهم في تهافت الشركات على خلق مقالع على مستوى الوادي لاستخراج الرمال والأحجار.

جدول (3): نسبة ملء السدود الكبرى بحوض تساوت خلال سنتي 2022- 2023

السد	الحجم العادي بالمليون م3	27/02/2022		27/02/2023	
		الحجم بالمليون م3	النسبة ب %	الحجم بالمليون م3	النسبة ب %
مولاي الحسن الأول	236	32,4	13,7	35,5	15
مولاي يوسف	142	27,2	19	41,6	29,1

المصدر: وكالة الحوض المائي أم الربيع، 2023

ج-تراجع مستوى الفرشة المائية

بسبب تراجع التساقطات المطرية بالمجال المدروس، لجأ الفلاح إلى استغلال الفرشة المائية الباطنية، ومع ضعف هذه الفرشة، انخفض مستواها بشكل خطير. فعلى سبيل المثال، كان عمق الآبار بجماعة سيدي عيسى بن سليمان (تساوت السفلى لا بل تساوت العليا أو الحوز الشرقي) لا يتعدى 15 مترا سنة 2013، وخلال سنة 2022، وصل عمق الآبار فيها إلى 120 مترا، وحاليا جل الآبار جفت. وبعد أن كان مشكل السقي هو الهاجس الرئيسي، أضحى مشكل تزويد الساكنة بالماء الصالح للشرب، هو الذي يؤرق الفاعلين المتدخلين في الشأن المائي. إضافة إلى انخفاض مستوى الفرشة المائية، برز مشكل ملوحة المياه، نظرا لعمق الآبار (النامي، 2022، 46).

4-استغلال المقالع بحوض تساوت

تزايد عدد المقالع بسافلة حوض تساوت بشكل ملفت، حيث وصل عددها إلى 17 مقلع حسب إحصاء المقالع سنة 2019 لوزارة التجهيز والنقل واللوجستيك والماء. وقد وصل مجموع المساحات المرخص باستغلالها من طرف شركات المقالع بحوض تساوت إلى 8.212.030 متر مربع سنة 2019 بعد أن كانت 4.615.100 متر مربع سنة 2012.

وفيما يخص مجموع الكميات المصرح باستخراجها من الرمال والحجارة بلغت 756.000 متر مكعب سنة 2019 بعد أن كانت 325.000 متر مكعب سنة 2012. وبهذا نستنتج أن مساحات الاستغلال وكميات الاستخراج لشركات المقالع تضاعفت بشكل واضح، مما سيزيد من حدة الأثار البيئية على حوض تساوت.

مبيان (2): توزيع شركات المقالع بحوض تساوت حسب المساحات المرخص باستغلالها سنة 2019 (بالمتر المربع)

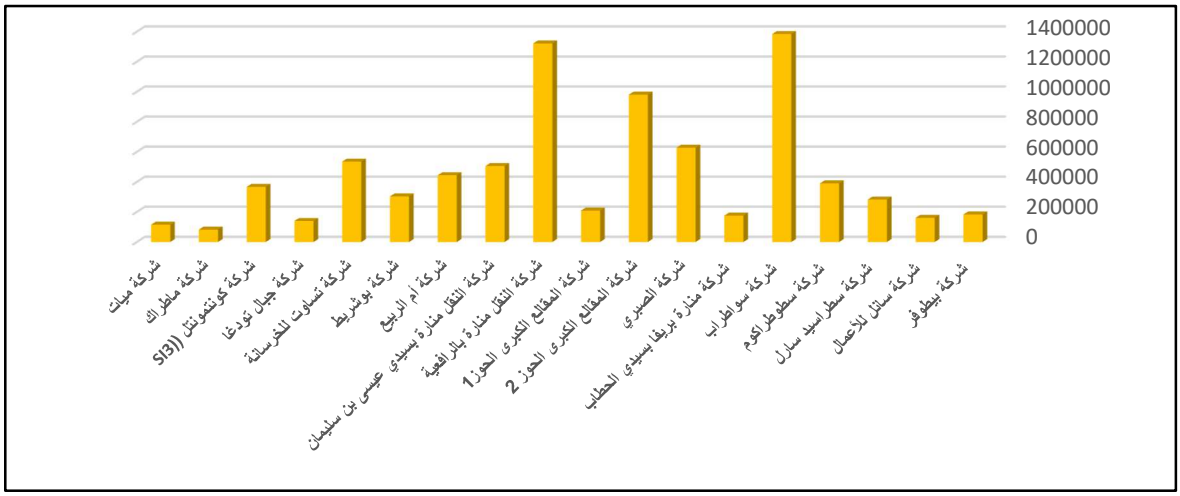

المصدر: وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك والماء، 2019 (بتصرف)

يبين المبيان (2) أن المساحات المرخص باستغلالها للشركات بحوض تساوت تختلف من شركة إلى أخرى، بحيث تستغل شركة سواطراب وشركة النقل منارة بالرافعية المساحة الأكبر.

5-التأثير البيئي للمقالع على حوض تساوت

لا شك أن أنشطة شركات المقالع بحوض تساوت سينجم عنها عدة مظاهر التأثير على عناصر البيئية (الماء، الهواء، التربة)، حيث يتجلى هذا التأثير في كون الشركات تستغل المياه الجوفية في أنشطتها اليومية،مما سيؤثر على تراجع منسوب موارد الفرشة المائية. كما أن الدخان الناتج عن الآلات والشاحنات يؤثر على جودة الهواء، مما جعل الساكنة المجاورة تحتج على هذه المخاطر. وفيما يخص التربة، فهي كذلك تتعرض للتدهور،

خصوصا الأراضي الفلاحية بضفاف الوادي، ناهيك عن تأثير استغلال المقالع على مورفلوجية الوادي، وما يتعرض له من تشويه وتدهور لسرير الوادي.

صورة (1): استغلال مقلع شركة منارة للأرضي الفلاحية وبالقرب من الساكنة بجماعة

المصدر: Google Maps وادي تساوت، جماعة العامرية، بتاريخ 20 مارس 2023

يتبين من خلال الصورة (1) أن استغلال شركات المقالع بحوض تساوت تزايدت حدته على مورفولوجية وادي تساوت. نلاحظ أيضا أن المقالع تستغل الرواسب المتواجدة بالقرب من الساكنة، كما تستغل الشركات الأراضي الفلاحية المحاذية للوادي، بحيث إن الشركات أصبحت تشتري مساحات من الأراضي الفلاحية من الفلاحين لاستخراج الرواسب، وذلك راجع إلى قلة الموارد المائية والجفاف الذي دفع العديد من الفلاحين بيع أراضيهم للشركات المستغلة. ومن هنا، يمكن القول، أنه أصبح من الضروري تدخل الجهات المعنية بتدبير قطاع المقالع من أجل الحرص على مجريات الإطار القانوني لقطاع المقالع، ونخص بالذكر قانون تنظيم استغلال المقالع رقم 13-27.

ثانيا: مظاهر الجفاف على سلسلة إنتاج الزيتون بأرياف سافلة حوض تساوت

1-تطور إنتاج الزيتون

يشمل حوض تساوت إقليم قلعة السراغنة، والذي عرف في العقدين الأخريين، تطورا مهما في تزايد مساحات غرس أشجار الزيتون، وكذلك إنتاج الزيتون، وزيت الزيتون. يرجع هذا التطور إلى سياسة الإعداد الهيدروفلاحي التي نهجتها الدولة، والتي وفرت مياه السقي للمجالات الفلاحية. يغلب على الإنتاج الفلاحي بإقليم قلعة السراغنة غراسة أشجار الزيتون، إذ تهيمن على المساحات الزراعية التابعة للدوائر المسقية، بحيث تبلغ

هذه المساحة في تساوت السفلى إلى 32.462 هكتار، بنسبة تصل إلى 73,7%، وبالنسبة إلى تساوت الوسطى تبلغ المساحة المغروسة بالزيتون إلى 44.240 هكتار بنسبة تصل إلى 85%.

مبيان (3): تطور إنتاج الزيتون بإقليم قلعة السراغنة بالطن

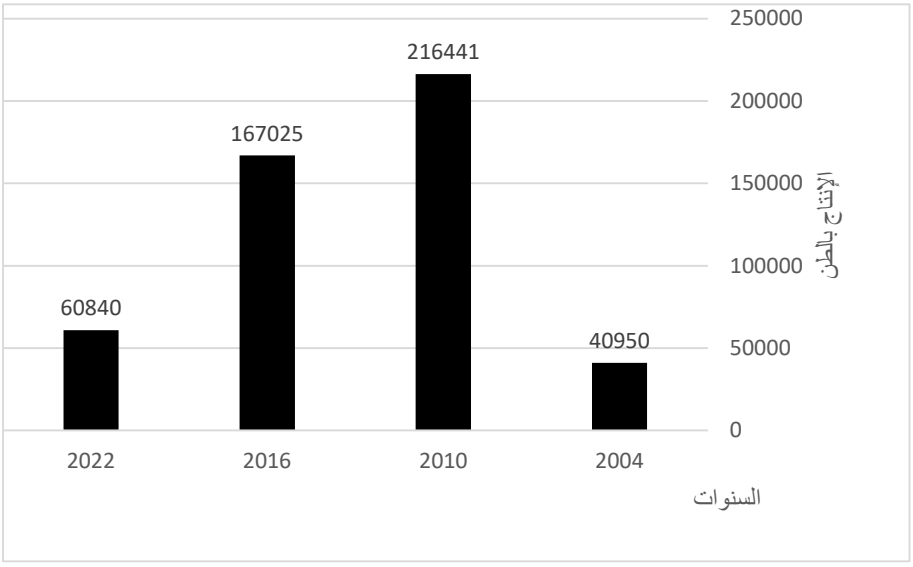

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، منسقية قلعة السراغنة، 2023 (بتصرف)

يبرز المبيان (3) أن إنتاج الزيتون بإقليم قلعة السراغنة غير ثابت، رغم أننا لاحظنا تزايد مساحات زراعة أشجار الزيتون. يتدخل هنا عامل التساقطات المطرية التي تؤثر على المردودية والإنتاج، بحيث عندما يكون الموسم الفلاحي جاف، يكون إنتاج الزيتون ضعيفا، والعكس صحيح. ففي السنوات الأخيرة تزايدت حدة الجفاف، واستنزاف مخزون السدود، لهذا اضطرت الجهات المعنية توقيف امداد الفلاحين بمياه السقي. وقد نتج عن هذا الأمر تراجع إنتاج الزيتون، بل أكثر من ذلك، أصبحت أشجار الزيتون يابسة ومعرضة للقطع من طرف الفلاحين.

جدول (4): كمية زيت الزيتون المستخرجة بإقليم قلعة السراغنة (الطن/في السنة)

الوحدات (المعصرات)	2010	2016	2022
الوحدات التقليدية	15.944	1202	238
الوحدات العصرية وشبه عصرية	10.317	5344	3395
المجموع	26.261	33.405	3633

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، منسقية قلعة السراغنة، 2023 (بتصرف)

يبين الجدول (4) أن الوحدات التقليدية كانت أكثر إنتاجا لزيت الزيتون في سنة 2010، إذ بلغ الإنتاج إلى 15.944 طن من الزيت، لكن في سنة 2016 وصل إنتاج الوحدات العصرية وشبه عصرية إلى 33.405 طن من الزيت، وهو رقم أكثر بكثير مما تنتجه الوحدات التقليدية، الذي وصل 5344 طن من الزيت. وفي سنة 2022 نلاحظ أن إنتاج الزيت قد تراجع بشكل مخيف، بفارق وصل إلى 29.772 طن مقارنة مع إنتاج 2016 و2022، وذلك راجع إلى قلة التساقطات المطرية، وتوقف مياه السقي، وتفشي ظاهرة الجفاف بشكل حاد.

2-تحويل أشجار الزيتون إلى فحم خشبي

عرفت أرياف إقليم قلعة السراغنة ضياع مساحات شاسعة من أشجار الزيتون المغروسة، والتي كانت مصدر رزق نسبة مهمة من السكان المحليين. هذه الأشجار كانت تعتمد في عملية السقي بالأساس على المياه المتجمعة داخل السدود. هذه الأخيرة لم تعد متاحة اليوم، وبالتالي، لم تتحمل أشجار الزيتون الفترة الطويلة بدون سقي، مع ارتفاع درجات الحرارة خلال عدة شهور من السنة، بالإضافة إلى توالي سنوات الجفاف، وقلة التساقطات المطرية مما عرضها للتدهور والموت.

صورة (2): هلاك أشجار الزيتون وقطعها بجماعة العامرية في تساوت السفلى

المصدر: عدسة الباحث، بتاريخ 13 يناير 2024

تبين الصورة (2) أحد المشاهد التي تطغى على أرياف إقليم قلعة السراغنة، بحيث هلكت معظم أشجار الزيتون، إلا لدى بعض الفلاحين الذين لهم إمكانيات حفر وتعميق الآبار، ساعدتهم على توفير مياه السقي، ولو أنها ضعيفة، وإنقاذ أشجارهم من الزيتون.

صورة (3): نقل خشب أشجار الزيتون من إقليم قلعة السراغنة في اتجاه بعض المدن

المصدر: عدسة الباحث، جماعة العامرية، بتاريخ 31مارس 2023

توضح الصورة (3) انتشار شاحنات محملة بأخشاب الزيتون، تجوب أرياف إقليم قلعة السراغنة، قبل أن تتوجه إلى مختلف المدن المغربية، لتزويد الحمامات والمخابز بهذا النوع من الخشب.

وحسب تصريحات بعض الفلاحين الذين قابلناهم فإن ثمن خشب شجر الزيتون سجل انخفاضا كبيرا. فبعدما كانت شجرة الزيتون اليابسة تباع ب 250 درهما، أضحى اليوم ثمنها لا يتعدى 100 درهم، وذلك نظرا لتوفر أشجار الزيتون الهالكة، بسبب قساوة الجفاف والغياب الكلي لمياه السقي. كانت الأراضي الفلاحية المغروسة بأشجار الزيتون، بأرياف إقليم قلعة السراغنة، يحدد ثمنها ارتباطا بعدد الأشجار التي تضمها، بحيث وصل ثمن شجرة الزيتون الواحدة، إلى 2500 درهم وأكثر، حسب عمر وأهمية إنتاج شجرة الزيتون وحسب مكان تواجدها داخل الإقليم، وذلك في الفترة التي كانت فيها وفرة مياه السقي، وقبل حلول هذه الكارثة المأساوية بالمجال.

خاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى تبيان العلاقة القائمة بين آثار التغايرية المناخية في تدهور الموارد الترابية، خصوصا قطاع الزيتون. فيما يخص المقالع، يبدو أن هذا القطاع ينشط بشكل متزايد، خاصة مع جفاف وادي تساوت. فبالرغم من الأهمية الاقتصادية التي يحتلها، والمساهمة في تشغيل اليد العاملة، فإن آثاره البيئية زادت حدة على سافلة حوض تساوت وساهمت أيضا في القضاء على أشجار الزيتون وغيرها بالمجالات المحيطة بالمقالع. أما فيما يخص قطاع الزيتون، فقد شكل إلى عهد قريب ولازال موردا أساسيا لدي فئة عريضة من الفلاحين بأرياف السراغنة بحوض تساوت، مما جعل هؤلاء يحاولون جادين، رغم كل الظروف، على العناية والاحتفاظ بهذه الشجرة.

لائحة المصادروالمراجع

❖ مصادرومراجع باللغة العربية:

- محمد مداد، محمد الغاشي، وعزيز بن الطالب (إشراف)، "الجغرافيا التطبيقية ورهان التنمية المستدامة بالمغرب"، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 71،الرباط، ص-ص 479-486.

- عبد الرحيم بن علي، وآخرون (تنسيق)، "الأوساط الجبلية المغربية بين الاختلالات البيئية والتحولات السوسيو-مجالية"، مجلة مشاهد جغرافية، العدد 6، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، ص-ص 231-258.

- الأكلع محمد، 2004، "واد لخضر"، معلمة المغرب، إشراف محمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء 20، مطابع سلا، ص-ص6886-6887.

- الأكلع محمد، 2015، الإنسان وديناميةالوسط الطبيعي بالحوز الشرقي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، 350 ص.

- الحسن الوزان، 1983، وصف إفريقيا، القرن 10 الهجري (16م)، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، الجزء الأول والثاني، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 737 ص.

- المباركي حسن، 2003، التحديث الريفي: انتشاره ومظاهره التقنية، الاقتصادية والسوسيومجالية بسهل تساوت الوسطى (الحوز الشرقي)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 749 ص.

- عبد القادر السباعي (تنسيق)، المخاطر الهيدرولوجية والجيومرفولوجية في شمال شرق المغرب: التصنيف ورسم الخرائط والتدبير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، ص-ص 43-51.

- جون فرانسوا تراون، وآخرون (إشراف)، المغرب: مقاربة جديدة في الجغرافية الجهوية، ترجمة علي آيت حماد، وإدريس البوشاري، دار طارق للنشر، الدار البيضاء، ص-ص 227- 242.

- محمد حنشان، ومحمد المولودي (تنسيق)، "التغيرات المناخية، المؤهلات الترابية والعدالة البيئية"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، ص-ص 117-127.

- عدية توفيق، 2018، الانعكاسات البيئية لمقالع الرمال بسافلة حوض تساوت: حالة جماعة الرافعية، رسالة لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، 129 ص.

- عبد الرحيم بن علي، ومحمد كلاد (تنسيق)، "الأوساط الطبيعية الهشة في المغرب: إكراهات التشخيص وعوائق التدبير المندمج"، مجلة مشاهد جغرافية، العدد 5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، ص-ص 105-132.

- هوزالي أحمد، 1992، "تاساوت"، قاموس معلمة المغرب، إشراف محمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء 6، مطابع سلا، ص-ص 2055-2057.

- وكالة الحوض المائي لأم الربيع، 2012، "مشروع المخطط التوجيهي للتهيئة المندمجة للموارد المائية لحوض أم الربيع والأحواض الساحلية الأطلسية"، 95 ص.

❖ مصادرومراجع باللغة الفرنسية:

-Ministère de l'Equipement, du Transport, de la Logistique et de l'Eau, 2019, « Inventaire national des carriers.»

-Office Régional de Mise en Valeur Agricole du Haouz, 2023, « Monographie de la province El Kelaa des Sraghna.»

دور جمعيات مستعملي مياه السقي في التدبير الاجتماعي للماء

حالة تساوت السفلى بإقليم قلعة السراغنة

الملوكي محمد توفيق: باحث، جامعة ابن طفيل القنيطرة

عبد الصادق بلفقيه: أستاذ التعليم العالي جامعة ابن طفيل القنيطرة

عبد العزيز العربي: أستاذ التعليم العالي مساعد بالمدرسة العليا للأساتذة القنيطرة.

ملخص:

يعد الماء مادة أساسية في حياة المخلوقات وتزداد أهميته خلال فترات الندرة والجفاف خاصة في المجالات التي تعاني من قلة التساقطات، حيث ينعكس ذلك بشكل جلي على مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، على اعتباره العنصر المهم في دينامية المجالات الريفية وحركيتها، وهو ما يجعلنا نتساءل حول كيفية تدبير هذا المورد بشكل يضمن استمراريته، حيث عملت الجماعات البشرية منذ القدم على تدبير استغلال الماء والتخطيط له بمختلف الإمكانات المتاحة وصولا إلى التدبير الحالي والمتمثل في إحداث جمعيات مستعملي مياه السقي. وتتناول هذه الدراسة منطقة تساوت السفلى بإقليم قلعة السراغنة باعتبارها منطقة فلاحية مهمة إلا أنها تعرف عدة مشاكل مرتبطة بوفرة وتسيير الموارد المائية خاصة في ظل تغير المناخ، وما يعرفه المجال من تحولات اقتصادية واجتماعية.

الكلمات المفاتيح: الاعداد الهيدروفلاحي - جمعيات مستعملي مياه السقي – تساوت السفلى– أرياف إقليم قلعة السراغنة.

Résumé :

L'eau est une substance essentielle à la vie des créatures, et son importance augmente pendant les périodes de disette et de sécheresse, en particulier dans les régions qui souffrent d'un manque de précipitations, comme cela se reflète clairement dans diverses activités économiques et sociales. En le considérant comme un élément important du dynamisme et de la mobilité des zones rurales, ce qui nous amène à nous interroger sur la manière de gérer cette ressource de manière à en assurer la continuité. Car les groupes humains ont travaillé depuis l'Antiquité pour gérer et planifier l'exploitation de l'eau avec diverses capacités. Disponible jusqu'à la mesure actuelle de création d'associations d'usagers de l'eau d'irrigation. Cette étude porte sur la région du Bas Tasout dans la province de Kelaa de Sraghna, car il s'agit d'une région agricole importante, mais elle est consciente de plusieurs problèmes liés à l'abondance et à la

gestion des ressources en eau, notamment à la lumière du changement climatique, et de la situation économique. et les transformations sociales que connaît le domaine.

Mots-clés : Préparation Hydro-agricole - Associations des Usagers des Eaux d'Irrigation - Saout Tsouet - les campagnes de la province Kelaa de Sraghna.

تقديم:

يعتبر الماء موردا ترابيا لا غنى عنه لممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية بالوسط الريفي ومن بين أهمها أنشطة القطاع الفلاحي. وهكذا فإن محاولة فهم التحولات في أنماط تدبير الماء كمورد ترابي مشترك، يعني تلقائيا فهم الديناميات الريفية في مختلف مستوياتها. و تعتبر الجمعيات السقوية بأرياف إقليم قلعة السراغنة وتحديدا جمعيات مستعملي مياه السقي أهم المتدخلين و الفاعلين الجدد في تدبير حقوق مياه السقي، خاصة بعد أن خضع قطاع تساوت السفلى المسقي بإقليم قلعة السراغنة لإعداد هيدروفلاحي في بداية الثمانينيات من القرن الماضي. ساهم هذا الإعداد في تغيير جذري للمجالات الريفية المسقية بهذا المجال، لا من حيث المساحة المسقية التي تراجعت الى44000 هكتار مقابل 72000 قبل الإعداد الهيدروفلاحي ولا من حيث طبيعة وحجم الاستغلاليات، ولا من حيث طبيعة التحول في الاختيارات الفلاحية. ويمكن القول أن جمعيات السقي كمدبر اجتماعي جديد للماء في تساوت السفلى بقلعة السراغنة، حلت محل الجماعة التقليدية التي كانت تمارس التدبير التقليدي للماء، و ساهمت بشكل أو بأخر في عمق التحولات التي تم رصدها بعد فترة الإعداد. يحاول هذا المقال دراسة التطور التاريخي لجمعيات مستعملي مياه السقي و سياق ظهورها، وتناول أدوارها بالمجال الريفي المسقي، و نطاق تدخلها و طبيعة اختصاصاتها، والمشاكل و المعيقات التي راكمتها منذ تأسيسها و إلى حدود الفترة الراهنة المتسمة بتوالي سنوات الجفاف، مع محاولة ربطها كفاعل اجتماعي بمجمل التحولات العامة بأرياف في تساوت السفلى.

الكلمات المفاتيح: الإعداد الهيدروفلاحي - جمعيات مستعملي مياه السقي – تساوت السفلى– قلعة السراغنة

منهجية العمل وأدواته:

تم اعتماد منهجية تقوم على الملاحظة الميدانية من خلال زيارات متعددة وملء استمارات وجهت لرؤساء 31 جمعية سقوية من أصل 50 جمعية متواجدة بتراب تساوت السفلى.

تقديم مجال الدراسة:

الخريطة رقم 1: توطين تساوت السفلى ضمن التحديد الوطني والجهوي والإقليمي.

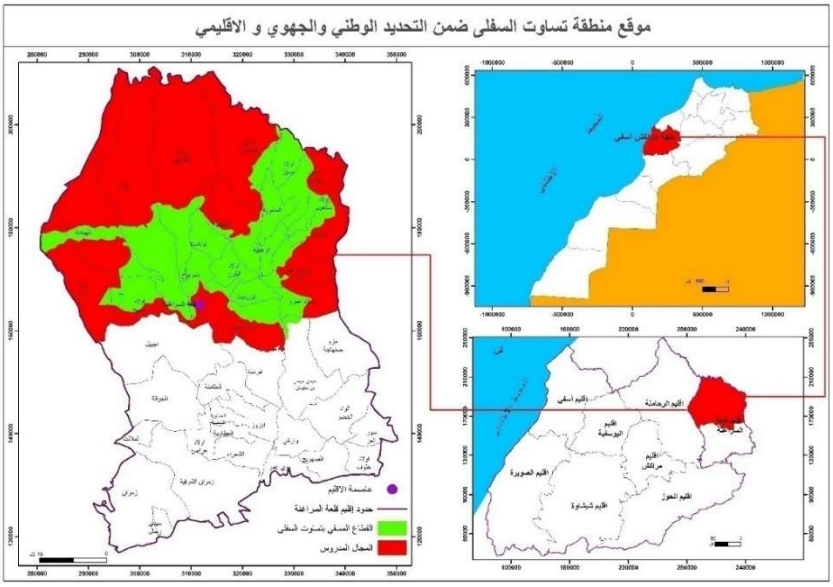

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الخرائط الطبوغرافية للإقليم

ينتمي مجال الدراسة للدائرة السقوية الحوز، والتي تضم خمس قطاعات كبرى. تعتبر تساوت السفلى إحداها في الشمال الشرقي لإقليم قلعة السراغنة، وتمتد في مجالها المسقي على مساحة 44000 هكتار، مقسمة بدورها لخمسة قطاعات صغرى. أما من حيث التقسيم الإداري، توجد تساوت السفلى ضمن المجال الترابي لإقليم قلعة السراغنة، المنتمي إداريا لجهة مراكش أسفي. ويعتبر مجال الدراسة مجالا ريفيا بامتياز، ويشمل 21 جماعة قروية، تنتمي للنفوذ الترابي لدائرة قلعة السراغنة على مساحة تزيد عن 2200 كيلومتر مربع.

ويحد هذا المجال إداريا: من الشمال إقليم أزيلال على مستوى جماعة بزو، وإقليم لفقيه بن صالح على مستوى جماعة حد بوموسى. من الغرب يحده إقليم الرحامنة على مستوى الجماعة القروية لمحرة وجماعة سكورة الحدرة. ومن الشرق إقليم ازيلال ومن الجنوب تساوت الوسطى بأربع جماعات قروية هي الجبيل ولفرائطة وسيدي عيسى بن سليمان ولمزم صنهاجة (دائرة العطاوية).

ويقطن بهذا المجال الريفي ساكنة يبلغ عددها، حسب آخر إحصاء، فرد 152724. ومن المتوقع أن تصل إلى 180000 ألف نسمة سنة 2024. وتساعد هذه البنية الديموغرافية والمعطيات التي توفرها منطقة البحث على دراسة التحولات والديناميات التي شهدها مجالها الريفي. على امتداد الستين سنة الماضية.

أما جغرافيا يوجد المجال الترابي للدراسة بسهل تساوت، الذي يعتبر امتدادا لسهل الحوز من الناحية الشمالية الشرقية. وينقسم إلى قطاعين سقويين كبيرين: الأول في العالية بين قدم جبال الأطلس الكبير وسلسلة الجبيلات، يسمى تساوت الوسطى، والآخر في السافلة وينعث في تساوت السفلى. تشكل سلسلة الجبيلات وجبل الدزوز ومقدمة أطلس بني ملال حدوده الجنوبية، ليمتد شمالا حتى واد أم الربيع، يحده شرقا وادي موسمي صغير يدعى محليا بالملو، وغربا منطقة البحيرة الوسطى.

وتعتبر المنطقة منخفضا تحيط به وتتخلله وحدات تضاريسية مرتفعة نسبيا. نجد في الجنوب الشرقي مرتفعات مقدمة أطلس بني ملال، التي يخترقها وادي العبيد بمجرى ضيق ومتعمق، أما في الجنوب فتحدها مرتفعات الجبيلات الشرقية، على شكل أعراف أبلاشية متوازية وذات ارتفاعات متواضعة، بالإضافة إلى هضبة بني مسكين التي هي عبارة عن امتداد طبيعي لهضبة الفوسفاط من الناحية الشمالية.

بينما ينفتح المنخفض من جهة الغرب على سهل البحيرة، الذي يمثل التكملة الشمالية لسهل الحوز. ويغلب على تضاريس هذا المجال طابع الانبساط، إذ تتراوح ارتفاعاته بين 244 و344مترا عن سطح البحر.

يمكن تقسيم هذا المجال إلى قسمين، يفصل بينهما واد تساوت:

- الضفة اليمنى: عبارة عن منطقة سهلية شاسعة ومنبسطة، وذات انحدار عام من الجنوب نحو الشمال.

- الضفة اليسرى وهي أيضا عبارة عن سهل شاسع، تعلوه تلال متناثرة، تتراوح ارتفاعاتها ما بين 224 و304 متر.

1- تقسيم الحقوق المائية في تساوت السفلى قبل الإعداد الهيدروفلاحي

1-1 تدبير الماء بين القبائل بالارتكاز على الأعراف

أبدع سكان القبائل المحلية بسهل السراغنة عموما وفي تساوت السفلى خصوصا في السافلة كما في العالية نظاما محكما لتوزيع وتقسيم وتدبير مياه السواقي التقليدية والحق في تملكها. اعتمدوا تقنيات وقوانين عرفية محلية موروثة وموغلة في القدم. فحقوق الماء جماعية وتهم الأراضي الجماعية والملك الخاص. تستفيد كل قبيلة ذات حق، أو دوار، من عدد محدد من الفرديات (نصف يوم) وتبدأ من العالية إلى السافلة. وداخل الدواوير والعظام كوحدات ترابية أصغر، فيقسم الماء شياعا على البالغين الذكور وهو ما يطابق مفهوم الخيمة، وأما المتوفى من الذكور فيزال نصيبه ويرجع للعموم.

ومن التقسيمات المائية بالمنطقة:

- الفردية: وحدة زمنية معيارية تحدد حصة الاستفادة من الماء وتعادل 12 ساعة أو نصف يوم، وتقسم الى فردية بيضاء وتعني نصف يوم النهار أو حصة النهار، وفردية سوداء وتعني حصة الليل،

- الخروبة: أصغر وحدة زمنية لقسمة الماء وتعادل نصف الثمن أي $\frac{1}{16}$ من الفردية المائية.

الخيمة: تعني الشخص البالغ الذي له الحق في الانتفاع من الأرض السلالية.

يرتكز تقسيم المياه المحولة من واد تساوت والواد الأخضر بين المجموعات القبلية على مبادئ تهدف إلى الحفاظ على الأمن، ودرء الصراع بين سكان العالية وسكان السافلة، خاصة خلال فترات الشح المطري.

وعند مرور سواقي قبائل السافلة، عبر أراضي قبائل العالية، فإن الأولى تؤدي تعويضا عينيا للثانية، على شكل حصص مائية تسمى محليا "بحق ألمو"، وهي حصص غالبا ما تكون محط نزاع بين القبائل التي يربطها هذا النوع من العلاقات. رغم تعدد مزايا هذا النظام الضارب في القدم، فإنه لم يخلو من مشاكل ظلت تغذي الصراع، سواء بين القبائل والفحدات، أو بين أسر وأفراد نفس القبيلة، أصلية أو "برانية"، حول أحقية امتلاك حصص الماء والأرض، وهو ما لم يساعد على استثمارها بشكل أفضل.

وعموما فقد ظل اقتسام تقسيم الماء بين القبائل بالسراغنة موسوما بمجموعة من الاختلالات، حيث كان يتغير بتغير ميزان القوة بين القبائل عبر التاريخ. يظهر ذلك من خلال النزاعات واللامساواة في امتلاك حصص الأرض وحصص الماء لدى بعض الفخدات أو الدواوير. يسوق الباحث عبد الجليل لوحمادي أمثلة لذلك، حيث على مستوى مجال الساقية الزركانية تستفيد ساكنة دوار واحد من 92.2%من مياه الري و % 92من الأراضي، أما أولاد موسى فيستفيدون من 42.2%من مياه الري ونسبة 40%من الأراضي، على مستوى مجال الساقية الموساوية. هذه الاختلالات تجعل التفاوت واضحا في استفادة الهكتار الواحد من مياه الري من مجال لآخر، وداخل نفس مجال الساقية الواحدة.

1-2 الفاعلون في مجال تدبير مياه الري في تساوت السفلى :

تعدد المتدخلون والفاعلون في مجال تدبير مياه الري بمنطقة تساوت، وهم كالتالي:

الجماعة/ الجماعتْ: لازالت الجماعة التقليدية في تساوت السفلى، في الفترة الراهنة تقوم بمختلف أشغال الصيانة والتهيئة للسواقي الترابية التقليدية، وتشييد وبناء سدود التحويل والمراقبة والكنس وتعبيد المجاري المتفرعة عن القنوات الرئيسية، ومختلف عمليات الصيانة الدورية. أما الدور الأساسي الذي قامت به في

التدبير فهو فض النزاعات والخصومات الناشئة حول الماء والتحكيم في شأنها، خاصة بين الفلاحين المتجاورين والدواوير والأفخاذ، وتدبير توزيع الماء بين العاليات والسافلات، والنظر في مستحقي خيمة الماء.

الفصال: الشخص الذي يعهد إليه بقسمة مياه السقي على مستوى السواقي حيث يرتب أدوار الفلاحين في الماء حسب طول الحصص المائية. وكان يستعين بعدة وسائل وطرق للإشارة والتنبيه الى نهاية حصة السقي عند الفلاح وبداية أخرى لفائدة فلاح آخر. ومن ذلك، إشعال النار، حيث يرى لهيبها من بعيد، كإخبار للفلاح بأن حصته من مياه السقي قد انتهت، ليبدأ الفلاح الموالي في السقي/استهلاك حصته من مياه الري. كما كانت الإشارة النارية تعوض بالصياح المرتفع على امتداد مسافات متباعدة لنفس الغرض؛

القدار أو القدارة: الشخص الذي يعهد اليه قياس نصيب الماء الذي لكل مستفيد الحق فيه من مياه الساقية، مستعملا يديه ورجليه، كوحدة قياس، وكذا خبرته التي راكمها لقسمة الماء مناصفة أو مثالثة، مستعينا بالتقديرة، أي قسمة الكمية المائية. ويسمون كذلك بالحسابة والمقابلين؛

المجاري: يعهد إليهم صيانة السواقي، ويسمون كذلك الغياسة. وينحصر دورهم في تتبع الساقية والقيام بالإصلاحات وسد أماكن التسربات؛

1- 3 المؤسسات التقليدية وتدبير السواقي الترابية قبل مرحلة الإعداد

اعتمد تدبير السواقي التقليدية في تساوت السفلى اساليبا تقليدية قبل الإعداد الهيدروفلاحي العصري، سواء في تهيئة السواقي و تشييدها و تنظيفها/صيانتها دوريا. وتعتبر "التويزة" من بين أهم أساليب العمل الفلاحية الجماعية التي اعتمدتها القبائل و الجماعات للقيام بكل الأشغال المرتبطة بالسواقي التقليدية الترابية التي تتفرع عن واد تساوت وتتجه نحو الدواوير و الحيازات/الاستغلاليات الفلاحية.

الصورة رقم 1: صيانة ساقية ترابية من طرف المستفدين من مياهها السقوية (عملية التويزة)

المصدر: أرشيف الأستاذ الباحث عبد الله بوزيد 2022

توضح الصورة أعلاه مشهدا لفلاحين من دواوير أولاد يعقوب بجماعة أولاد يعكوب، أثناء أشغال تنقية وصيانة ساقية ترابية، يستفيدون من مياهها في مختلف أنشطتهم الفلاحية. ويلاحظ انخراط جميع أبناء الدوار، في العملية المعروفة محليا باسم التويزة، كشكل من أشكال التضامن الجماعي، في القيام بالأشغال الفلاحية.. وهي أشكال تكاد تندثر في الوقت الراهن بفعل تراجع التضامن الجماعي، داخل الدواوير والقبائل.

2- إحداث جمعيات السقي كامتداد للتدبير التقليدي لمياه الري

تعتبر جمعيات السقي امتدادا للتسيير التقليدي الذي كانت تقوم به المجموعات القبلية قبل التجهيز الهيدروفلاحي الحديث. فقد كانت "الجماعة" في مستواها التقليدي تقوم بالتسيير الجماعي لمياه السقي، خاصة توزيع حقوق المياه والصيانة الدورية للسواقي التقليدية. من خلال تكليف شخص يسمى الفصال بتحديد أدوار المياه.

وأمام كل الاكراهات التي واجهها المكتب الجهوي للإستثمار الفلاحي للحوز على مستوى تدبير مياه الري بهذا المجال، تم إحداث جمعيات مستعملي مياه الري كتنظيم جديد، بديل عن التنظيم الجماعي التقليدي، لتدبير وتوزيع مياه الري على مستوى كل ساقية.

2-1 جمعيات مستعملي مياه السقي والإعداد الهيدروفلاحي

يعتبر القطاع الفلاحي أكبر القطاعات استهلاكا للماء بنسبة 85 بالمائة من مجموع الموارد المائية، الشيء الذي يحتم ضرورة تدخل الفاعلين في تدبير توزيع هذا الماء على شكل حصص تسمى حقوق الماء، تخضع لتنظيم دقيق، مما برر الحاجة إلى تأسيس جمعيات السقي التي تختص بتدبير مياه السقي خاصة في ظل اتساع رقعة ومساحات الاستغلاليات الفلاحية بسهل السراغنة وضمنه تراب تساوت السفلى.

ظهرت هاته الجمعيات لأول مرة في فرنسا تحت مسمى التعاونيات الفلاحية، والتي يدخل في اختصاصها تدبير الموارد المائية. أما بالمغرب وعلى عهد الحماية الفرنسية، فقد تم تأسيس اتحاد النقابات الفلاحية ((ASAP في مجالات السقي المتوسط والصغير، بموجب ظهير 15 يونيو 1924 الذي نص على تأسيس هذه الاتحادات إما بمبادرة من الفلاحين أو من خلال إدارة الحماية، وكان الهدف منها إدارة المرافق التابعة لها وتوزيع المياه بين الفلاحين. و في الواقع فقد كانت الغاية من تأسيسها تحسين ظروف الري في استغلاليات وضيعات المعمرين الفرنسيين، ومنحت لها صلاحيات السلطة العامة كمصادرة حق المياه و الأبنية المشمولة في محيطها و تحصيل الاتاوات للقيام بذلك.[1] و استمرت هذه الجمعيات في إدارة التنظيمات الاجتماعية المسؤولة عن الري بعد الاستقلال.

وبما أن الدينامية المؤسساتية التي راهنت عليها الدولة هي الانتقال من مجتمع الري إلى جمعية الري كشكل من أشكال التنظيم الاجتماعي لتدبير الماء، أي التحول من نموذج إدارة جماعية ومشتركة للماء إلى إدارة محددة تحت تسيير جمعية منتخبة. هذا الشكل الجديد المقترح لتدبير السقي وجد مشروعيته من خلال قابليتها للقبول أو الرفض من طرف المجتمع الذي تأسست فيه، ورهان الدولة على قدرة الفاعل أو الفاعلين المحليين على التأقلم مع هذا التنظيم الجديد، الذي يتجاوز مبدأ أولوية العالية على السافلة المعمول به في نمط التدبير الجماعي والمشترك لأفراد القبيلة الجماعة[2] ، كمبدأ مكتسب، والذي كان يخلق الصراع حول الماء خاصة في أوقات الشح والندرة.

ووجد هذا التأسيس مشروعيته من خلال صدور القانون 84/02 والمتعلق بجمعيات مستعملي مياه السقي،[3] وصدور قانون الماء 10-95 الذي نظم تدبير واستعمال مياه السقي بين الفلاحين بالمجالات المسقية.

2-2 الإطار القانوني لجمعيات السقي وطبيعة تدخلاتها.

[1] Lahssen bakkari 2009 : dynamiques institutionnelles des systèmes d'irrigation communautaires au Moyen Atlas, Maroc, de la communauté à l'association des irrigants ; thèse de Doctorat. Université Catholique de Louvai, p. 119

[2] Op.cit. p. 86

[3] قانون 02/84 الصادر سنة 1990، والمتعلق بجمعيات مستعملي مياه السقي

من المعلوم سلفا أن جمعيات السقي تخضع في تأسيسها وتنظيمها لظهير الحريات العامة بالمغرب لسنة 1958 والمنظم لحق تأسيس الجمعيات، وفي هذا السياق جاء قانون إحداثها بالموازاة مع التخلي عن نظام التدبير الجماعي للماء بموجب القانون والمرسوم السالف الذكر.

ومما جاء في هذا القانون أن جمعية مستخدمي المياه المخصصة للأغراض الزراعية هي جمعيات تعمل مع وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي، في إطار برنامج أعمال تهيئة الدائرة السقوية قصد استخدام المياه المخصصة للأغراض الزراعية. ويجب أن يتضمن نص الاتفاقية بين الجمعية والوزارة الوصية على: حدود دائرة الجمعية ومختلف أنواع الأعمال المراد إنجازها في الدائرة ومشروع الدراسة المتعلق بذلك ومبلغ الاستثمارات اللازمة لإنجاز جميع الأعمال التي يشملها البرنامج وتوزيعها السنوي.[1]

ويمثل الفلاحون المنتخبون أعضاء المكتب المسير للجمعية مع ضرورة إعطاء اسم لها. وتزاول الجمعية نشاطها داخل دائرة الري المحددة سلفا، كما هي محددة وموافق عليها في الخريطة الملحقة من قبل وزارة الفلاحة. وتهدف الجمعية داخل دائرتها إلى القيام بما يلي:

- تنفيذ جميع أعمال التهيئة المرتبطة باستخدام المياه المخصصة للأغراض الزراعية؛

- الحرص على حفظ منشآت استخدام المياه وتسييرها على الوجه الأحسن؛

- تنظيم توزيع المياه المعدة للري ؛

-القيام لدى أعضائها باستيفاء جميع الرسوم والضرائب التي تكل الدولة إليها أمر تحصيلها.

وعموما يعد قانون 02/84 المرتكز المؤسس لجمعيات مستعملي الماء الفلاحي في تساوت السفلى، وتم تنفيذه بمرسوم رقم 011-11-3.

أما على مستوى القطاعات المسقية فتهتم جمعيات السقي بتسيير المياه عبر تكليف كل فصال بإدارة باب منطقة محددة، كما تبث في النزاعات المحلية حول المياه. وتعد هذه الجمعيات أحد أهم الفاعلين في تدبير وتسيير المياه، فهي تتكفل بمعية الفلاحين بصيانة السواقي التقليدية وتضغط على المراكز المحلية كلما دعت الضرورة إلى ذلك لتسريح المياه أو إيقافها.

[1] Annabelle Houdret 2009 : Les conflits autour de l'eau au Maroc : origines sociopolitiques et écologiques et perspectives pour une transformation des conflits, thèse de Doctorat en sciences politiques. Université Duisburg Essen et Université Paris 8. P. 27

وعلى المستوى النظري يعد هذا التسيير التشاركي مهما للرفع من مردودية القطاعات السقوية، ومع ذلك يبين واقع الممارسة السقوية أنه يبقى دورها جد محدودا. فكيف ذلك؟

3. مكتب الحوزوإحداث جمعيات السقي بقطاع تساوت السفلى

بالموازاة مع الاستمرار في الإعداد الذي خضعت له تساوت السفلى، باشرت مصالح مكتب الحوز بملحقة قلعة السراغنة عمليات خلق وتأسيس جمعيات السقي منذ سنة 1995 والى غاية سنة 2001، لمواكبة التحولات التي فرضها الانتقال من نظام الري التقليدي، الى نظام الري عبر القنوات الاسمنتية، وتعويض دور الجماعة التقليدية كإطار اجتماعي. وهكذا تم تأسيس 50 جمعية سقوية امتدت الى القطاعات المسقية في تساوت السفلى على الشكل التالي:

الجدول رقم 1: توزيع جمعيات مستعملي مياه السقي حسب القطاعات في تساوت السفلى.

القطاعات	عدد الجمعيات	المركز الفلاحي
شمال القلعة	11	410
الضفة اليمنى	18	412
الضفة اليسرى	7	411
أعلى قناة T2	14	413

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوزملحقة القلعة 2019

تم إحداث جمعيات مستعملي مياه السقي في تساوت السفلى مباشرة بعد إنتهاء عمليات الإعداد الهيدروفلاحي، في نهاية التسعينات على وجه التحديد، تحت إشراف مكتب الحوز بقلعة السراغنة؛ وذلك بالخضوع للاعتبارات الثلاث التالية:

- التحديد الجغرافي لمساحة الدائرة المسقية.
- طبيعة الشبكة الهيدروغرافية.
- التمثيل القبلي للمستفيدين من ذوي الحقوق.

وهكذا، ساهم هذا التأسيس في الاحتفاظ بنفس ذوي الحقوق، على نفس المساحة المعنية بالإعداد، حيث انتهى إلى تأسيس خمسين جمعية لكل جمعية منخرطيها، وترابها السقوي، لكن الملاحظة الميدانية أثبتت عدم تطابق التراب السقوي للجمعية مع التراب الإداري للتقسيم الجماعي مما جعلها منذ البداية عاجزة عن إدارة الخلافات الناشئة بين أعضائها، كونهم لا ينتمون غالبا لنفس التراب الإداري. كما أن عدم إدراك الفلاحين في ذلك الوقت- وقت التأسيس - لأبعاد العمل الجمعوي، جعل مكتب الحوز يحتفظ بنفس المنطق القبلي القائم على تعيين /انتخاب الأعيان والوجهاء على رأس مكاتب هاته الجمعيات دون النظر الى معايير الكفاءة و القدرة على التدبير و التسيير اليومي، مما كرس للتفاوتات و التميز، بين المنخرطين و المكاتب المسيرة. وفي السياق الحالي تعتبر كيانا مهنيا يتألف من مستعملي المياه التي تكون دوافعهم موجهة نحو تحسين عوامل الإنتاج (الأرض، و الماء)، مما لم تسمح به الوضعية منذ ظهور هذه الجمعيات بسبب سيادة منطق التعيين بدل منطق الانتخاب.

الجدول رقم 2: توزيع جمعيات مستعملي مياه السقي في تساوت السفلى حسب المساحة والمستفيدين

القطاع المسقي	عدد الجمعيات	المساحة بالهكتار	عدد مستعملي مياه السقي	المساحة المتوسطة لكل جمعية ب ه	متوسط المستفيدين حسب الجمعيات
تساوت السفلى	50	45127	27472	940	572

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، ملحقة قلعة السراغنة 2019.

4 دور جمعيات السقي في تساوت السفلى:

تتكون جمعيات مستعملي المياه في تساوت السفلى من مجموع ذوي الحقوق لكل قناة ثانوية، ينتخبون فيما بينهم مكتبا، يضم رئيس الجمعية وأمين المال وكاتبها، بالإضافة إلى نواب ومستشارين . ويجتمع هذا المكتب خلال كل دورة سنوية عادية أو في دورات استثنائية لدراسة برنامج الري أو تجديد الفصالة.

وعموما تقوم جمعيات السقي بالتسيير اليومي للمياه على مستوى القنوات الترابية والحيازات الفلاحية، كما تبث في النزاعات بين الفلاحين. ويستفاد أن دورها كوسيط بين الفلاحين و المراكز الفلاحية مهم في إطار التشاور، حيث تتكلف بتدبير مياه السقي. غير أن هذا الدور الأساس الذي تقوم به هذه الجمعيات كمؤسسات محلية تدبر الشأن المائي المحلي تعترضها عدة مشاكل وعراقيل. وقد توصلنا من خلال نتائج البحث الميداني إلى جرد الكثير من العراقيل المؤثرة في أدوار جمعيات مستعملي مياه السقي، حيث أن الكثير من هاته الجمعيات تعيش وضعية جمود وغياب نسق معين للعمل المستمر بفعل تداخل عوامل عدة مع بعضها البعض.

4-1 أمية أعضاء الجمعيات السقوية:

تتجلى أهم عراقيل جمعيات تدبير الماء في تفشي الأمية ومحدودية المستوى المعرفي في مكاتبها المسيرة.

المبيان رقم 2: المستوى التعليمي لرؤساء جمعيات السقي في تساوت السفلى

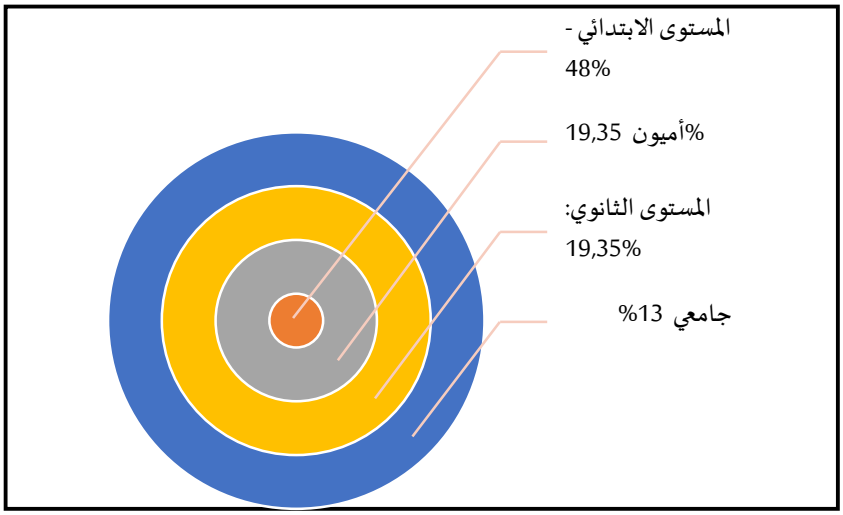

المصدر: العمل الميداني.

رغم أن طبيعة الأدوار المنوطة بجمعيات السقي تتطلب توفر مهارات على مستوى التسيير والتواصل والترافع، ودراية وخبرة واسعتين، تساعدان على وضع خطة العمل والمصادقة عليها من قبل مكتب الجمعية المنتخب والتحكم في آليات صنع القرار المعتمدة، و ضبط الإجراءات في مواجهة التعامل مع باقي الفاعلين، فتشير نتائج العمل الميداني والمعطيات الواردة في الاستمارة الموجهة لجمعيات السقي أن خمس رؤساء الجمعيات أميون، و ما يقارب نصفهم لا يتعدى مستواه الدراسي السلك الابتدائي، فيما لا تتجاوز عتبة السلك الثانوي 19%. أما التعليم الجامعي فلا يمثله، سوى 13 % من مجموع الرؤساء.

وفي ظل تفشي الأمية وتواضع المستوى المعرفي يصعب تحقيق كل الأهداف المرجوة من جمعيات مستعملي مياه الري، بل حتى الاستمرار في ممارسة المهام الاعتيادية.

4-2 غياب فئة الشباب داخل مكاتب جمعيات السقي:

رغم جسامة المسؤوليات التي تقوم بها جمعيات السقي، ووالت تتطلب حضور الفئات الشابة لطبيعة العمل الأدوار التي يقوم بها أعضاؤها في التنقل والسهر واليقظة، فقد أثبت البحث الميداني نتيجة مفادها غياب الشباب تقريبا داخل مكاتبها المسيرة، بالإضافة إلى أن رؤساء هاته الجمعيات السقوية غالبيتهم شيوخ؛ حيث أن

نتائج البحث الميداني أفادت بأن 31 جمعية من أصل 49 تغيب عنها فئة الشباب في التسيير مقابل هيمنة فئة الشيوخ و الكهول (حوالي 68%) داخل دواليبها و أجهزتها المسيرة.

المبيان رقم 3: نسب توزيع رؤساء جمعيات مستعملي مياه السقي في تساوت السفلى حسب معيار السن

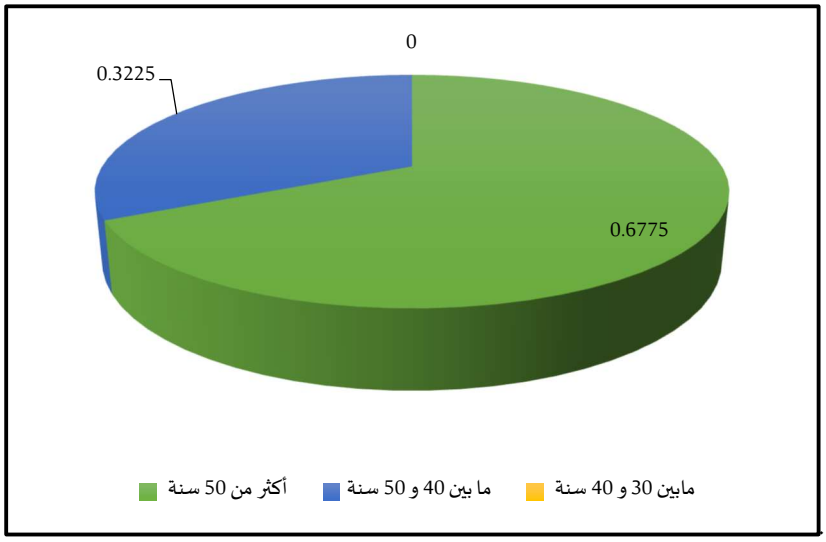

المصدر: عمل شخصي، حسب البحث الميداني 2018

4- 3 غياب الحكامة التدبيرية داخل بعض جمعيات السقي في تساوت السفلى:

تعتبر الحكامة أساس التدبير التشاركي بجمعيات مستعملي مياه السقي. ولأجل تسيير أفضل فيتطلب الأمر تواتر وانتظام اجتماعات مكاتب الجمعيات السقوية وفقا للمعايير القانونية والمرسوم المنظم لها، من خلال تسطير جداول الأعمال و احترام النقط المدرجة، والتداول في مختلف المشاكل و المقترحات، غير أن الواقع ليس كذلك؛ إذ من خلال نتائج البحث الميداني نجد أن ثلاث جمعيات مستعملي مياه الري (أي 9 %) من أصل 31 جمعية سقوية بالمجال، هي التي تعقد اجتماعات المكتب في مواعيدها و أجالها المحددة، و بالتالي فإن أغلبها لا تعقد جموعها العامة السنوية كما يحددها القانون[1]. كما توصلنا الى أن:

- أغلب الجمعيات السقوية لا تجتمع بصفة منتظمة لمناقشة المستجدات والدورة السقوية، والأمور التدبيرية،[2]
- جل الجمعيات السقوية لا تتوفر على حساب بنكي مما يعني غياب الشفافية وأليات المحاسبة على الأموال المعبئة لفائدة الجمعية.

[1] المادة 14 من القانون المنظم لجمعيات مستعملي مياه السقي.

[2] المواد 7، 13، 27 من نفس القانون.

- غياب الرصيد الوثائقي والمحاسباتي والإداري من أرشيف جمعيات السقي.[1]
- غياب شبه تام المساهمات المادية للمنخرطين والأعضاء.
- غياب استراتيجية للتواصل الداخلي أو الخارجي من طرف المكاتب المسيرة لجمعيات السقي،[2]
- عدم مطابقة تركيبة المكاتب المسيرة لجمعيات السقي مع القانون 2.84 من حيث عدد الأعضاء، والذي يشترط وجود 7 أعضاء منهم 6 فلاحين وممثل عن إدارة مكتب الحوز، حيث أن5 جمعيات فقط من أصل 31 جمعية، تراعي القانون المنظم، بينما تتألف مكاتب باقي الجمعيات الأخرى من 9 الى 11 عضوا في خرق للقانون المؤطر لعملها.
- غياب تداول/تناوب المسؤولية داخل المكاتب المسيرة لجمعيات السقي، حيث أن أعضاء بعينهم لا زالوا يمارسون نفس المهام منذ تأسيس جمعيات السقي سنة 1995، ويدل ذلك على أن أكثر من 80 % من الأعضاء مارسوا نفس المهام إلى حدود الفترة الراهنة.

4-4 تعاظم دور الفصالة وتراجع دور المكاتب المسيرة:

نستنتج من خلال نتائج العمل الميداني أن دور جمعيات مستعملي مياه السقي ظل ثانويا في الوقت الذي تعاظمت وازدادت أدوار ما يعرف بالمجاري أو الفصال. ولا يخضعون لقرارات جمعيات السقي في التدبير، حيث أنهم يربطون علاقات مباشرة بذوي حقوق مياه السقي، مما يخالف القانون المحدث لهاته الجمعيات. كما تغيب رقابة الجمعيات السقوية عليهم، في الوقت الذي يستمدون نفوذهم من ملحقة مكتب الحوز بقلعة السراغنة، وأدى ذلك الى ضياع الحق في الماء لدى أغلب الفلاحين وظهور المصالح النفعية والمحسوبية والزبونية في العمل، وبيع وشراء ساعات وحصص السقي خارج ضوابط الدورة السقوية، وتنامت سرقات الماء وتطورت أشكالها، وتعرضت القنوات الاسمنتية للتدهور من أجل تحويل مجرى مياه السقي نحو ضيعات واستغلاليات أخرى خارج نطاق البرنامج السقوي.

4- 5 ضعف التشبيك لدى جمعيات مياه السقي في تساوت السفلى:

يعتبر التشبيك وتقوية الترابط بين جمعيات مستعملي مياه السقي في تساوت السفلى أداة مهمة للترافع والضغط على ملحقة مكتب الحوز، وكذا لتوحيد الجهود و المطالب لتحسين تدبير الماء بين مستعملي مياه السقي في القطاعات المسقية، وتزداد هاته الأهمية في تسطير و مناقشة برنامج الدورة السقوية مع إدارة مكتب

[1] المادة 25 من القانون 2.84

المادة 25 من القانون 2.84 المتعلق بجمعيات مستخدمي المياه المخصصة للأغراض السقوية.

[2] المادة 14 من نفس القانون.

الحوز، البرنامج الذي يتم بشكل شهري تقريبا، حيث اتضح من خلال نتائج البحث أن جمعيات السقي بالمجال غير منظمة في إطار فيدرالية مهنية لمياه السقي، تدافع عن حقوق المنخرطين، وأنه على الرغم من مرور أكثر من عشرين سنة على تأسيس هاته الجمعيات ، فإنها لم ترق إلى مستوى توحيد الجهود، لخدمة مستعملي مياه الري خاصة الفلاحين الصغار منهم.

5 - ضعف الحكامة المالية لدى جمعيات السقي في تساوت السفلى:

ومن بين المؤشرات الدالة على هذا الضعف افتقاد جمعيات مستعملي مياه السقي في تساوت السفلى لأي ميزانية سنوية للتدبير، وغياب عمليات الصيانة الخاصة بالقنوات، فالموارد المالية التي من المفترض أن تمكنها من القيام بمختلف الأنشطة اليومية للتدبير، هي شبه غائبة الى منعدمة، حيث أنه من أصل 31 جمعية سقوية بقطاع تساوت السفلى، ثلاثة منها فقط تتوفر على حساب مصرفي. افتقاد أغلب جمعيات السقي لأدوات المحاسبة المالية، ومنها السجلات النقدية، ودفاتر البنوك، وإثبات النفقات. واستمرار النزاعات الداخلية في المكاتب المسيرة لجمعيات السقي، واحتدام الخلافات بين الأعضاء.

6 – انعدام التداول في المسؤوليات جمعيات السقي في تساوت السفلى:

بينت نتائج العمل الميداني عدم التداول في المسؤوليات و غياب التجديد الفعلي للمكاتب المنتخبة بسبب عدة عوامل متداخلة (تنظيمية، قانونية، تواصلية، محاسباتية،...). فبالرغم من ضرورة تجديد مكاتبها الا أنها لم تنجح في تجديد مكاتبها المسيرة و طغت الصراعات و المصالح الضيقة على مكاتبها المسيرة، وتم استغلالها لحسابات سياسية ضيقة، وتم تحويلها إلى أداة للعمل الحزبي و الانتخابي مما أفرغها من أدوارها التأطيرية والتدبيرية لمياه الري، مما جعلها غير فاعلة و لا تقوم بالأدوار المنوطة بها كما يحددها القانون.

وانعكس ذلك سلبا على تدبيرها لمياه الري واستمرت عمليات سرقة مياه السقي من السواقي بطرق وأساليب مختلفة، وتدهور شبكة الري. مقابل تعاظم دور الفصال الذي أصبح يقوم بأدوار متعددة تمتد لاختصاصات جمعيات السقي.

7- ضعف الشراكات لدى جمعيات مستعملي مياه السقي:

اتضح من خلال نتائج البحث الميداني أن جل جمعيات مستعملي مياه السقي بتراب تساوت السفلى منذ تأسيسها في أواسط التسعينيات هي غير قادرة على عقد شراكات مؤسساتية مع باقي الفاعلين والمتدخلين في مجال مياه السقي، بل تفتقد لقاعدة المعطيات الخاصة بالشراكات المؤسساتية المنتجة، وليست لديها الوسائل القمينة للوصول الى الداعمين والشركاء المحتملين.

لكنها في الوقت نفسه تبدي استعدادها من خلال نموذج للمكاتب الفاعلة في عقد الشراكات المنتجة مع باقي المتدخلين القطاعيين والمؤسساتيين الفاعلين في المجال.

8 - تسييس جمعيات مستعملي مياه السقي:

يحدد الانخراط كأعضاء داخل مكاتب جمعيات مستعملي مياه السقي في تساوت السفلى بناء على عدة معايير أخلاقية وقانونية ومنها عدم ربط الجمعية بالسياسة، غير أنه لوحظ خلال البحث الميداني أن أغلب رؤساء جمعيات السقي يمارسون مهاما انتدابية داخل الجماعات الترابية التي تنتمي إليها تلك الجمعيات، أو يمارسون مهاما داخل تنظيمات جمعوية أخرى؛ مما يجعل عمليات انتخاب المكاتب المسيرة لجمعيات السقي مجرد تعيينات للأعيان والوجهاء والمنتخبين من ذوي الحقوق دون المرور من شروط الكفاءة والقدرة على التدبير والتنظيم والعمل داخل المكتب المسير للجمعية، مما يعني أن تأسيس بعض جمعيات السقي تم عبر الاعتماد على شبكة الأعيان والوجهاء داخل المجال القروي لتساوت السفلى، وأصبح ولوج جمعيات السقي مكسبا اجتماعيا ورمزيا معا[1].

خاتمة

لم يصل التدبير الاجتماعي لمياه الري في تساوت السفلى، رغم خلق جمعيات مستعملي مياه السقي، إلى المستوى المنتظر والعقلاني لتدبير مياه السقي. و لم يبلغ هذا الفاعل الترابي الأهداف المرسومة له، و لم يصل الى عتبة تحقيق توزيع عادل ومنصف لمياه السقي بين المنخرطين، لأسباب متداخلة منها غياب الحكامة التدبيرية لهاته الجمعيات واستقواء دور الفصال وتجاوزه سلطة الجمعية، وغياب إشراكها الفعلي في اتخاذ القرار، وحضورها الشكلي في تسطير برنامج السقي، وخرق مكاتبها للقانون المنظم لتأسيسها، وغياب التداول في المسؤوليات، مع هيمنة الأمية الأبجدية والمعرفة التقنية بأبعاد برنامج السقي لدى رؤسائها.

كما أن الفلاحين يعتبرون أن الفترة/المدة الزمنية الفاصلة بين دورتين سقويتين على عهد السواقي الترابية التقليدية، كانت عموما أقصر مما هي عليه حاليا أي بعد عملية الإعداد والتهيئة الهيدروفلاحية للمجال؛ إذ لم تكن تتجاوز في الغالب 15 يوما. وذلك بفعل انتظام جريان السواقي، والتنظيم الدقيق لعملية السقي من طرف الجماعة التقليدية، وقصر فترات الشح التي ترتبط في الغالب بفصل الصيف. ولم تكن "الدول" / "الدورات السقوية" متباعدة ولم تكن ليفصل بينها ما معدله 26 يوما للدورة السقوية الواحدة. كما أن الصراع حول ماء السقي كان يتداول فيه في المجال القريب من مستعملي الماء، مما كان يساعد على حل النزاعات بطرق

[1] العمل الميداني، 2017-2018

تفاوضية وتحكيمية أثبتت نجاعتها. كما أن الدورة السقوية كانت تتم وفق الدورة الزراعية وحاجة النباتات والمغروسات إلى الماء، مما ساعد على ضمان المحاصيل الزراعية[1].

إن رهان الدولة في استمرار مجهودات إنعاش التدبير التشاركي للري بمناطق السقي المتوسط والصغير، ومنها قطاع تساوت السفلى من أجل إشراك مستعملي مياه الري في مسؤولية تدبير شبكات الري وتثمين الموارد المائية، كان منذ البداية مجانبا للصواب حسب الفاعلين، لأن طبيعة المهام الموكلة لجمعية مستعملي مياه السقي، كجزء من المجتمع المدني، يتجاوز القدرات التدبيرية و البشرية للجمعية، و لكون هذه الجمعيات تنشط في وسط ريفي تسود فيه الأمية، فقد فشلت في كسب رهان تقوية صيانة وإعادة تأهيل شبكات الري في المجالات السقوية الجماعية لضمان خدمات سقوية أفضل واستدامة للتجهيزات.

[1] العمل الميداني 2017-2018.

لائحة المراجع والمصادر

❖ مصادرومراجع باللغة العربية:

- المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

- قانون الماء 10-95 الصادر سنة 1995

- قانون 02/84 الصادر سنة 1990، والمتعلق بجمعيات مستعملي مياه السقي

- وكالة التنمية الاجتماعية: "التشخيص الترابي التشاركي لجماعات دائرة القلعة"، فبراير 2010.

❖ مصادرومراجع باللغة الفرنسية:

-Lahssen bakkari 2009 : Dynamiques institutionnelles des systèmes d'irrigation communautaires au Moyen Atlas, Maroc , la communauté à l'association des irrigants. Thèse de Doctorat. Université Catholique de Louvain

-Annabelle Houdret 2009 : Les conflits autour de l'eau au Maroc : origines sociopolitiques et écologiques et perspectives pour une transformation des conflits. Thèse de Doctorat en sciences politiques. Université Duisburg Essen et Université Paris 8.

الإعداد الهيدروفلاحي بالمجال السرغيني:

بين الأهمية والتحديات

ازرورة ياسين،

دكتور باحث في حقل الجغرافيا

ملخص:

أولى المغرب منذ حصوله على الاستقلال أهمية بالغة للفلاحة باعتبارها من مرتكزات السياسة الاقتصادية، وخيارا استراتيجيا من شأنه المساهمة في تنمية البلد، وسبيلا لتحقيق الأمن الغذائي وعاملا محفزا على الاستقرار بالنسبة للساكنة الريفية. كما أن الفلاحة ضلت طيلة عقود مضت شريان الحياة الاقتصادية بالمغرب، ويتضح ذلك جليا من خلال إفراد هذا القطاع بمجموعة من التدخلات التي استهدفت تنميته والنهوض به.

وقد تم وضع مجموعة من السياسات الفلاحية بالمغرب في إطار المحاولات الرامية للنهوض بالقطاع الفلاحي وتطويره وجعله مساهما في ضمان الأمن الغذائي، أبرزها سياسة الإعداد الهيدروفلاحي الهادفة لتحقيق تنمية محلية قوامها الفلاحة، والرامية لتقليص الفوارق المجالية بين المناطق السهلية، وهو ما تم عبر إحداث تسع دوائر مسقية تغطي مساحة مهمة من السهول المغربية وتختص بكونها تحتضن أجود الأراضي الفلاحية.

في سياق عرض مساهمة سياسة الإعداد الهيدروفلاحي في تطوير القطاع الفلاحي واستدامة إنتاجه وبالتالي ضمان الأمن الغذائي، يمكن إدراج إحداث دائرتي الري تساوت السفلى والعليا بالمجال السرغيني، ضمن أحد أوجه الاهتمام الذي حظيت به الفلاحة، التي شكلت قاطرة للتنمية المحلية طيلة عقود خلت، بيد أن التغيرات المجالية التي شهدتها المنطقة، أسهمت في تراجع دور الفلاحة لصالح قطاعات أخرى.

الكلمات المفاتيح: الفلاحة، الإعداد الهيدروفلاحي، الأمن الغذائي، التنمية المستدامة، البيئة.

Résumé :

Depuis son indépendance, le Maroc a accordé une importance à l'agriculture en tant que pilier de la politique économique Un choix stratégique qui contribuant au développement du pays et un moyen de garantir la sécurité alimentaire, tout en constituant un facteur de stabilité pour la population rurale. L'agriculture a été pendant

des décennies le pilier de de l'économie marocaine, comme en témoigne clairement l'attention portée à ce secteur à travers diverses interventions visant son développement et son essor.

Cela s'est concrétisé par l'adoption d'un ensemble de politiques et de plans, parmi lesquels se distingue la politique hydro-agricole visant à favoriser le développement local à travers l'agriculture, réduisant ainsi les disparités régionales entre les régions des plaines marocaines, caractérisées par la présence de terres agricoles de haute qualité.

Dans le cadre de la présentation du rôle de la politique hydro-agricole au développement et à la durabilité du secteur agricole, et donc à la garantie de la sécurité alimentaire, on peut mentionner la création des périmètres d'irrigation de Tadla inférieur et supérieur dans la région du Sraghna. Cela a été l'un des aspects d'intérêt accordé à l'agriculture, qui a été un moteur du développement local pendant des décennies. Cependant, les changements régionaux ont contribué à diminuer le rôle de l'agriculture au profit d'autres secteurs.

Les mots clés : L'agriculture, L'aménagement hydro-agricole, La sécurité alimentaire, le développement durable, L'environnement.

تقديم

استأثر القطاع الفلاحي باهتمام بالغ من لدن صناع القرار السياسي والاقتصادي الذين تبنوا سياسة الإعداد الهيدروفلاحي منذ نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، التي تبلورت من خلال تجهيز تسع دوائر سقوية موزعة على أجود الأراضي الفلاحية بالمغرب. في السياق ذاته استفاد المجال الفلاحي السرغيني من عدد من التجهيزات الهيدروفلاحية، من خلال تجهيز دائرتي الري تساوت السفلى والعليا[1].

يعتمد الاقتصاد السرغيني في شقه الأكبر على القطاع الفلاحي، الذي لم يدخر الفلاحون جهدا في تطويره من خلال توسيع مساحات الأراضي المسقية، عبر تسخير الموارد المائية المتوفرة على الرغم من قلتها (واد تساوت وواد لخضر). وتشييد مجموعة من السواقي التقليدية لتحويل مياه الأودية والعيون وتوزيعها وفق الأعراف السائدة آنذاك، بغية زيادة الإنتاج والتخفيف من وطأة الظروف المناخية.

انطلقت عملية سقي الأراضي الفلاحية بطرق تقليدية، لكن سرعان ما استبدلت بأخرى عصرية غداة انطلاق سياسة التجهيز الهيدروفلاحي بالمجال السرغيني أواخر ثمانينيات القرن الماضي، التي تجسدت ملامحها

[1] - ترد في هذا المقال تسمية تساوت العليا والسفلى، وذلك لكونهما التسميتان اللتان يعتمدهما المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز في تحديد دائرتيه السقويتين بإقليم قلعة السراغنة، بينما التسمية الجغرافية هي تساوت السفلى وتساوت الوسطى.

في تشييد ومد العديد من السواقي، وأيضا تحديث مجموعة من المجالات الفلاحية المنتمية أساسا لدائرتي الري تساوت السفلى والعليا، فضلا عن التزويد بتجهيزات السقي، وهو ما ساهم في تعزيز التنمية المحلية بالمنطقة.

رصدت مجموعة من الإمكانات المالية والبشرية والمؤسساتية لإنجاح سياسة الإعداد الهيدروفلاحي وبلوغ النتائج المتوخاة منها، وهو ما جعلها تساهم في تنظيم وعقلنة استغلال الموارد المائية، وتقوية الفلاحة المسقية والمساهمة في التنمية المحلية للساكنة، وتشجعها على الاستقرار بهذا المجال الذي اعتبر لعقود من الزمن مجالا طاردا للسكان، لكن هذه السياسة لم تقتصر أهدافها على التجهيز بل سعت لتطوير القطاع الفلاحي بمختلف دوائر السقي ومن بينها دائرتي تساوت السفلى والعليا، وهو ما ساهم في الرفع من المردودية الفلاحية وبالتالي ضمان الأمن الغذائي.

تعددت النتائج الإيجابية المترتبة عن تبني سياسة التجهيز الهيدروفلاحي بالمجال السرغيني، والمتمثلة أساسا في الرفع من مساحة الأراضي المزروعة والمردودية الفلاحية، إلا أنه قد اعترضتها بعض الإكراهات وحالت دون تحقيق جملة أهدافها المرجوة.

1- السقي التقليدي بإقليم قلعة السراغنة

تنوعت مجالات الاستخدامات البشرية للموارد المائية وتطورت طرق استخدامها مع توالي السنوات، وتعتبر الفلاحة أبرز القطاعات المستهلكة للمياه، فإلى جانب الاعتماد على التساقطات المطرية في سقي الفلاحة البورية، عمل الفلاحون على تسخير جل الإمكانيات البديلة لجلب الماء لسقي الأراضي عن طريق شق السواقي، أو حفر الآبار ...، وفي هذا الصدد يمكن أن نسوق نماذج متعددة كما هو الشأن بالنسبة للمجال السرغيني، الذي اعتمدت ساكنته أساليب متعددة للري منذ القدم، وهو ما يجد جذوره في أعمال أمازيغية وعربية قديمة، قامت بها المجموعات التي عمرت هناك (شوقي. ح، 2012، 31).

انكب اهتمام السلاطين على إحياء وشق السواقي في الحوز عموما والسراغنة تحديدا، وهكذا فأعمال المخزن في عهد المولى عبد الرحمان بن هشام واضحة في هذا المجال؛ حيث قام قائد السراغنة أحمد بن القائد حوالي سنة 1850م بشق وبناء واحدة من كبريات السواقي هنالك، وهي الساقية القايدية لسقي مغروساته من الزياتين والتين والبرتقال والحامض والرمان والعنب بالقلعة، والتي تمتد على حوالي أربعين كلمترا من سد تحويلها على مستوى ارتفاع طريق دمنات، كما أقيمت في الوقت نفسه ناعورة تأتي بالماء من الساقية الغابية للمغروسات نفسها (شوقي .ح، 2012، 36)

شكلت السواقي التقليدية أبرز الوسائل التي تم تسخيرها لسقي الأراضي الفلاحية بالمجال السرغيني، نظرا لكونها نظاما تقليديا لتعبئة المياه السطحية، وهو شائع بمعظم المناطق القابلة للسقي، ويرتكز هذا النظام

على جلب المياه من مجرى الوادي عن طريق سواق ترابية (PAUL. P, 1983, 84)، والذي يبقى أحد السبل التي تم اللجوء لها لمواجهة قساوة المناخ، خاصة وأن الماء بمجال الدراسة ظل يتحكم في الحياة السوسيو اقتصادية بشكل كبير.

شكل رقم 1: القنوات السطحية في سهلي الحوزوتساوت خلال سنوات الأربعينيات 1940

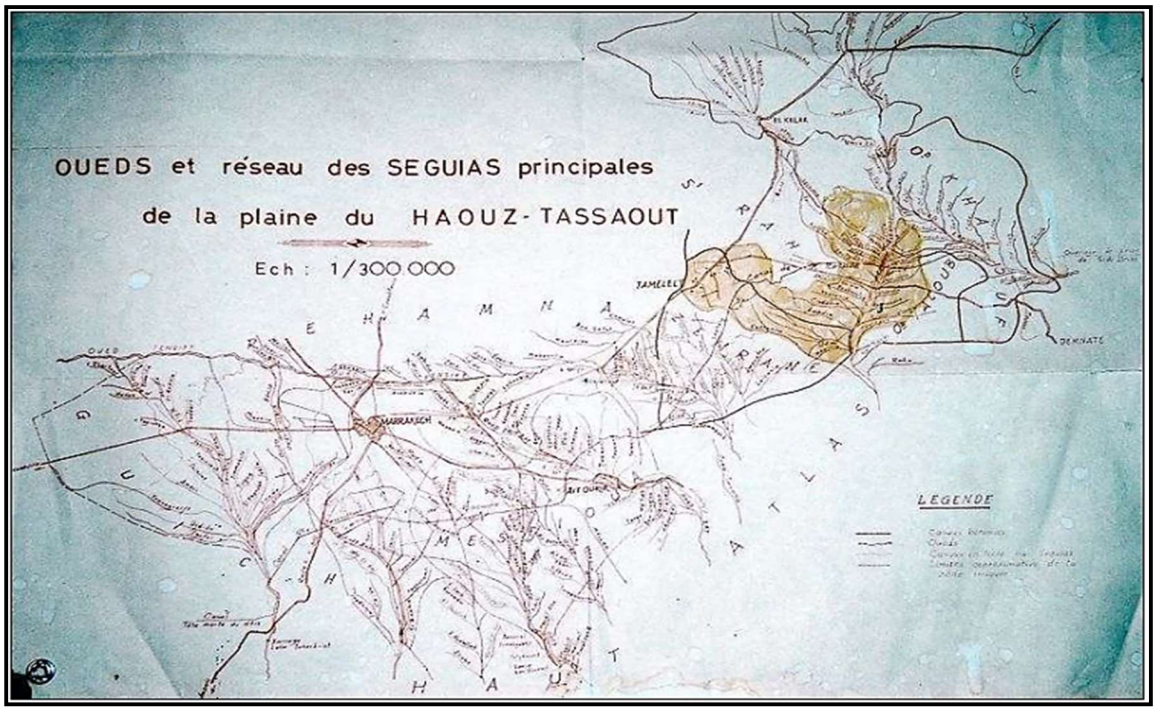

Source : Thierry, R, Kleiche-dray, M, (2018), **les eaux d'irrigation du Haouz de Marrakech : un siècle de confrontations des modèles de gestion publics**, privés et communautaires, Echogéo 43, p10.

يبرز الشكل (رقم 1) عددا من السواقي التي كانت منتشرة في سنوات الأربعينيات من القرن الماضي بمجال الدراسة، وقد تم اللجوء لها للتخفيف من وطأة الظروف المناخية السائدة بالمنطقة، بحيث كان محتما اللجوء للسقي لإقامة فلاحة دائمة تضمن مردودا فلاحيا يلبي الحاجيات المحلية، ونتيجة للتدبير التقليدي لمياه السقي انتشرت العديد من السواقي التقليدية على ضفاف الأودية التي تخترق المجال.

خطاطة رقم 1: بعض السواقي التقليدية المشيدة بالمجال السرغيني

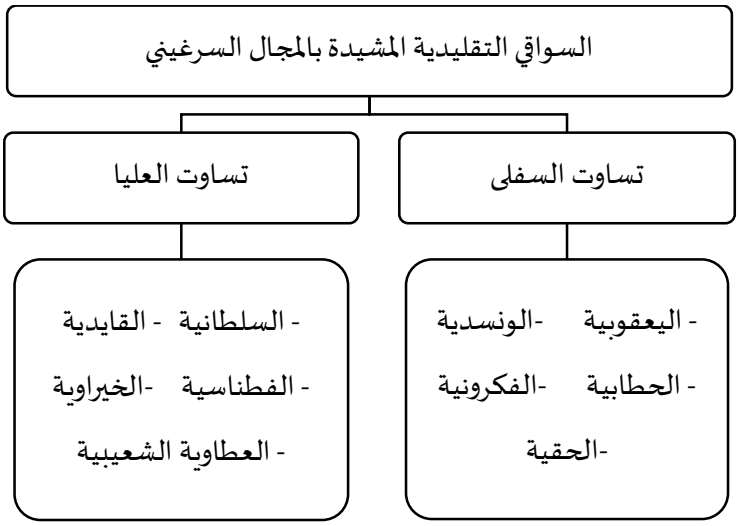

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، بتصرف.

تعرض الخطاطة أبرز السواقي التقليدية المشيدة بالمجال السرغيني والتي كانت تسخر لجلب المياه من وادي تساوت ولخضر لري أراضي واسعة ومشاعة؛ إذ تمت تعبئة القوى البشرية المتضامنة لحفر القنوات وعلى مسافات طويلة لري رساتيقها المنتظمة على جنبات الأودية، وهو ما يجد تفسيره في كون السواقي تحمل أسماء لتجمعات سكانية معينة (العراضية التابع لأواد عراض، المباركية التابعة لأولاد مبارك، الوكادية التابعة لأولاد وكاد)، وبذلك تكون تطابقا بين المجال المسقي والساقية وبين الجماعات المالكة المستغلة (المباركي. ح، 2002، 73).

صورة رقم 1-2: سواقي تقليدية لا تزال قائمة بإقليم قلعة السراغنة

(X : 7.12 Y : 32.15) (X : 7.13 Y : 32.15)

المصدر: تصوير شخصي، بتاريخ 16 يونيو 2021.

عموما يمكن القول أن التنمية المحلية ارتكزت بشكل ملحوظ على الفلاحة المسقية التي تمت في البداية بطرق تقليدية، وسعيا من لدن مختلف الفاعلين لعصرنتها، فقد تم العمل على تجهيز المجال الفلاحي السرغيني

تماشيا مع السياسات الفلاحية المغربية كالإعداد الهيدروفلاحي الذي غير معالم مجالات مختلفة، ومن بينها إقليم قلعة السراغنة، الذي شهد إثر ذلك تحول نمط السقي من التقليدي للعصري.

2- سياق تبني الإعداد والهيدروفلاحي

يعتبر الإعداد الهيدروفلاحي من أبرز السياسات التي تم تبنيها للنهوض بالقطاع الفلاحي؛ إذ أنه مع نهاية سنوات الستينيات قررت الحكومة المغربية، تنزيل التجهيزات السقوية الكبرى، كدعامة أساسية للإقلاع والتنمية الفلاحية، كما ساعدت العوامل الطبيعية على تبني السقي على نطاق واسع، إضافة إلى أن السلاسل الجبلية اعتبرت بمثابة خزانات مائية سهلت عملية سقي سهول مختلفة، الغرب تادلة ملوية الحوز (Bouderbala. N, 1999, 171).

سطرت سياسة الإعداد الهيدروفلاحي جملة من الأهداف، قاسمها المشترك عصرنة السقي بالعديد من المجالات، واستصلاح الأراضي الفلاحية من خلال القيام بمجموعة من التدخلات (عملية الضم، العدن، التجفيف ...)[1]. وتكمن أهمية هذا التدخل في المكانة التي حظي بها كسياسة موجهة للقطاع الفلاحي ضمن مجموعة من السياسات الأخرى، وتبرز الموارد المالية المرصودة لتنزيل التجهيزات الهيدروفلاحية هذه الأهمية، حيث تمثلت ميزانية الإعداد الهيدروفلاحي من مجموع ميزانية القطاع الفلاحي كالتالي:

مبيان رقم 1: ميزانية الإعداد الهيدروفلاحي من مجموع ميزانية القطاع الفلاحي

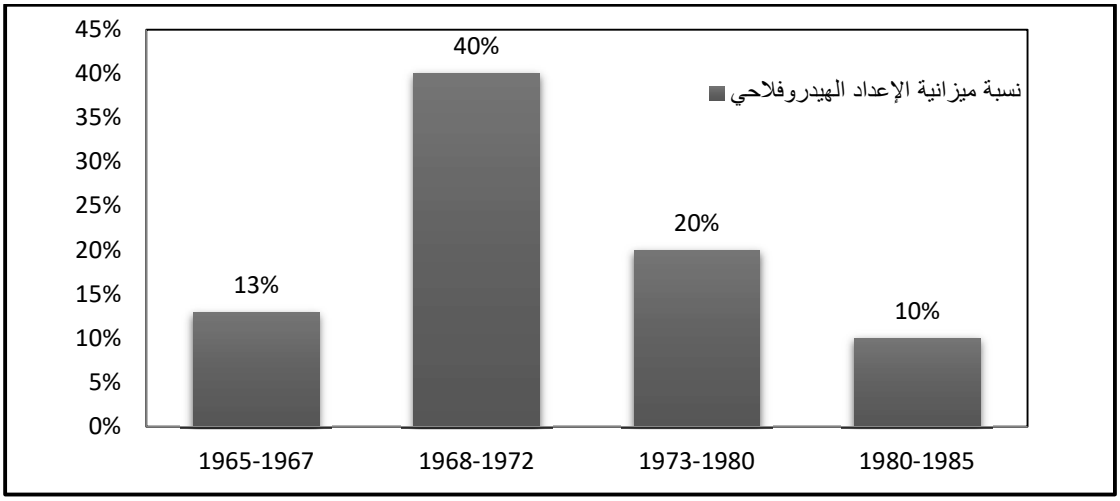

Source : Bouderbala, N, (1999), **L'aménagement des grands périmètres irrigués : l'expérience Marocaine,** .2CIHEAM options méditerranéennes, N°36, p17

1 - الضم: ترتبط هذه العملية بضم الأراضي بعضها لبعض من أجل تحسين أساليب الاستغلال عن طريق جمع وإعادة ترتيب القطع المبعثرة أو المجزأة أو التي ليس لها شكل منتظم لتتكون منها أملاك موحدة الأطراف أو أملاك محتوية على قطع أرضية كبيرة منسجمة الشكل.

العدن: ازالة / تنقية الأحجار من الأراضي حتى تصبح قابلة للاستغلال الفلاحي.

التجفيف: تجفيف عدد من المستنقعات المائية المعيقة لاستغلال الأراضي الفلاحية، وقد همت هذه العملية بالأساس منطقة الغرب.

سطرت السياسة الفلاحية بالمغرب ضمن أولوياتها إنجاز مشاريع هيدروفلاحية كبرى ومتوسطة في المناطق التي تتوفر على مؤهلات تساعد على ذلك، وقد مثل خطاب أرفود 19 نونبر 1973 للراحل الحسن الثاني الانطلاقة الفعلية لسياسة الإعداد الهيدروفلاحي، التي أثرت بشكل مباشر على الإقلاع الذي شهده القطاع الفلاحي، بحيث اختلفت مساهمته في الناتج الداخلي باختلاف السنوات، وانتقلت من 13.3% سنة 2013 إلى 13.7% سنة 2015، إضافة إلى أن القطاع يشغل 40 % من الساكنة النشيطة، وهو مصدر الدخل لحوالي 80 % من الساكنة القروية، ويساهم سنويا بنسبة 11% من إجمالي قيمة الصادرات (Conseil économique social et environnemental, 2017, 8).

3- مراحل تنزيل الإعداد الهيدروفلاحي بالمجال السرغيني

انطلق التجهيز العصري للأراضي الفلاحية بالمغرب منذ ثلاثينيات القرن الماضي، واعتبر استراتيجية تنموية ذات أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية، وقد تم الاحتفاظ بنفس الوسائل والأهداف فترة استقلال المغرب، الشيء الذي يبدو جليا من خلال تشابه الاستراتيجيات خلال المرحلتين (المرحلة الاستعمارية، ومرحلة الاستقلال)، حيث تم التركيز على توجيه الفلاحة نحو السقي وتبني الفلاحة التسويقية، لكن هذا الإعداد الذي هم مجالات دون أخرى، فقد اتسم بالطابع الانتقائي، المرتكز على انتقاء المجالات المؤهلة لتتماشى وتوجهات سياسة الإعداد الهيدروفلاحي (ازرورة. ي، 2021، 207).

انطلق الإعداد الهيدروفلاحي بإقليم قلعة السراغنة منذ أواخر الثمانينيات، واستمر إلى مطلع الألفية الثالثة، وقد مر بمراحل شبيهة بتلك التي شهدتها مختلف السهول المجهزة بدوائر الري، ويمكن إجمالها في أربع مراحل أساسية:

خطاطة رقم 2: مراحل تنزيل مشاريع الإعداد الهيدروفلاحي بالمجال السرغيني

المرحلة الأولى	• الدراسة الأولية لإمكانية إنجاز المشاريع المبرمجة
المرحلة الثانية	• تقدير تكلفة المشاريع المبرمجة
المرحلة الثالثة	• الموافقة المبدئية على الدراسة
المرحلة الرابعة	• انجاز المشاريع المبرمجة لسهل تساوت السفلى

ازرورة ياسين، (2021)، **الانعكاسات البيئية للتوسع العمراني على حساب أراضي الإعداد الهيدروفلاحي: حالة مدينة قلعة السراغنة**، مختبر الدراسات حول الموارد والحركية، كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش، ص208. (بتصرف)

استهدفت سياسة الإعداد الهيدروفلاحي تجهيز أجود السهول المغربية وسقيها من سدود متفرقة، وتعتبر دائرتي الري تساوت السفلى والعليا اللتان اتخذناهما مجالا للدراسة، جزءا من الدائرة السقوية الكبرى للحوز التي تمتد على مساحة تبلغ 700.000 هكتار. تنتمي الدائرتين موضوع البحث للحدود الترابية لإقليم قلعة السراغنة، وقد مر تجهيزهما بمراحل متعددة، حيث انطلقت الدراسة الأولية للمشاريع المبرمج تنزيلها بين سنتي (1986 – 1988)[1] تلى ذلك تقدير تكلفة المشاريع المبرمجة، ليتم بعد ذلك العمل على وضع التجهيزات الهيدروفلاحية.

جدول رقم 1: المساحات المجهزة بإقليم قلعة السراغنة وسنوات تجهيزها

القطاع	المساحة المجهزة بالهكتار	سنة التجهيز
تســـاوت السفلى		
عالية تساوت T2	4.799	نونبر 1987
جنوب القلعة	1.484	1994
الضفة اليسرى	8.500	اكتوبر 1990
الضفة اليمنى	16.000	غشت 1993
شمال القلعة	12.861	1999
تســـاوت العليا		
الصهريج	6.640	1972
العطاوية	3.142	1970-1978
بويدة	4.490	1975
اولاد سعيد	2.906	1976
الصخيرات	525	1976
تاوريرت	2.423	1977
الفرايطة	3.210	1975-1978
ولاد كايد	3.888	1977

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، مراكش، 2021.

لتتبع وضعية التجهيزات والسهر على القيام بمختلف التدخلات التي تهم الحفاظ على نتائج الإعداد وتثمينها، أنشئت العديد من الهياكل الإدارية (المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز، ملحقات المكتب

1 - كانت مجموعة من المجالات تسقى بطرق تقليدية، لكن في ظل الإعداد الهيدروفلاحي تم تحديثها لتنسجم مع ما جاءت به هذه السياسة من توجه لتجهيز الدوائر السقوية.

الجهوي للاستثمار الفلاحي ...). ويمثل التجهيز الهيدروفلاحي المحلي تجسيدا للمنحى العام الذي اتخذته السياسة على المستوى الوطني، ولذلك تم تسخير مختلف الإمكانات التقنية والمالية اللازمة لتبلغ المساحة المجهزة في الفترة الحالية 96.000 هكتار موزعة بين الدائرتين المذكورتين.

4- مظاهر الإعداد الهيدروفلاحي لإقليم قلعة السراغنة

يحظى التجهيز الهيدروفلاحي بأهمية بالغة كونه من العوامل المساهمة في تغيير معالم المشهد الفلاحي المحلي، كما كان له أثر بالغ في تحول نمط السقي، من خلال تشييد العديد من التجهيزات العصرية للمساهمة في تدبير الموارد المائية، وتجاوز العديد من الإكراهات التي شابت توزيع المياه في ظل تدبيرها التقليدي، وهو ما مكن من خلق دينامية اقتصادية محلية متمركزة على القطاع الفلاحي.

تعددت مظاهر التجهيز الهيدروفلاحي الذي شهده إقليم قلعة السراغنة، ويتجلى أبرزها في عصرنة نمط السقي، إذ أن حوالي 63% من الفلاحين أصبحوا يعتمدون مياه السدود التي يتم جلبها عبر السواقي، (قناة الروكاد، قناة T2)، بينما تراجع الاعتماد على مياه الضخ أو التساقطات بشكل ملحوظ، ويمكن التمييز في المناطق المجهزة بإقليم قلعة السراغنة بين دائرتين وهما:

- **تساوت العليا:** بمساحة بلغت 52.000 هكتار، تسقى انطلاقا من مياه واد تساوت التي تتم تعبئتها من خلال سد مولاي يوسف، (250 $م^3$ في السنة).
- **تساوت السفلى:** فهي تمتد على مساحة 70.000 هكتار منها 44.000 هكتار مسقية، تنقسم إلى وحدتين سقويتين وهما:

  - **عالية قناة السقي T2:** (6.500 هكتار)، التي تسقى انطلاقا من مياه الواد لخضر وتساوت، عن طريق سد الحسن الأول وسد مولاي يوسف، (46 $م^3$ في السنة)؛
  - **سافلة قناة السقي T2:** (37.500 هكتار)، تسقى انطلاقا من مياه واد لعبيد، عبر جلب المياه من سد بين الويدان، (235 $م^3$ في السنة). (Ouzine. L, Kharrou. M, H, 2004, 3)

خريطة رقم 1: توزيع المجالات المجهزة هيدروفلاحيا بإقليم قلعة السراغنة

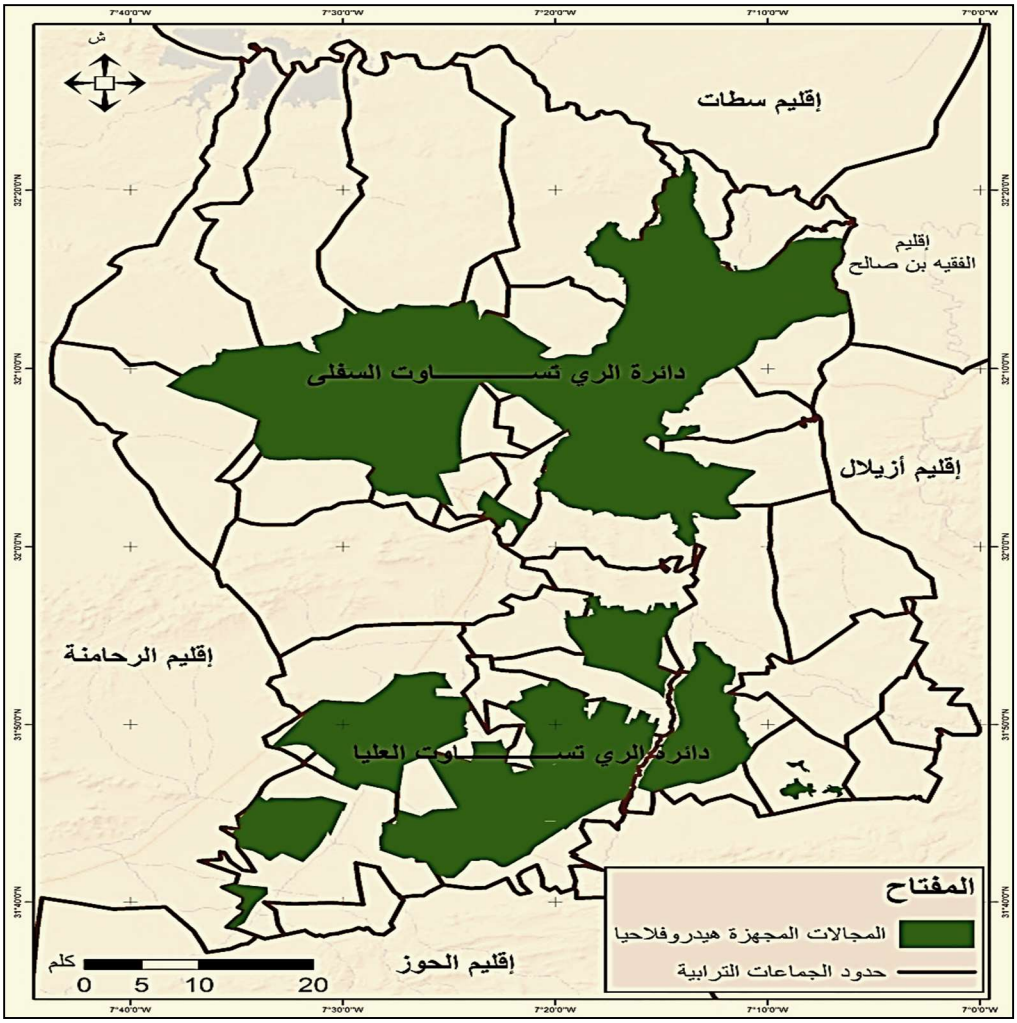

المصدر: إنجاز شخصي سنة 2023، باعتماد معطيات المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز.

تبرز الخريطة حدود المجالات المجهزة هيدروفلاحيا ضمن إقليم قلعة السراغنة، والتي بلغت مساحتها ما يناهز 96.000 هكتار، وهو ما من شأنه الرفع من المردودية الفلاحية وبالتالي توفير عدد من المنتجات الفلاحية المساهمة في ضمان الأمن الغذائي، وبالموازاة مع تجهيز الأراضي تم تشييد السدود لتوفير الموارد المائية والسواقي لتوزيع تلك الموارد على أكبر مساحة مكنة من الأراضي.

أ- مساهمة السدود في تغيير نمط السقي السائد بالمجال السرغيني

ساهم تشييد السدود في ترشيد استهلاك الموارد المائية وتدبيرها بما يضمن استدامتها، كما مكن من توفير الموارد المائية اللازمة لعصرنة نمط السقي بالمجال السرغيني، هذا الأخير الذي استفاد من مياه أربعة سدود رئيسية، وهي سد مولاي يوسف، وسد بين الويدان، وسد سيدي ادريس، وسد الحسن الأول.

جدول رقم 2: خصائص السدود المساهمة في سقي إقليم قلعة السراغنة

القاع المسقي (السقي الكبير)	السد	الواد	تاريخ بدأ الاستغلال	كمية المياه المتحكم بها	المساحة المسقية	المياه المخصصة (م م 3)	المياه المخصصة لكل هكتار
تساوت العليا	سد مولاي يوسف	تساوت	1969	240 م م3	30.000 هـ	180 م م3	6000 م3
					22.000 هـ	70 م م3	3180 م3
تساوت السفلى	سد بين الويدان	واد لعبيد	1953	945 م م3	37.500 هـ	235 م م3	6.270 م3
	سد الحسن الأول	لخضر	1986	346 م م3	6.500 هـ	20 م م3	4.620 م3
	سد مولاي يوسف	تساوت	1969	240 م م3		10 م م3	
	عتبة بولجة	–	–	–		15 م م3	2.300 م3

المصدر: 2023 www.ormvah.com

يتسم مجال الدراسة بقلة التساقطات التي بالكاد يصل متوسطها ل200 ملم بمجال البحث، وفي ظل تذبذبها وعدم استقرارها (التساقطات) بين سنة وأخرى فقد تم اللجوء لمياه السدود، التي عمل الفاعلون في الإعداد على تشييدها لتجاوز إكراه نقص المياه، لكن تجدر الإشارة إلى أن المغرب ومعه إقليم قلعة السراغنة يعيش فترة جفاف منذ سنة 2020 وما تزال مستمرة حتى الفترة الراهنة، مما ساهم في تراجع حقينة عدد من السدود التي تزود المنطقة بمياه السقي، وبالتالي انقطعت مياه السقي لمدة تزيد عن سنة كاملة، مما خلف نوعا من الارتباك لدى الفلاحين خاصة الصغار الذين ليست لهم بدائل للسقي.

ب- تشييد السواقي، تجهيزات هيدروفلاحية لتوسيع المساحة المسقية

تم تزويد مجال البحث بعدد من التجهيزات الهيدروفلاحية بغاية الرفع من المردودية الفلاحية والإنتاج الحيواني، وتعزيز مساهمة القطاع الفلاحي في تعزيز التنمية المحلية، وتمثلت أبرز تلك التجهيزات في السواقي

التي تعد من أبرز المنشئات المائية التي تم تشييدها، والتي ساهمت في ري مساحة مهمة من الأراضي الفلاحية، ورغم اختلاف خصوصياتها (عصرية وتقليدية) وتكلفة تشييدها، إلا أنها لعبت أدوارا متشابهة، وتعد جزءا من ثمار الإعداد الهيدروفلاحي الذي شهده مجال قلعة السراغنة.

جدول رقم 3: تكلفة تشييد السواقي بالدائرتين السقويتين (سنة 1990)

القطاع المسقي	طول السواقي بالكلم	تكلفتها المالية بالدرهم
تساوت السفلى	560	1.662.574.600
تساوت العليا	400	289.687.500
المجموع	960 كلم	1.952.262.100 درهم

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز 2021.

يبرز الجدول (رقم 3) امتداد السواقي بالدائرتين السقويتين وتكلفة تشييدها التي قاربت مليوني درهم، كما تمت تعبئة موارد مالية إضافية موجهة للصيانة وإعادة التهيئة، وهو ما ساهم في النهوض بالفلاحة المحلية، وضمان استمرار تزودها بمياه السقي وجعلها تعتمد زراعات متنوعة ودائمة وأكثر مردودية، ومن أبرز السواقي الرئيسية المشيدة بالمجال السرغيني نجد:

- قناة الروكاد (Canal De Rocade) التي شيدت سنة 1987، وتمتد على حوالي 118 كلم، وتنقل المياه من سد سيدي ادريس على واد لخضر، خصصت لسقي دائرة الري تساوت العليا.
- قناة السقي تساوت السفلى T2 (Zaraba) التي تجلب مياه السقي من سد بين الويدان على امتداد حوالي 93 كلم، خصصت لسقي دائرة الري تساوت السفلى؛

الصورة رقم 2و3: قناتي الروكاد وتساوت السفلى (T2)

قناة الروكاد

(X : 7.31 Y : 32.85)

قناة T2 (Zaraba)

(X : 7.36 Y : 32.08)

المصدر: تصوير شخصي، بتاريخ 18 غشت 2021.

تشكل السواقي المعروضة بالصور نموذجا لأهم التجهيزات الهيدروفلاحية الميسرة لسقي الأراضي الفلاحية بالمجال السرغيني، وهي في الآن نفسه مظهر من مظاهر الإعداد الذي خضع له المجال[1]، لكن بالموازاة معها فقد تم تشييد عدد من السواقي الثانوية وهو ما انعكس على أساليب السقي التي يمكن التمييز فيها بين:

- النظام التقليدي الذي تم تجديده Le système traditionnel réalimenté؛
- النظام التقليدي المحسن Le système traditionnel améliore؛
- نظام السقي العصري Le système moderne intégral؛
- نظام تحت الضغط Le système sous pression.

[1] - تجدر الإشارة إلى أن الإعداد تجاوز تدبير المياه، حيث تم تشييد عدد من الطرق لتسهيل الولوجيات، كما تم القيام بعمليات الضم الرامية لخلق إصلاحات عقارية، من خلال تعديل شكل الحيازات المشتتة، وضمان التحديثات الفلاحية التقنية، والرفع من المردودية الفلاحية، وكان ذلك بالموازاة مع العديد من العمليات، كالتسوية والتسطيح، والتي تعد أساس كل تجهيز هيدروفلاحي عصري لمنطقة فلاحية تقليدية، تتميز بتعقد البنيات العقارية وتشتت كبير للملكيات وصغر حجمها، وكثرة ما يتخللها من مسالك.

ج- نتائج الإعداد الهيدروفلاحي بالمجال السرغيني

ساهم التجهيز الهيدروفلاحي في تغيير ملامح المشهد الفلاحي لإقليم قلعة السراغنة؛ حيث أضحى يضم قطاعات مسقية تغطي حيزا جغرافيا هاما مقارنة بنظيرتها البورية، مما ساهم في خلق دينامية اقتصادية واجتماعية وتنمية محلية مستفيدة من عائدات الزراعة المسقية، وهو ما يعكس أيضا نوعا من الاهتمام الذي حظي به القطاع الفلاحي السرغيني؛ حيث إن الإعداد ساهم وبشكل ملحوظ في الدفع بعجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للإقليم من خلال حسن تعبئة وتدبير الموارد المائية، وتغطية الحاجيات المتزايدة من هذه المادة الحيوية، لكن التجهيز لم يقتصر على تشييد السدود ومد قنوات السقي، وإنما سعى لاقتراح زراعات دائمة تتلاءم وخصوصيات القطاعات المستهدفة بالتجهيز، وكذا الموارد المائية المتاحة للسقي، مما ساهم في تنوع المزروعات والمغروسات ومواكبتها للطب المحلي والوطني.

جدول رقم 4: الاستخدام الفلاحي للأراضي فترة ما بعد التجهيز الهيدروفلاحي

الزراعات	تساوت العليا		تساوت السفلى	
	المساحة بالهكتار	%	المساحة بالهكتار	%
زياتين	26.810	30.6	13.548	24.2
أشجار مثمرة أخرى	5.018	5.7	487	0.9
حبوب	45.670	52.1	33.600	60.1
زراعات علفية	2.454	2.8	5.569	9.9
بقوليات	4.382	5.1	1.563	2.8
قطن	164	0.2	0	0
شمندر سكري	212	0.3	0	0
زراعات صناعية أخرى	413	0.5	292	0.5
البور	2.423	2.7	941	1.6

le cas LOUHMADI, A, (2007), **les interrelations entre ville et compagne dans la Tassaout (Maroc),** Source : **d'Elkelaa des Sraghna dans un espace rural en transformation** ; thèse de doctorat d'état ès lettres, option géographie, p132.

أفرز التجهيز الهيدروفلاحي لدائرتي الري تساوت العليا والسفلى تنوع الزراعات والمغروسات، وتظل الزياتين والحبوب أبرز الأنواع السائدة بالمساحة المزروعة على التوالي ب 24% و60%، كما أن المردودية الفلاحية بدورها عرفت تحسنا ملحوظا.

جدول رقم 5: حصيلة الانتاج الفلاحي سنة 2019 بالمجال السرغيني

المزروعات	مساحة السقي الكبير (بالهكتار)	الإنتاج السنوي (بالطن)
الحبوب	48.000	167.000
زراعات علفية	7.700	18.000
خضراوات	1.500	2.000
أشجار مثمرة	27.200	(الزيتون) 72.300
مغروسات أخرى	10.500	ــــــــ
المجموع	96.000	259300

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز، ملحقة قلعة السراغنة (2020)

من خلال المعطيات السالفة الذكر يتضح جليا أن الإعداد الهيدروفلاحي الذي خضع له المجال السرغيني ساهم بشكل كبير في استدامة عدد من المنتجات الفلاحية وفي مقدمتها الزيتون، لكن هذا المجال لا يعد سوى جزءا من المجالات الخاضعة للتجهيز الهيدروفلاحي؛ حيث أنه على مستوى مجال تدخل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز (الدائرة السقوية الكبرى للحوز) وحسب آخر الإحصائيات لهذا الأخير فإن إنتاج الزيتون بلغ متوسطه 300.000 طن سنويا، إضافة إلى أن إنتاج الحوامض بلغ 160.000 طن سنويا أي ما يعادل (8% من الإنتاج الوطني)، تصدر منها حوالي 70.000 طن، كما أن المشمش بلغ متوسط إنتاجه سنويا 65.000 طن (60% من الإنتاج الوطني)[1]، كل هذه المعطيات تبرز المساهمة الفعالة للإعداد الهيدروفلاحي في ضمان الأمن الغذائي المحلي والوطني، كما أنه تجاوز ذلك حيث أصبحت نسبة مهمة من بعض المنتجات موجهة للتصدير.

[1] - تجدر الإشارة إلى أن هذه الأرقام مرشحة للتناقص خاصة في ظل تعاقب سنوات الجفاف بالمجالات المجهزة ليس فقط بإقليم قلعة السراغنة، بل بعموم المناطق الفلاحية المغربية.

يأتي عرض المعطيات الفلاحية السالفة في سياق إبراز مدى مساهمة التجهيز الفلاحي في تأمين بعض المنتجات الفلاحية والتي بدورها تساهم في تأمين الأمن الغذائي، خاصة وأن مجال البحث أصبح يضم مناطق واسعة مغروسة بأشجار الزيتون / الزياتين، وكذا العديد من الزراعات العلفية وغيرها من مظاهر التطور الفلاحي. يبقى التجهيز الذي شهده المجال السرغيني من عوامل الإقلاع الفلاحي، وعاملا أساسيا في استدامة إنتاج عدد من المنتجات الفلاحية، لكن الحفاظ على استمرارية نتائج الإعداد الهيدروفلاحي رهين بتوفير الموارد المائية المخصصة للسقي خاصة في ظل الظرفية الحالية المتسمة بشح التساقطات المطرية.

د- إعداد هيدروفلاحي مهم تشوبه العديد من الإكراهات

ساهم التجهيز في تغيير ملامح المشهد الفلاحي لإقليم قلعة السراغنة؛ حيث أصبح يحتضن مساحة مسقية تقدر بحوالي 96.000 هكتار، لكن بعد الحديث عن النتائج الإيجابية التي خلفها، لابد من مسائلة مدى نجاعته وقابليته لمواجهة العديد من التحديات (المناخية، الاقتصادية ...)، خاصة وأن الفترة الراهنة أبانت عن عدد من الاختلالات التي طبعت التجهيز الهيدروفلاحي، حيث أنه بعد تعاقب ثلاث سنوات فقط من الجفاف (2020 – 2022)، باثت أثاره واضحة على الأراضي الفلاحية المسقية.

صورة رقم 5– 6 : تأثير الجفاف على أشجار الزيتون بأراضي التجهيز الهيدروفلاحي سنة 2022.

(X : 7.28 Y : 32.14)

(X : 7.28 Y : 32.14)

المصدر: تصوير شخصي، سنة 2022.

تعرض الصور تأثير الجفاف على أشجار الزيتون، خاصة بعد انقطاع مياه السدود لما يزيد عن ثمانية أشهر، مما يبرز على أن الفلاحة المحلية رغم تجهيزها وتزويدها بمياه السقي إلا أن مردوديتها واستمرارها رهين بالوضعية المناخية السائدة.

تعددت الإكراهات التي واجهت الأراضي الفلاحية المجهزة، خاصة وأن الإعداد لم يستطيع تغيير الخصائص المناخية والترابية كلية، كما أن بلوغه معظم الأهداف المسطرة اعترضته جملة من الإكراهات التي يبقى أبرزها:

- **محدودية أصناف المغروسات:** رغم ارتكاز التجهيز الهيدروفلاحي على العديد من الدراسات وتزويده للمجال بمجموعة من التجهيزات، إلا أن الحرارة المرتفعة تحد من تشكيلة الزراعات والمغروسات، ويؤثر على طول الدورة الزراعية، الشيء الذي جعل فلاحي المنطقة يقتصرون على أصناف محدودة، كغرس الحوامض وأشجار الزيتون، نظرا لتأقلمها مع قساوة المناخ السائد، وكذلك لمعرفة الساكنة المحلية بكيفية التعامل مع هذا الصنف، كما أن الزراعات اقتصرت على أصناف محدودة (الفصة، البرسيم، القمح، الشعير).

- **محدودية الموارد المائية الموجهة للسقي:** أضحت مجموعة من السدود تعاني تراجع حقينتها خاصة في العقود الأخيرة؛ حيث أن مخزونها السنوي بالكاد يصل ل 50%، مما يزيد من حدة الإكراهات المائية التي تواجه الإعداد الهيدروفلاحي.

جدول رقم 6: الحقينة المائية لبعض السدود بتاريخ 2021/03/08

السدود	الحجم الإجمالي (م م 3)	المخزون الحالي (م م 3)	نسبة الملأ (%)
مولاي يوسف - تمينوتين	143,269	76,908	54%
لالة تاكركوست	54,036	8,162	15%
الحسن الأول	236,038	82,204	35%
سيدي إدريس	2,449	2,423	99%
بين الويدان	1215,504	441,938	36%
المجموع	1721,296	663,147	39%

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، 2021.

يعمل الفاعلون في التجهيز الهيدروفلاحي على تدبير ندرة الموارد المائية، خاصة وأنها تشهد ضياعا مستمرا لكون عمليات الصيانة تبقى غير كافية، وما يزيد من حدة هذه الإكراهات، كون المياه الموجهة للسقي

تسخر لأصناف نباتية غير تلك التي تتم برمجتها، إضافة إلى أنها عرضة للسرقة بين الفينة والأخرى (Bouderbala, N, 1999, 179) وهو ما يخلق فوارق بين المياه الموفرة والمياه المتطلبة للسقي.

مبيان رقم 2: تطور العرض والطلب على الموارد المائية بمجال قلعة السراغنة

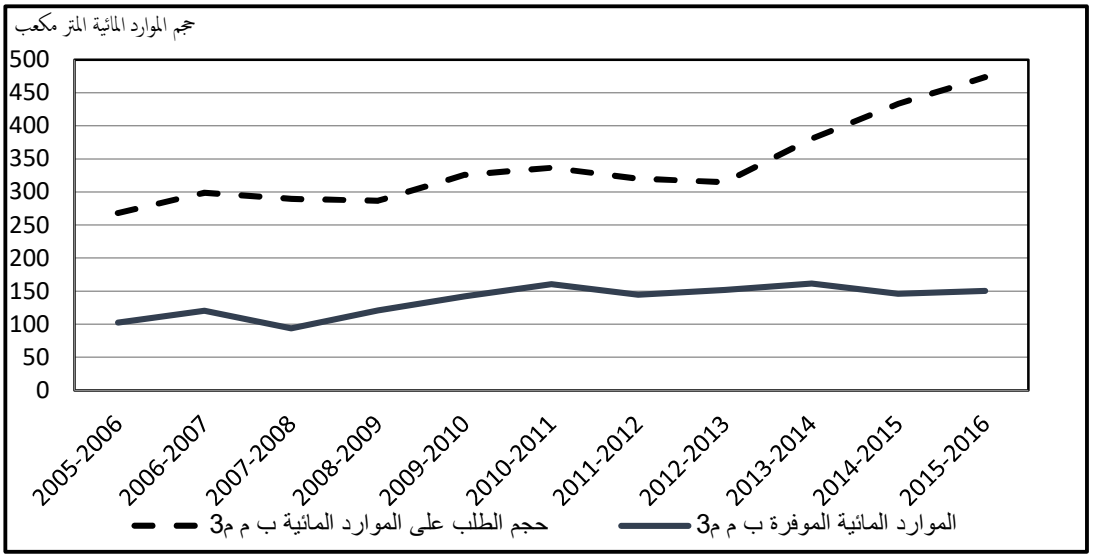

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، ملحقة قلعة السراغنة 2019.

يبرز المبيان الفوارق الحاصلة بين العرض والطلب؛ حيث أن كميات المياه التي تم توفيرها على امتداد عشر سنوات تتأرجح بين 100 و200م^3، بينما الطلب الموازي في نفس الفترة يتراوح بين 250 و500م^3.

جدول رقم 7: ضعف تغطية الحصص المائية العادية المقررة للسقي

معدل التغطية المائية 5 مواسم الماضية		معدل التغطية لمائية ل 10 مواسم لماضية		معدل التغطية لمائية ل25 موسم ماضي	
حجم المياه ب م م^3	نسبة تغطية الحاجيات	حجم المياه ب م م^3	نسبة تغطية الحاجيات	حجم المياه ب م م^3	نسبة تغطية الحاجيات
371.3	%42	463	52%	565	63%

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز، ملحقة قلعة السراغنة 2020.

تظهر الفوارق جلية بين الموارد المائية المتطلبة للسقي وتلك التي يتم توفيرها، والتي غالبا ما تسجل عجزا يناهز 50%، ينضاف لذلك عدة إكراهات كتلوث المياه والتبخر وتقادم السواقي وعمليات السرقة التي يبلغ متوسطها الشهري 30 سرقة[1].

مبيان رقم 3 : بعض إكراهات تدبير مياه السقي

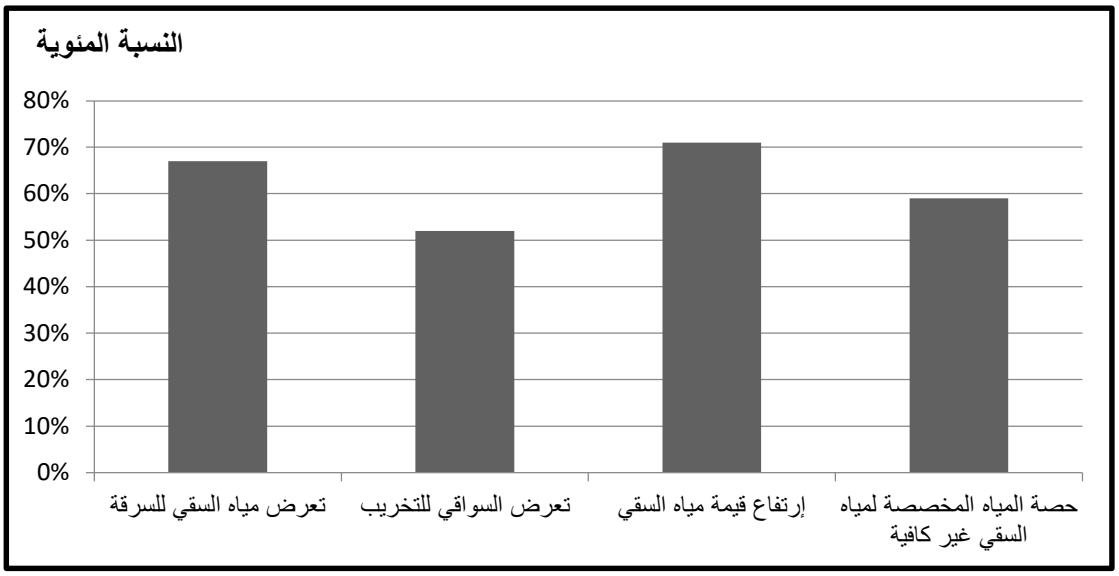

المصدر: الاستمارة الميدانية، سنة 2021.

يبرز المبيان عددا من الإكراهات المرتبطة بتدبير مياه السقي؛ حيث أن نسبة 95% من الفلاحين المستجوبين يعانون من سرقة المياه المخصصة لسقي أراضيهم، إضافة إلى أن نسبة 98% يواجهون قلة الموارد المائية المخصصة للسقي، بحيث أن دورات السقي غالبا ما تتجاوز مدة الشهرين.

[1] - مقابلة: مدير المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز، ملحقة قلعة السراغنة، سنة 2021.

صوررقم 7-8 -9 -10: بعض الإكراهات التي تتعرض لها الموارد المائية والتجهيزات الهيدروفلاحية

سرقة المياه المخصصة للسقي من لدن بعض الفلاحين

(Y : 7.40 X : 32.07)

(Y : 7.40 X : 32.07)

ضياع المياه بسبب تقادم قنوات السقي

(Y : 7.31 X : 32.11)

(Y : 7.31 X : 32.11)

المصدر: تصوير شخصي، سنة 2021.

- **التوسع العمراني كإكراه أضحى يواجه الأراضي المجهزة:** برزت هذه الظاهرة منذ مطلع التسعينيات، وأصبحت تشكل تهديدا للأراضي الهيدروفلاحية، ويعتبر إقليم قلعة السراغنة من المجالات التي شهدتها بشكل ملحوظ، حيث تم تشييد مجموعة من التجزئات كليا أو جزئيا ضمن حدود دائرة الري.

إن تجاوز الإكراهات التي تطال أراضي الإعداد الهيدروفلاحي رهين بمدى وعي الفلاحين بأهميته كمشروع وطني، سعى لتثمين أراضيهم وتمكينهم من خلق تنمية مرتكزة على الفلاحة وضمان الأمن الغذائي، وهو ما قد يمكن من تثمين الأراضي الفلاحية المجهزة، وعدم تفويتها لاستعمالات أخرى كالتعمير ولو في ظل وجود إغراءات مالية من لدن المنعشين العقاريين.

خاتمة

أسفر التجهيز الهيدروفلاحي لإقليم قلعة السراغنة عن نتائج هامة؛ إذ تغيرت معالم المجال الفلاحي السرغيني، الذي انتقل من التدبير التقليدي إلى التدبير العصري، كما توسع المجال المسقي وتم اعتماد فلاحة دائمة وأكثر مردودية، ناهيك عن تدشين مجموعة من الإصلاحات والتجهيزات العصرية وتشييد السدود ومد قنوات الري واستصلاح الأراضي، الأمر الذي مكن من سقي مساحة هامة داخل الإقليم. تعزز مسلسل التجهيز الهيدروفلاحي بتدشين إصلاحات عقارية من قبيل عملية الضم التي همت الدائرة السقوية لتساوت العليا، وهو ما يسر عملية استغلال الأراضي الفلاحية، وانعكس إيجابا على التنمية المحلية ومكن من تجاوز الإكراهات المناخية، التي لطالما واجهت المنطقة وكانت عقبة أمام تطور فلاحتها.

مما لا شك فيه أن الإعداد الهيدروفلاحي كانت له مجموعة من الأثار الإيجابية التي تمت الإشارة إليها آنفا، بيد أنه بالموازاة مع ذلك واجهته مجموعة من الإكراهات التي ارتبطت في شق منها بعوامل طبيعية، كتلك المتعلقة بالمناخ، وأخرى ناتجة عن التدخل السلبي للإنسان، من خلال تدمير البنيات التحتية والإنتاجية وإتلاف التجهيزات، وبالتالي يبقى الرهان قائما للحفاظ على منجزات السياسات الفلاحية بما فيها التجهيز الهيدروفلاحي لمواجهة التحديات المناخية الراهنية، وضمان استدامة المنتجات الفلاحية بما يضمن الأمن الغذائي.

لائحة المصادروالمراجع

❖ المراجع باللغة العربية:

-ازرورة ياسين، (2021)، الانعكاسات البيئية للتوسع العمراني على حساب أراضي الإعداد الهيدروفلاحي: حالة مدينة قلعة السراغنة، مختبر الدراسات حول الموارد والحركية، كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش.

-السرغيني عبد الرحيم، (2019)، تدبير الموارد المائية والتنمية الترابية بأرياف تساوت السفلى، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط.

-شوقي حسن، (2012)، الماء بتساوت، السراغنة وزمران الأنهار- السواقي – الدول والقسمة - تاريخ وتقنيات، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات، مراكش.

-المباركي حسن، (2002)، الماء وعلاقته بأنماط الإنتاج في المجتمع الريفي المغربي، حالة الحوز الشرقي، أعمال ندوة الماء بتانسيفت، تاريخ وتقنيات، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش.

-المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، مراكش.

❖ المراجع باللغة الفرنسية:

-BENHADI, A, (1977), la politique marocaine des barrages. in : les problèmes agraires au Maghreb, Ed C.N.R.S.

-Bouderbala, N, (1999), L'aménagement des grands périmètres irrigués : l'expérience Marocaine, CIHEAM options méditerranéennes, N°36.

-Conseil économique social et environnemental, (2017), développement du monde rural, défis et perspectives.

-Ouzine, L, Kharrou, M, H, (2004), conception participative de projets d'irrigation dans le périmètre du Haouz, acte de séminaire modernisation de l'agriculture irriguée, rabat

-PAUL, P, (1983), le Haouz de Marrakech, CURS Rabat.

-Thierry, R, Kleiche-dray, M, (2018), les eaux d'irrigation du Haouz de Marrakech : un siècle de confrontations des modèles de gestion publics, privés et communautaires, Echogéo 43.

-www.ormvah.com

الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية
بِمَدينَة قَلعَة السَّرَاغِنة

فيصل حياني، باحث بسلك الدكتوراه،
محمد أكلع، أستاذ التعليم العالي،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش

ملخص:

شهدت مدينة قلعة السراغنة تطورا مجاليا بارزا، في العقود الأخيرة. وذلك استجابة للحاجات الاقتصادية والاجتماعية المتزايدة للمدينة والسكان. ولإشباع هذه الحاجات وتحقيقها كان لابد للمجال الحضري أن يتسع على حساب الأراضي الزراعية المجاورة له، حتى يتمكن من خلق وعاء عقاري بالمدينة قادر على خلق دينامية اقتصادية واستقطاب التيارات البشرية المهاجرة خاصة تلك القادمة من القرى. إلا أن هذا التوسع خلف عدة آثار اجتماعية واقتصادية وبيئية، عمقت إشكالية تدبيره، وضبط تحولاته المجالية.وتحقيق التنمية المستدامة بهذه المدينة. وهو ما جعلنا نقف بالدراسة والتحليل على بعض جوانب التوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعي بمدينة قلعة السراغنة، بالاعتماد على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفاتيح: الزحف العمراني -المدينة – الأراضي الزراعية – الدينامية المجالية.

Résumé :

La ville de Kelaat El Sraghna a connu un développement spatial important au cours des dernières décennies. Cela répond aux besoins économiques et sociaux croissants de la ville et de sa population. Pour satisfaire et réaliser ces besoins, la zone urbaine a dû s'étendre au détriment des terres agricoles qui lui sont adjacentes, afin de créer une base immobilière dans la ville capable de créer un dynamisme économique et d'attirer des flux humains migratoires, notamment ceux venant des villages. Cependant, cette expansion a laissé derrière elle plusieurs impacts sociaux, économiques et environnementaux, qui ont approfondi le problème de sa gestion, du contrôle de ses transformations spatiales et de la réalisation du développement durable de cette ville. C'est ce qui nous a amené à étudier et analyser certains aspects de l'expansion urbaine au détriment des terres agricoles dans la ville de Kelaa de Sraghna, en nous appuyant sur l'approche historique et l'approche descriptive et analytique.

Mots-clés: L’étalement urbain – la ville – les territoires agricoles – les dynamiques spatiales.

تقديم:

يعرف المغرب على غرار عدد من الدول السائرة في طريق النمو تطورا حضريا متزايدا وتحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية مهمة، من مظاهرها الأشكال التوسعية للمدن الخاضعة للتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية، ويرجع ذلك إلى الزيادة الطبيعية وتيارات الهجرة القروية التي ساهمت وبقسط كبير في تزايد سكان المدن، إضافة إلى تحويل نسبة كبيرة من عائدات المهاجرين المغاربة للاستثمار في العقار والبناء.

لهذا فقد كان لابد من توسع رقعة المجالات الحضرية وذلك من خلال إنشاء أحياء سكنية جديدة، الشيء الذي ترجم بالاتساع المطرد لرقعة المجال المبني على حساب الأراضي الفلاحية والمجالات الضاحوية، مما أدى إلى تعدد تدخلات الدولة سواء على مستوى التنظيم والتخطيط.

ومدينة قلعة السراغنة بدورها لم تكن بعيدة عن هذه التحولات العامة والدينامية المجالية للحواضر بالمغرب ككل، فقد عرفت في الآونة الأخيرة توسعا عمرانيا ودينامية حضرية على حساب المجالات الزراعية، ليخضع المجال الحضري لقلعة السراغنة لمجموعة من التغيرات المتلاحقة بدءا من فترة الحماية الفرنسية التي عرفت تقسيما وظيفيا للمجال الحضري، مرورا بفترة انتقالية بين الاستقلال وتعيين مدينة قلعة السراغنة كعاصمة للإقليم بحلول سنة 1973 وصولا إلى الفترة الحالية.

هذه المظاهر أسست لجملة من التحولات المجالية المهمة التي ستظهر بشكل أكبر وضوحا عندما يتداخل التوسع مع المجال الفلاحي؛ حيث ستتوسع المدينة أفقيا، مما قد ينتج عنه تدهور الوسط الطبيعي الحضري.

الإشكالية:

شهدت مدينة قلعة السراغنة كباقي المدن المغربية دينامية وتوسعا كبيرا لمجالها الحضري خصوصا خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وفي ظل اتساع مجالها الحضري بفعل التوسع العمراني، فإن ذلك يتم في غالب الأحيان على حساب الأراضي الفلاحية؛ إذ يحيط بالمدينة وعاء فلاحي مهم وهو عبارة عن زياتين، والتي تشكل حزاما أخضر يحميها من التصحر ويجعلها مدينة فلاحية بالدرجة الأولى، ولسوء الحظ أنه لم يتم المحافظة على هذا الموروث الحضري، بل تم تدميره بفتح أراضيه للتعمير، سواء بالجهة الشمالية الشرقية أو الجنوبية، وكلها أراض فلاحية خصبة كان بعضها يستغل إلى عهد قريب في إنتاج مغروسات متنوعة، إضافة إلى إنتاج الحبوب، هذاما من شأنه أن يؤثر سلبا على المنظومة البيئية المحلية.

وانطلاقا مما سبق ذكره، سنحاول في هذه المساهمة أن نقف بالدراسة والتحليل على جانب من جوانب التوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية من خلال مدينة قلعة السراغنة كنموذج للمدن المتوسطة، هذا المجال الذي شهد في السنوات الأخيرة تحولات مجالية تستدعي الوقوف عندها من أجل إبراز أسبابها والعوامل المتحكمة فيها.

بناء على ما سبق، تندرج هذه الدراسة ضمن مشروع شمولي يتعلق بإشكالية التوسع العمراني والتهامه للمجال الفلاحي بمدينة قلعة السراغنة، التي تتفرع عنها الأسئلة التالية:

- ماهي طبيعة الغطاء النباتي الموجود بمدينة قلعة السراغنة؟
- ماهي مراحل توسع المجال المبني؟ وعلى حساب من كان هذا التوسع؟
- ماهي أسباب زحف المجال المبني على الوعاء الفلاحي؟
- ماهي تأثيرات التوسع العمراني على الوعاء الفلاحي والنظام البيئي؟
- وكيف يمكن ايقاف نزيف التهام الأراضي الزراعية؟

منهجية الدراسة:

اعتبارا لارتباط موضوع البحث بإشكالية التوسع العمراني على حساب الأراضي الفلاحية وتقاطعه مع مجموعة من الأبعاد: القانونية، الجغرافية، الاقتصادية، الاجتماعية...يظهر جليا ضرورة الاعتماد على المقاربات النظرية المعمول بها في هذا المجال؛ إذ لا يمكن إنجاز أي بحث دون اعتماد منهجية جغرافية محضة، والتي تقتضي منا كخطوة أولى الوقوف عند العمل البيبليوغرافي مما فرض إلزامية الاطلاع على مجموعة من المراجع والأبحاث والدراسات والتقارير التي تناولت الموضوع من زوايا وإشكاليات مختلفة.

يعتبر موضوع الدراسة الذي يتناول جوانب عدة لظواهر ومتغيرات متعددة ومتداخلة تفرض سلك أكثر من منهج واحد، وعلى هذا الأساس سنعمل على دراسة إشكالية التوسع العمراني على حساب الأراضي الفلاحية دراسة موضوعية شاملة ومن منظور متكامل، يأخذ بعين الاعتبار الدور الذي تلعبه جميع العوامل المحيطة به والمشكلة للإطار العام الذي تتواجد فيه، اعتمادا على المنهج الوصفي الذي يرتكز على الملاحظة والتحليل والتفسير.

وحتى يكتسي البحث واقعيته فلا بد من المرور عبر المنهج النقدي للتعرف على مستويات تدخل الفاعلين الترابين للوقوف على طبيعة ومستوى دينامية مجال معين. كل ذلك في إطار منظور شمولي متكامل، محاولين التوفيق بين النظري والإجرائي والواقع الميداني، ارتكازا على تنوع زوايا المقاربة وتعدد وتمفصل المؤشرات التي تهم مختلف الأوجه المجسدة لتفاعل المجال والمجتمع على كافة المستويات.

خريطة 1 : مجال البحث

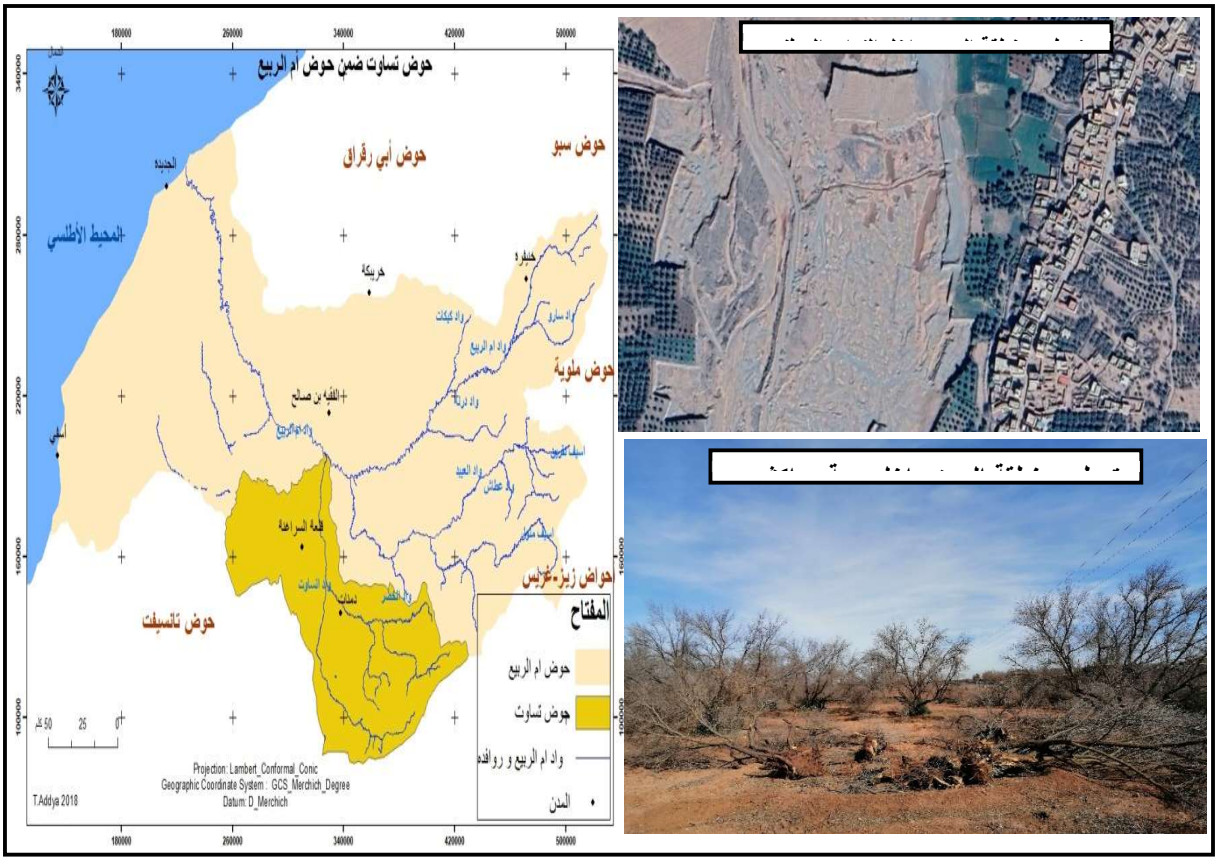

المصدر: التقسيم الإداري 2015 (بتصرف)

نمو ديموغرافي يعكس الجاذبية المحلية للتراب:

تعتبر جماعة قلعة السراغنة أكبر تجمع بشري بالإقليم، حيث تمثل ساكنتها حوالي 17.53%من سكان الإقليم وأكثر من 61. 53 %من الساكنة الحضرية بالإقليم.

مبيان رقم 01: تطور ساكنة قلعة السراغنة ما بين 1960 و2014

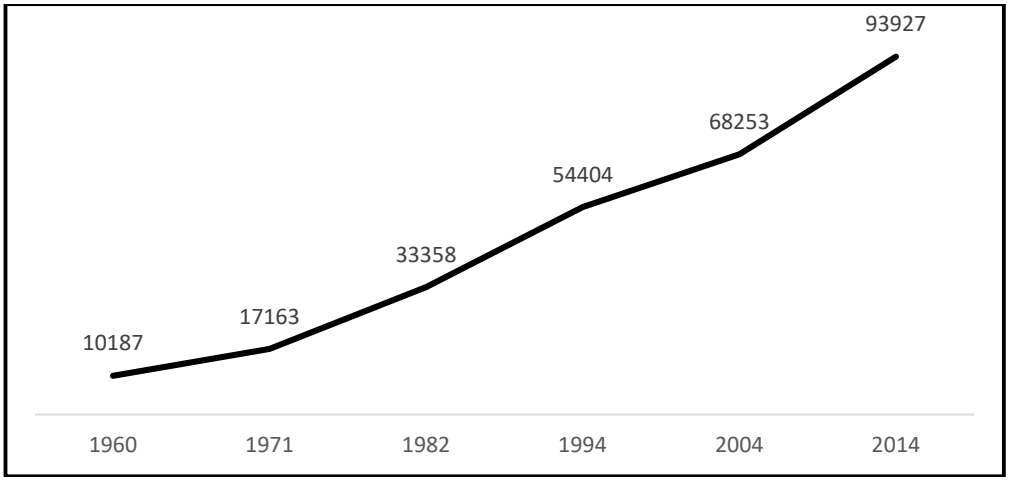

المصدر: https://www.hcp.ma

يظهر المبيان أعلاه تضاعف ساكنة قلعة السراغنة 9 مرات خلال 50 سنة الأخيرة. حيث تزايدت ساكنة قلعة السراغنة في ظرف 54 سنة بـ 83740 نسمة، أي بمعدل سنوي يناهز 1550نسمة، وهو ما يشكل في حد ذاته انفجار ديموغرافيا حقيقيا.

مبيان رقم 02: تطور معدل ساكنة جماعة قلعة السراغنة ما بين 1960 – 2014

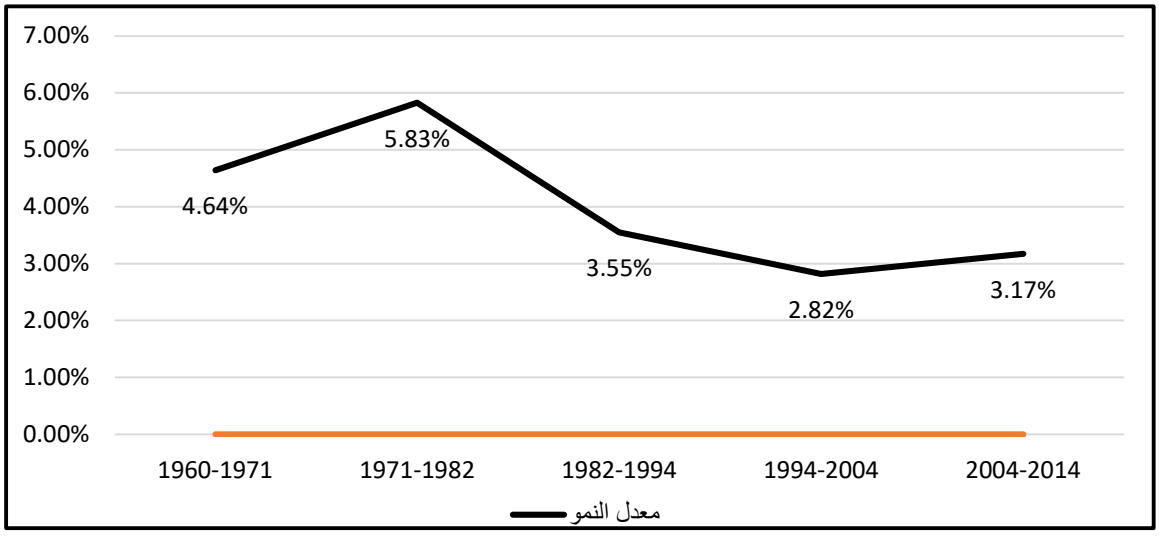

المصدر: https://www.hcp.ma

ارتفع معدل النمو الديموغرافي بقلعة السراغنة بـ 4.64% سنويا طيلة الفترة الممتدة ما بين 1960و1971، ليرتفع إلى 5.83% في السنة ما بين 1971 و1982. ومنذ بداية الثمانينيات، بدأت نسبة النمو الديموغرافي تتراجع؛ حيث انتقلت من 3.55% إلى 2.82% سنة 2004، لتعرف ارتفاعا ملحوظا برسم 2014؛ حيث بلغت 3.17%[1].

1- طبيعة الغطاء النباتي بمدينة قلعة السراغنة:

1-1: جنائن (جنانات) الزيتون:

كانت تحتل الزياتين المرتبة الأولى في التشكيلات النباتية المحيطة بالمدينة من كل الجهات، و تتوزع هذه الزياتين على مساحات تمتد لعدة هكتارات؛ حيث تغطي اراضي التعاونيات الفلاحية امغينية وامحايطة، بالإضافة إلى الضيعات المحاذية للدواوير الهامشية كدوار القصور ودوار بلفريخ اللذين تمت إضافتهما الى المدار الحضري سنة 2009، وباقي المساحات المحاذية لمجرى واد كاينو في المقطع الذي يمر من المجال الحضري، ويعتبر الزيتون من بين التشكيلات النباتية المتكيفة مع الجفاف التي تسود بالمناطق الجافة حيث يقاوم ظروف المناخ وتوالي الفترات الجافة.

[1]_https://www.hcp.ma/

1-2: الصنوبريات:

توجد معظم هذه الأشجار على جنبات الطرق بالمدار الحضري، وفي اتجاه طريق بن جرير وببعض المناطق كالحي الاداري والمشتل البلدي، وتمتد جذورها لعدة أمتار في التربة وتساهم في جمالية المدينة وإضفاء البعد التاريخي على مكونها البيئي، غير أن عمليات قطع هذه الاصناف المتوالية، ساهمت في تهديدها بالانقراض في المدى القريب، مما أصبح معه خطر انقراضها قائما وما يزيد من وضعيتها المتدهورة التبليط غير المنظم للشوارع والازقة الذي يؤدي الى اختناق جذورها بالإسمنت.

وارتبطت الصنوبريات بالفترة الاستعمارية بالمدينة؛ إذ تعد شاهدا بامتياز على فترة الحماية بالقلعة، حيث عمل المعمرون الفرنسيون ابتداء من ثلاثينات القرن الماضي على غرس هذا النوع بجنبات الطرق العمومية والازقة للتزيين ولجمالية المدينة.

1-3:"جنانات" الليمون:

من بين أهم المساحات المخصصة سابقا للحوامض ما يعرف حاليا بجنان روما وارتبط هو الاخر بالفترة الاستعمارية، غير أن توسع المدينة على حساب المساحات المزروعة عجل باقتلاع الاشجار المكونة له، وأثر هذا المعطى بشكل واضح على جمالية المدينة.

1-4: أشجار النخيل:

رغم قلة هذا الصنف بالمدينة إلا أننا نجده بكثافة على طول الشوارع الرئيسية وبعض الاحياء كالحي الإداري كما نجده بشكل متفرق على طول المدار الحضري وببعض الضيعات الفلاحية، هذا وتنتشر أشجار النخيل أيضا على جنبات واد كاينو من الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، ويعتبر هذا الصنف هو الآخر متكيفا مع الظروف المناخية الجافة حيث لا يتطلب كميات مهمة من الماء.

1-5: البذريات:

تنتشر البذريات على طول المجاري المائية وخاصة واد كاينو، ورغم قلة المساحات التي تشغلها إلا أنها تبقى من بين عناصر الغطاء النباتي بالمجال الحضري للمدينة، وتظهر بشكل أكثر بروزا خلال السنوات المطيرة؛ حيث تنمو لفترات قصيرة ترتبط في الغالب بفصل الشتاء والربيع، تنتمي البذريات لصنف الجفيفات المقاوم لعناصر المناخ الجاف.

1-6: تشكيلات شجرية متفرقة:

إلى جانب الأصناف السالفة الذكر كانت توجد بالمدينة أنواع أخرى من الغطاء النباتي المتمثلة في بعض الشجريات المنتشرة على جنبات الطريق الرئيسية المؤدية الى بن جرير كأشجار التوت، وأشجار الخروب الموجودة بالحي الاداري إضافة الى مساحات جد محدودة من شجر الطلح كما هو الحال وراء المقبرة الاسلامية وببعض الملكيات التابعة لتعاونية امحايطة وتعاونية امغينية[1].

[1]_ حفار عبد الكريم، **جوانب من حياة مدينة في تحول**، مطبعة خير الله، قلعة السراغنة، الطبعة الأولى، السنة: 2010، ص 22.

2- توسع المدينة على حساب الأراضي الفلاحية:

تشهد مدينة قلعة السراغنة بفعل التوسع العمراني توسع مجالها الحضري على حساب الأراضي الفلاحية المحيطة بها، مما يؤدي إلى القضاء على المناطق الفلاحية المهمة، والتي تشكل حزاما أخضر يحميها من التصحر ويجعلها مدينة فلاحية، ونظهر الحجم الذي تمثله مسألة التهام الأراضي الفلاحية المحيطة بالقلعة خلال العقود الثلاثة الأخيرة بالجدول التالي:

الجدول رقم 01: التوسع العمراني والتهامه للمجال الفلاحي بمدينة قلعة السراغنة

التجزئة أو الحي	المساحة (هـ)	الاستعمال الاصلي
النخلة 1	21	الزيتون
النخلة 2	26	البرتقال والزيتون الحبوب
الهناء 1	51	البرتقال والحبوب
الهناء 2	53	البرتقال والحبوب
عواطف 1+ 2	75	الزيتون والحبوب
الشروعات	17	الزيتون
الهدى 1	68	الحبوب الزيتون
الريحان	21	الزيتون
النور 1	17	الزيتون
النور 2	30	الزيتون
النور امتداد	9	الزيتون
البدر	133	الحبوب
الهدى 2 و3	04	الحبوب والزيتون
المنارة 1	22	الزيتون
المنارة 2	82	الحبوب

المنارة 3	31	الزيتون والحبوب
السلام	27	الزيتون والحبوب
الصفاء	354م	الزينون
الباستين	60	الزيتون
الزهرة	06	الزيتون والحبوب
سلمى	14	الزيتون والحبوب
رياض الزيتون	4	الزيتون والحبوب
الفضل	01	الزيتون والحبوب
الاندلس	02	الزيتون والحبوب
المجموع	354م و 774هـ	

المصدر: مصلحة الاشغال وتتبع المشاريع –مكتب التجزءات السكنية-2024

حسب قراءتنا لمعطيات الجدول يلاحظ أن ما مجموعه 774 هكتار وما يزيد من الأراضي الفلاحية التي تم القضاء عليها في سبيل توفير الحاجيات من الأراضي للساكنة المتوافدة على المدينة، ولم يتوقف الأمر عند هذا بل تم تفويت أراضي التعاونيات الفلاحية (امحايطة، امغينية) وضمها إلى المدار الحضري مع اقتلاع أشجار الزيتون بنقط متعددة بالمدينة.

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة من الحقول وفي ظروف غريبة تم تحويلها الى بنيات اسمنتية وطينية خارج نطاق ضوابط التعمير، ولعل أسماء هذه الاحياء توحي بطبيعة استغلالها الفلاحي السابق نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: جنان البوليس، جنان الشعيبي، جنان بن عرش، السويكية الغابية ... هذا دون الحديث عن الأضرار البيئية التي يمكن أن تلحقها بالمدينة، وكذلك المساهمة في ارتفاع نسبة البطالة، كون الفلاحة تشكل أهم القطاعات الاقتصادية بالمدينة وبالتالي تشغل نسبة مهمة من اليد العاملة.

3- بعض المجالات الفلاحية التي تم استهلاكها:

الصورة رقم1: تعاونية امحايطة

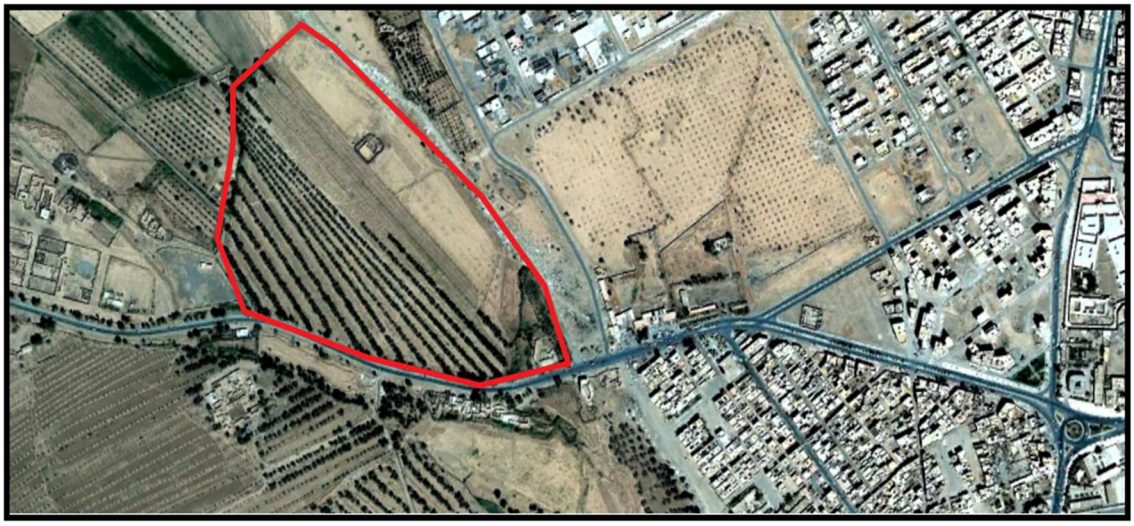

المصدر: صورة جوية سنة 2004

تمثل الصورة بداية تدهور المجال الفلاحي التابع لتعاونية امحايطة؛ حيث إن اقتلاع "جنانات" الزيتون كان في بدايته والغرض بيع هذا الوعاء المسمى بجنان التعاونية لتخصيصه لتجزئة الريحان لاحقا، ويمكن القول أن هذا الوعاء كان إلى حدود القضاء عليه حزاما أخضر يحمي المدينة القديمة ويشكل متنفسا لساكنتها، حيث كان يحوي غابة صغيرة لأشجار الصفصاف والكالبتوس.

الصورة رقم2: تجزئة الريحان

المصدر: صورة جوية 2011

تبين الصورة الجوية المأخوذة بعد مرور 7سنوات أن المجال تحول تماما إلى حيز حضري بعد أن كان وعاء فلاحيا بالقرب من المدينة، وأصبحت تشغله التجزئة المسماة الريحان على مساحة 10 هكتارات، غير أن ساكنة

التعاونية التي فوتت هذه الأرض قد استفادت من تعويضات مهمة وبقع سكنية بالمجان يراوح عددها أزيد من ثلاثين بقعة سكنية.

الصورة رقم 3: جنان غوبير (GOBERT)

المصدر: صورة جوية 2004

يلاحظ من الصورة أعلاه أن المنطقة المسيجة بشريط أخضر، التي كانت مجالا للزياتين قد بدأ اقتلاع أشجارها بغرض تحويلها إلى وعاء عقاري لامتداد تجزئة النور 2 بعد تزايد الطلب على العقار في بداية العشرية الأولى من سنة 2000، والمنطقة عبارة عن سفح مقابل للمدينة من جهة الشمال تحده كدية اليهود شرقا وتجزئة النور غربا.

الصورة رقم 4: تجزئة النور امتداد

المصدر: صورة جوية سنة 2011

يلاحظ هنا أن الفترة الحالية شهدت استغلال هذا المجال المسيج بالشريط الأحمر قصد بنائه، بعد أن ظل إلى حدود سنة 2004 مجالا فلاحيا ضاحويا. ونشير هنا أن تربته تتميز بنسبة الملوحة المرتفعة (ملالحة)،

حيث يمكن أن يؤثر هذا المعطى على جودة المباني وتسرب الماء للجدران والأعمدة بهذه التجزئة ونفس المشكل يستنتج بالنسبة لتجزئة النخيل المخصصة للفيلات.

الصورة رقم 5: تعاونية امغنية

المصدر: صورة جوية 2004

يتضح أن البنية العقارية إلى حدود سنة 2004 مشغولة بأشجار الزياتين الممتدة على طول الطريق المؤدية إلى دوار الرويش، وهي عبارة عن جنانات مجتمعة للزياتين مع ملاحظة أن السكن المخصص لملاك هذه الأراضي يقع بجانب هذه الملكيات، كما يبدو أن الجنانات تخترقها ساقية ترابية لتلبية حاجات الفلاحين من الماء الذي يخصص في الغالب لسقي الزيتون وبعض المنتجات الفلاحية المزودة للمجال الحضري كبعض البقول و الخضر، ويلاحظ أن المشهد هنا هو مشهد قرب ضاحوي بامتياز إلى حدود سنة 2006 كما تشير إلى ذلك الصورة الجوية، ويمكن استنتاج أن هذه الملكيات كانت بمثابة شرط بيئي ضروري خصوصا لتواجدها مباشرة وراء الحي الصناعي، حيث يمكن هذا الشريط الأخضر الممتد على مساحات شاسعة من حماية ساكنة الرويش مثلا وباقي الأحياء الحضرية من خطر الانبعاثات الغازية وباقي الملوثات الأخرى الناجمة عن حركة التصنيع والتدوير والتركيب التي تتم داخل الحي الصناعي.

من الناحية الجيومرفولوجية تعتبر هذه المنطقة منخفضا أو سفحا قصيرا في اتجاه الجنانات المكونة لدوار الرويش، ومن شأن استغلالها في الزيتون أن يساعد على استقرار هذا المنخفض وحمايته من عمليات التعرية، وإن كانت هذه التعرية بطيئة إلا أن حماية السفح تبقى جد مهمة من خطر تراكم المياه السطحية بهذا المنخفض.

والخلاصة يبقى هذا المجال ضروريا لموقعه بحدود المدار الحضري للمدينة وبمحاذاة الحي الصناعي؛ حيث يساعد على استقرار البيئة الحضرية بامتياز.

الصورة رقم 6: تجزئة الهدى

المصدر: صورة جوية 2011

توضح الصورة الجوية أعلاه القضاء التام على "جنانات" الزيتون الممتدة على طول أكثر من 70 هكتار، وهي نفس المساحة تقريبا التي سيتم تخصيصها للتجزئة السكنية المسماة الهدى، بمحاذاة كدية اليهود غربا والحي الصناعي شمالا والدواوير التابعة لتعاونية امغينية جنوبا ويلاحظ من خلال الصورة أهمية المساحة التي تم اجتثاثها بالمقارنة مثلا مع تجزئة الريحان التي تم تشييدها على أنقاض جنان لبيض بعد إتلاف الزياتين المكونة له، كما يلاحظ أيضا أن السياسة المتبعة من طرف الدولة وباقي المتدخلين لا تراعي الشروط البيئية لإقامة مثل هذه التجمعات السكنية؛ فالتجزئة توجد مباشرة وراء الحي الصناعي مع ما يمكن أن ينتجه هذا الموقع من انعكاسات صحية وبيئية وخيمة على الساكنة التي ستستقر بها، ومن جهة أخرى تقع هذه التجزئة بمحاذاة المطرح البلدي للأزبال، مما سيضاعف من حجم المشاكل المرتبطة بهذا الموقع عبر انبعاث الروائح الكريهة والدخان الناتج عن حرق النفايات الصلبة ناهيك عن الحشرات، وباقي العوامل المرتبطة بملوحة التربة بهذه المنطقة. ويلاحظ أيضا من ملاحظة الصورة الجوية أن التجزئة على بعد أمتار جد قليلة من مصنع مخصص لصناعة المواد البلاستيكية المنزلية مما سيعني بالضرورة تعرض الساكنة لمشاكل جانبية أخرى.

الصورة رقم 7: منطقة اسمار

المصدر: صورة جوية 2005

توضح الصورة الجوية الملتقطة إلى حدود نهاية سنة 2005 بأن المنطقة المشرفة على حي جنان بكار من الجنوب تشكل مجالا فلاحيا بامتياز، ويبدو من الصورة تقسيم صغير للحيازات يتم استغلاله في الغالب في الفلاحة المسقية وتربية الماشية، عبر المساحات الصغيرة المخصصة لكلأ الماشية، تم النشاط المهيمن هو أجنة الزيتون الممتدة على طول الأراضي الواقعة بين كدية اليهود وحي جنان بكار من الجنوب، ويخترقها واد كاينو من الهوامش.

الصورة رقم 8: تجزئة المنارة

المصدر: صورة جوية 2011

توضح الصورة تطور عملية التوسع الحضري بالأراضي التابعة لتعاونية امغينية، انطلاقا من سنة 2005، بل حتى قبلها؛ حيث قام المنعشون العقاريون بشراء مجموعة من الحيازات الصغيرة كشركة تانسيفت العقارية، التي حولت المساحات المستغلة في الفلاحة الضاحوية وتربية الماشية و"جنانات" الزيتون إلى تجزئة سكنية المسماة المنارة الشطر الأول.

5- أسباب زحف المجال المبني على الوعاء الفلاحي:

عرف المجال المبني بمدينة قلعة السراغنة توسعا مهما خاصة خلال العقود الأخيرة، وهذا راجع لعدة أسباب أهمها تزايد عدد سكان المنطقة بشكل كبير، والانعكاس المباشر لزيادة السكان، الذي أفرز لنا أشكالا مجالية متناقضة؛ فمن جهة نجد أن هذه المدينة تتوسع بشكل منتظم من خلال التجزئات السكنية المنتظمة، ومن جهة أخرى تتوسع بشكل عشوائي كما تبين ذلك الأحياء العشوائية، وكذلك الدواوير الهامشية التي هي في انتظار عملية الهيكلة. هذه الحركة العمرانية المطّردة نتيجة النمو الديموغرافي والهجرة القروية كانت على حساب الأراضي الفلاحية.

1-4: الأسباب الديموغرافية:

لعب النمو الديموغرافي دورا مهما في توسع المجال المبني بمدينة قلعة السراغنة؛ حيث حدثت تحولات مهمة في النمو الديموغرافي للمدينة خاصة بعد ترقية المدينة إلى مركز للإقليم سنة 1973، وتوافد تيارات مهمة من الهجرة، مما جعل المدينة مركزا لاستقطاب واستقرار العديد من السكان.

الجدول رقم 02: عدد ساكنة جماعة قلعة السراغنة بين سنة 1971 و2014

السنوات	عدد السكان
1971	17163
1982	33543
1994	51404
2004	68694
2014	93927
[1]2022	121 262

المصدر: معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى مابين 1971 واسقاط 2022

مبيان 03: عدد ساكنة جماعة قلعة السراغنة 1971و2022

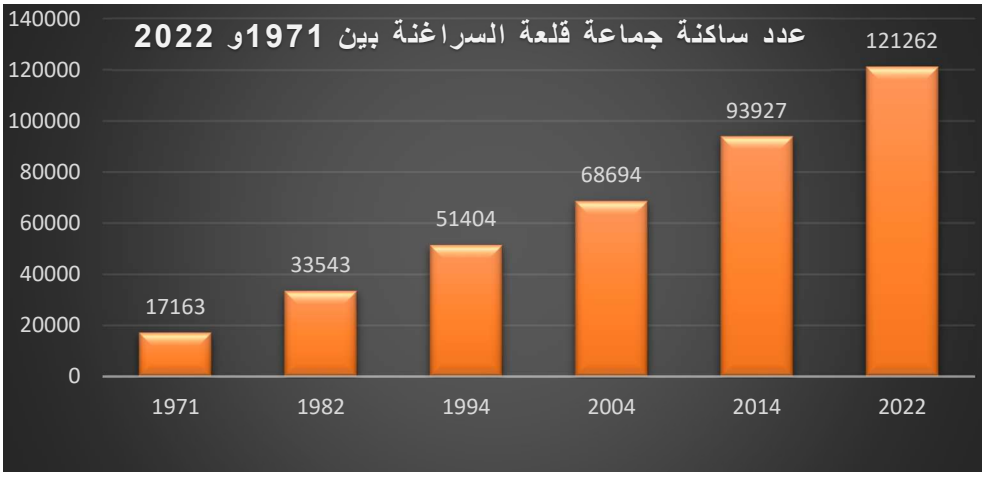

المصدر: معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى ما بين 1971 واسقاط 2022

تكتسي المعطيات الديموغرافية أهمية كبيرة لمعرفة مستوى الطلب على السكن؛ فحسب معطيات المندوبية السامية للتخطيط بلغ عدد سكان جماعة قلعة السراغنة 121262نسمة وذلك حسب اسقاط سنة 2022، بينما كان عدد سكان هذه الجماعة لا يتعدى 17163 نسمة سنة 1971 أي بزيادة تقدر ب 104099

[1]_ النشرة الإحصائية السنوية 2022.

نسمة، الأمر الذي جعل منها أكبر تكتل سكاني بإقليم قلعة السراغنة ككل. وبالمقارنة بين سنتي 2004 و2014 من حيث عدد السكان نستنتج أن متوسط معدل النمو السنوي في الجماعة بلغ 3.24% وتعتبر هذه النسبة مرتفعة على المستويين الجهوي وعلى مستوى الجماعات المجاورة لها، كما يتوقع أن يصل تعداد السكان خلال سنة 2022 الى 262 121.

4-2: الهجرة:

لعبت الهجرة دورا كبيرا في الطلب على السكن بمدينة قلعة السراغنة، وخاصة القروية منها خصوصا مع توالي سنوات الجفاف؛ إذ زودت المدينة بمجموعات بشرية مهمة ساهمت بشكل كبير في تفريخ مجموعة من الأحياء العشوائية على هوامش المدينة.

4-3: أسباب إدارية:

إن التكاثر السريع والمتواصل الذي ميز سكان مدينة قلعة السراغنة بعد فترة الاستعمار، والذي امتد على الخصوص خلال السبعينات، يرتبط بالوظيفة الإدارية التي جعلت هذه المدينة مقرا لعمالة الإقليم، وأيضا بتطور بعض التجهيزات الاجتماعية والثقافية، وبتزايد أنشطة الخدمات وبعض الأنشطة المرتبطة بتحويل المواد الفلاحية، ولعل هذا ما حث سكان الأرياف المجاورة لقلعة السراغنة الى اتخاذ هذه المدينة وجهة لهم[1].

5- شهدت المدينة توسعا متتاليا لمدارها الحضري:

- سنة 1973: عرف المجال الحضري للمدينة عمليات توسيع متتالية، بسبب الحاجة الملحة لمتطلبات التوسع العمراني انطلاقا من سنوات السبعينيات؛ حيث كانت المجالس المنتخبة تزيد من حجم المساحات المخصصة للتوسع الحضري كلما دعت الضرورة الى ذلك، ويلاحظ أنه بمجرد ترقية الاقليم الى عمالة سنة 1973 سيتم توسيع المدار الحضري لبناء مجموعة من التجزئات السكنية لإسكان الموظفين الوافدين من خارج المدينة.

- سنة1983: بعد التنصيص على ضرورة حماية المناطق الضاحوية المزودة للمركز الحضري بموجب تصميم التهيئة لسنة 1978، تم التراجع سنة 1983 عن هذه الحماية حيث عمدت المجالس المنتخبة الى تقليص الأراضي غير القابلة للبناء التي شملها تصميم 1978، والتي تقع بمحاذاة واد كاينو وأغلبها أراض فيضية يتم استغلالها فلاحيا، وتوسعت المدينة في الاتجاه الجنوبي لبناء مجموعة من الإدارات العمومية إضافة الى وحدة فندقية مصنفة[2].

- سنة 1995: عرفت هذه السنة توسعا أخر للمدار الحضري دون اعتماد تصميم تهيئة جديد؛ حيث تم توسيع حدود المدار الحضري بطريقة لا تراعي التصميم الذي يضبط توسع المدينة مجاليا، وأدى هذا التزايد في

[1]_ سردة عبد الكريم، **ملاحظات حول أهمية التعمير بسهل تساوت السفلى**، ص 63

[2]_ mohamed zaoui,2003, **enjeux fonciers et acteurs locaux dans l'aménagement urbain d Elkelaa des sraghna**, l'institut nationale d'aménagement et d'urbanisme, Rabat, p : 108

حجم الأراضي المخصصة للبناء، إلى تخصيص أراض فلاحية لتشييد تجزئة عواطف 1 دون احترام أهداف تصميم التهيئة لسنة 1982 الذي منع البناء على هذه الأرض واعتبرها عقارات فلاحية، وبلغ مجموع الاراضي المبنية إلى حدود هذه السنة حوالي 733 هكتار بعدما لم تكن تتجاوز المساحة المبنية سنة 1980 ما مجموعه 528 هكتار[1].

- سنة2009: بلغ عدد الأراضي التي تم استهلاكها الى حدود هذه السنة حوالي 1200 هكتار بما فيها الأراضي الفلاحية التي تم ضمها في كل عمليات التوسيع السابقة، وبهذا يتضح بأن عمليات توسيع المدار الحضري للمدينة دون الاعتماد على تصميم تهيئة حديث، أدت الى تقليص العقارات الفلاحية الضاحوية، كما كانت سببا مباشرا في ارتفاع أثمنة العقار بالمدينة، مما سمح ببيع مجموعة من العقارات التابعة للتعاونيات الفلاحية للخواص لتشييد مزيد من التجزئات السكنية.
- سنة 2013-2023: بلغت المساحة الإجمالية المغطاة بتصميم التهيئة الجديد ما يناهز3711 هكتار، بينما كانت تبلغ مساحة المدار الحضري لمدينة قلعة السراغنة حسب تصميم التهيئة القديم 1995 الى 1186هكتار، أما المساحة المعمرة حاليا 833 هكتار.

[1]_ المربوح ميات و زنادة، 2010، **التقرير البيئي حول جماعات قلعة السراغنة**، المجلس البلدي، ص: 32.

تصميم01: مدار تصميم التهيئة 2013-2023

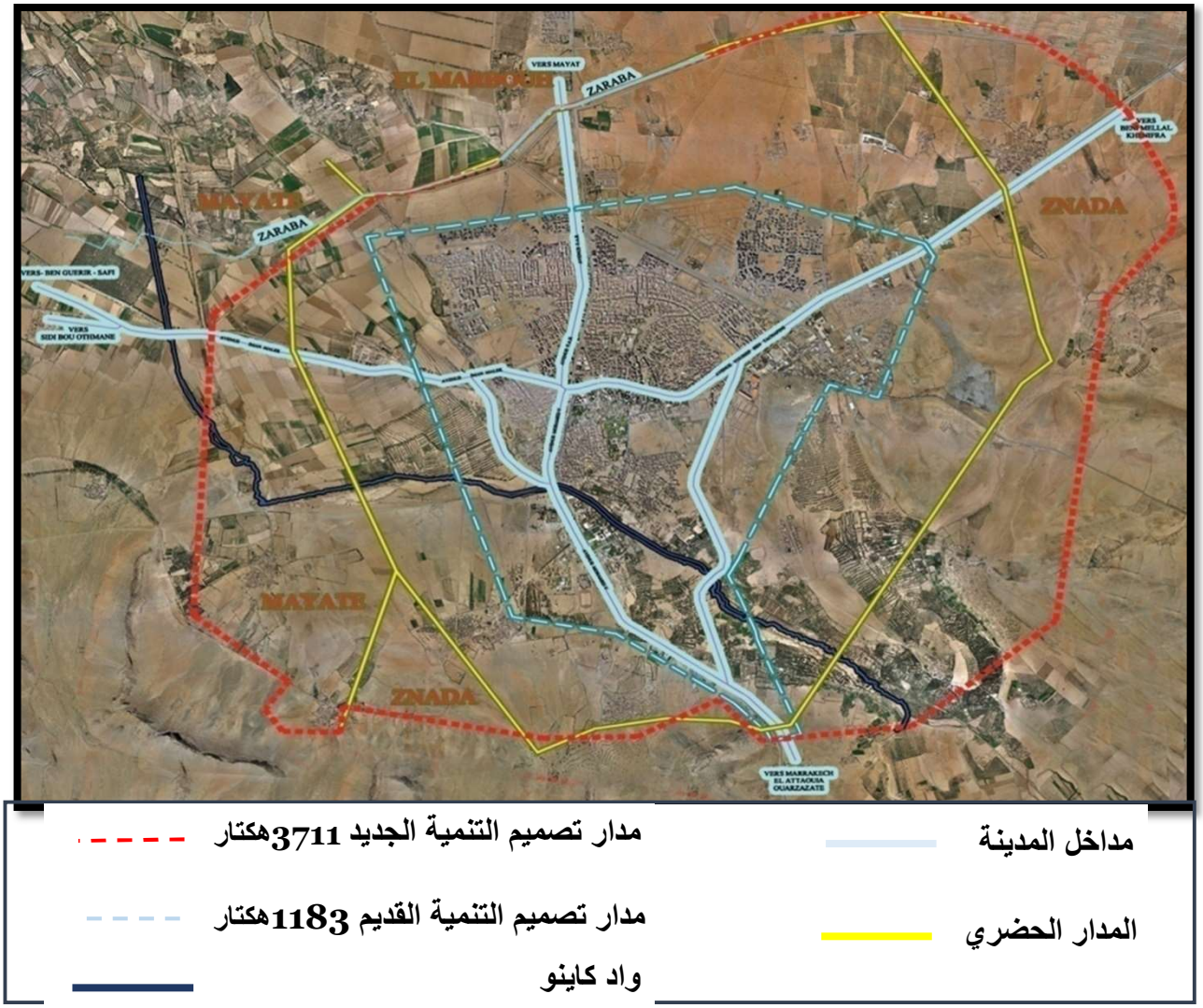

المصدر: الوكالة الحضرية قلعة السراغنة الرحامنة

6- زيادة أثمنة العقار في السنوات الأخيرة:

من بين الدوافع الكامنة وراء التهام المجالات الفلاحية بالمدينة، هو السعي لتحقيق الربح السريع من طرف المضاربين العقاريين، خاصة وأن المدينة عرفت تزايدا ديموغرافيا سريعا ابتداء من التسعينات بسبب الهجرة الدولية نحو العديد من الدول الأوروبية؛ حيث استقرت مجموعة من العائلات المهاجرة من الأرياف بالمدينة، وهذا ما جعل الطلب يتزايد على العقار بسبب سهولة اقتناء الأراضي وتعبئتها للبناء فقد تزايد ثمنها في ظرف قياسي بالمجال الحضري؛ اذ شهد سوق العقار بالمدينة دينامية عقارية بسبب العرض الذي لم يكن يوازي

الطلب المرتفع آنذاك، وبسبب المزايدات العقارية من جهة وتزايد الطلب على العقار من طرف المهاجرين بالخارج لدرجة يمكن معها القول أن أثمنة العقار تضاعفت اربع مرات [1].

7- ساهمت المسألة العقارية في تعبئة الاراضي الفلاحية لصالح التوسع الحضري:

تنوعت أشكال الملكية بمدينة قلعة السراغنة، تأتي في مقدمتها الملكيات العقارية التابعة للدولة بمساحات مهمة، شيدت عليها تجزئات سكنية ممتدة داخل المجال الحضري للمدينة، بفعل سهولة اقتناء وتعبئة هذه الاراضي لفائدة متطلبات التعمير خلال سنوات السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، حيث لجأت السلطات الى استهلاك هذه الاراضي بسبب ليونة المساطر الادارية والتكلفة المنخفضة.

ان الاراضي التابعة للدولة هي أهم المساحات المشكلة للمجال المبني بالمدينة ابتداء من سنوات السبعينات الى أواخر التسعينات، وهذه الأراضي غالبا ما كانت تحتلها الزياتين والفلاحات المسقية بالمدار الحضري. وقد برز دور أراضي الجموع أيضا في السنوات الاخيرة بفعل عمليات التوسيع المتتالية للمدار الحضري، حيث تمتد هذه الاراضي بجماعة زنادة المحاذية للمدينة مما ساعد على تعبئتها هي الاخرى في مشاريع التوسع الحضري وبأثمان أقل بكثير من قيمتها الحقيقية، مما يضيع امكانية استغلالها فلاحيا. بالمقابل فإن باقي الملكيات الأخرى تتوزع بين الملك الخاص وأراضي الحبوس، وبالنسبة للملك الخاص فإن عمليات الارث المتعاقبة بعد الاستقلال ساهمت في تفتيت وتجزيء المساحات التي كان يشغلها بالمدينة.

8- تخلت التعاونيات الفلاحية عن عدة أراض لصالح المنعشين الخواص:

ساهم دخول المنعشين العقاريين الخواص في توسيع دائرة الأراضي القابلة للتفويت من طرف الفلاحين المنتمين للتعاونيات الفلاحية، وفي هذا الصدد تم بيع مجموعة من الملكيات التابعة لها، بسبب ارتفاع أثمنة العقار من جهة وتوسيع المدار الحضري ليشمل هذه التعاونيات من جهة أخرى، حيث اقتنى المنعشون العقاريون أراضي في ملكية عقارية تابعة لتعاونية امغينية لتشييد مجموعة من التجزئات كالمنارة 1و 2 والريحان ورياض الزيتون 1و2والزهرة وسلمى والاندلس وسيدي عبد الواحد...، و اقتنت شركات أخرى ملكيات عقارية تابعة لتعاونية امغينية لإحداث تجزئة الهدى والصفاء والجبيلات. ويتضح هنا أن الوضعية العقارية لهذه الاراضي قد ساهمت بشكل كبير في تفويتها بطريقة سهلة وسريعة لهؤلاء المتدخلين العقاريين بثمن يقل بكثير عن ثمن تسويقها، وما يهمنا في هذا الإطار هو أن تعبئة الأراضي الفلاحية بالمدار الحضري مرت في ظروف سهلة بدون أي صعوبات قانونية وفي خرق صريح لبعض المساطر القانونية مما أزم وضعية هذه المجالات في السنوات الأخيرة.

[1]_ Mohamed zaoui, **op cit** , p : 75.

9- تأثير التوسع العمراني على الوعاء الفلاحي والنظام البيئي:

خلف هذا التوسع نتائج متعددة على المجال البيئي الضاحوي للمدينة بيئيا وعمرانيا واقتصاديا ومجاليا والمهم في هذا هو التكلفة العالية التي تدفعها المدينة جراء فقدانها لعناصر تنوعها البيئي التي تهدد عناصر التوازن الضرورية لكل فضاء حضري.

9-1مجاليا:

من الناحية المجالية كانت المدينة الى حدود بداية القرن 20 عبارة عن زياتين ومجموعة من الضيعات المخصصة لزراعة الحوامض والكروم جنان دوبوا- جنان روما- جنان لبيض. ومجموعة من الأراضي التي كانت مجمعة عن طريق التعاونيات، تعاونية محايطة بالجنوب الغربي للمدينة وتعاونية امغينية بالجنوب الشرقي للمدينة.

ويلاحظ من خلال تتبع الصور الجوية السالفة أن التوسع العمراني بالمدينة ساهم الى حد كبير في خلخلة عناصر المشهد الحضري بيئيا؛ حيث توسعت المدينة في البداية على حساب بعض "جنانات" الزيتون (جنان لبيض، جنان الشعيبي جنان بكار جنان دوبوا العرصة). ثم في مرحلة لاحقة اتخذ التوسع العمراني اتجاها اخر بالتهامه للأراضي الضاحوية (ذراع اللوز جنان روما وبعض الملكيات التابعة لنفوذ دوار النباكة).

وفي مرحلة متقدمة سيصل هذا التوسع العمراني إلى حدود جماعة المربوح شمالا مع ما رافق ذلك من قضاء على أراض كانت مخصصة للفلاحة البورية قبل إعداد المنطقة هيدروفلاحيا.

وبتتبعنا للتأثير المجالي فإن اتجاهات التعمير المتعددة مؤخرا وغير المضبوطة ساهم في القضاء على الاراضي الفلاحية المشكلة من "جنانات" الزيتون والحوامض في كل من الضيعات المحاذية لتعاونية امغينية، وبتزامن مع الاراضي المحيطة بالمدينة القديمة كجنان التعاونية الذي تحول إلى تجزئة سكنية. ومن خلال ما سبق يتضح ان التأثير المجالي للتوسع العمراني اتخذ بعدين اثنين:

مجالات تم القضاء عليها نهائيا وعلى تنوعها البيئي وغطائها النباتي وهي كل الأراضي التي خصصت للتعمير ابتداء من سنة 1973 إلى حدود الفترة الحالية وهي مجالات مهمة من حيث المساحة والتنوع، وكذا أهميتها مجاليا على اعتبار أنها تشكل أراضي منبسطة صالحة للأنشطة الفلاحية خاصة الفلاحة الضاحوية والرعي.

مجالات تشكل نطاقا مهددا بامتياز من كل المتدخلين المنعشين العقاريين الخواص والدولة؛ إذ أنها المجالات المبنية حاليا وتحيط بكل المدار الحضري، وهي مجالات الزياتين والضيعات المسقية المحاذية للدواوير الهامشية كدوار لقصور ودوار بلفريخ. ودوار النباكة من الجنوب الغربي للمدينة والمجالات التابعة لتعاونية امغينية ثم باقي الأراضي الأخرى المحاذية لجماعتي المربوح وازنادة.

9-2- عمرانيا:

أثر التوسع العمراني على المشهد الحضري للمدينة، حيث نجد أن هناك مساحات جد ممتدة من المباني والتجزئات السكنية دون أن نصادف مجالا أخضر، ويظهر ذلك بشكل واضح في غياب أي حزام أخضر بمحيط المدار الحضري، ويمكن استنتاج التقطع في المجالات الفلاحية المحيطة بالمدينة ويؤثر هذا على عناصر المشهد الحضري؛ حيث أن البيئة الحضرية بقلعة السراغنة ستفقد مجالات خضراء مهمة لتوازنها العمراني اذا ما استمر النمو بشكل مستمر دون التخطيط العمراني السليم وما يزيد من خطورة التدهور غياب الحدائق العمومية بعمق المدينة وباقي التجزئات الأخرى.

9-3- اقتصاديا:

رغم القيمة المضافة التي يمكن أن تبلغها أثمنة العقار، حيث تضاعفت بالمجالات الضاحوية بالمدينة أكثر من ثلاث مرات خصوصا في العشر سنوات الأخيرة. إلا أن التكلفة الاقتصادية لتدهور الوسط البيئي الحضري لا يمكن مقارنتها بفارق الثمن في العقار.

وعموما يمكن توضيح تأثير نتائج التوسع اقتصاديا في النقط التالية:

-القضاء على مجال الضاحية كمزود رئيسي للمدينة بمجموعة من المنتجات الفلاحية كالخضروات ومشتقات الحليب والحبوب.

-المساهمة بشكل غير مباشر في ارتفاع تكلفة المنتوجات الواردة الى المدينة من المناطق الأخرى بسبب فارق المسافة.

9-4- بيئيا:

الصورة رقم08: انعكاسات التوسع الحضري على المجال البيئي

المصدر: تصور شخصي

كما توضح الصورة أعلاه فإن النتائج البيئية الناتجة عن دينامية التوسع بالمدينة بعيدة عن الحصر، ويمكن ملاحظة هذا الامر من خلال معطيات الصورة؛ حيث يتبين أن تربة المنطقة متدهورة بشكل كبير وتتراجع

بسبب مخلفات مواد البناء والنفايات المنزلية، إضافة الى تراجع الغطاء النباتي بالمنطقة و يبدو ذلك بشكل أكثر تأثيرا بحيث يمكن القول أنه منفتح ومتراجع بشكل كبير، أما الزياتين المشكلة لهذا المجال الحضري فتبرز أغصانها وأفنانها بشكل يظهر أنها غير مورقة في الفترة التي أخذت فيها هذه الصورة في حين أن الزياتين الاخرى في مناطق محاذية مورقة و مزهرة.

الصورة رقم09: تراجع أشجار الكالبتيس بالمنطقة المجاورة لتجزئة الريحان

المصدر: تصوير شخصي

من النتائج البيئية الاخرى للتوسع العمراني القضاء المباشر على بقايا أشجار الكالبتيس التي تعود لفترة الحماية بالمنطقة المسماة "لغويبة"؛ حيث تبين الصورة تراجع لهذا الغطاء الذي يعتبر بمثابة تراث بيئي. كما أن السواقي التي تمر من المنطقة القايدية والعقوبية قد تم طمسها وتدمير معالمها، وبدورها تشير الى فترة كانت فيها المنطقة تستقبل تساقطات مطرية مهمة تنعكس على هذه المجالات ومن الناحية التاريخية يعتبر فضاء لغويبة متنزها طبيعيا للساكنة المجاورة ومحطة لاستراحة المسافرين، وحزاما يحمي الاحياء المجاورة من آثار الغبار والرياح خصوصا في فصل الصيف. ومن الناحية الإنباتية يتطلب هذا النوع من الأشجار فترة إنبات طويلة، وهنا يتجلى مدى التخريب الذي تعرض له هذا المجال بفعل حركة التعمير المتسارعة.

10- توصيات للحد من استهلاك المجال الفلاحي:

للحد من التهام المجالات الزراعية وجب اتخاذ مجموعة من الاجراءات الملائمة لهذه الاشكالية ونقترح في هذا الصدد التوصيات التالية:

- مراجعة أثمنة العقار وإحصاء الأراضي الحضرية الغير مبنية من اجل التشجيع على بناء البقع الفارغة في التجزئات السكنية.
- تقنين شراء الأراضي والبقع ومحاربة عمليات المضاربة عن طريق نظام معلوماتي صارم.

- إصدار قانون ضمن مدونة التعمير يمنع التوسع على حساب المجالات الفلاحية مع تحديد شروط الاستثناء.
- التوسع العمودي عن طريق زيادة عدد الطوابق في المنازل المبنية وذلك بتغيير دفاتر التحملات لبعض التجزئات .
- توحيد اتجاه التعمير نحو محور طريق بني ملال وجماعة المربوح.
- الحفاظ على المناطق المغروسة بالزيتون داخل المناطق الحضرية.
- التنصيص في اعداد التصميم التهيئة الحالي للمدينة على خصوصية المجال الفلاحي ضمنه.
- استشارة كل الفاعلين والمتدخلين قبل اتخاذ القرار بالتوسع على حساب المجال الاخضر.
- خلق وإحداث مدينة جديدة بمنطقة الجبيل.
- تشجيع السكن الاجتماعي.
- رفع نسبة الضريبة على المنعشين العقاريين الذين يقتنون الأراضي الفلاحية للاستثمار فيها.
- ضرورة تدخل الدولة من جديد لتقنين وضبط سوق العقار.
- البحث عن الأراضي الفارغة والأراضي الصماء غير الصالحة للزراعة لبناء السكن الاقتصادي فيها.
- محاربة السكن الهامشي والحد من الهجرة القروية والعمل على تجهيز البادية المغربية خصوصا بالمناطق شبه الجافة التي تتميز بطردها لساكنتها تجاه المدن المجاورة.

خاتمة:

ختاما فإن الإشكالية موضوع الدراسة الذي اشتغلنا عليه، ورغم تناولها منذ حقبة وعبر بعض القوانين العقارية التي كانت تنص دائما على حماية الأراضي الفلاحية من التوسع العمراني التي كانت مجرد وثائق توجيهية، فإن هذه القوانين مجتمعة لم تؤد في غالب الأحيان إلى نتائج عكسية، والفوضى في التعمير في ظل ضعف الرصيد العقاري والبحث عن الربح السريع.

إن واقع الحال اليوم يبين بأننا أمام وضعية شاذة بين وجهتي نظر فلاحية من جهة، وحضرية من جهة اخرى، والتوفيق بينهما يتطلب تنظيما للمجال الحضري بتوفير رصيد عقاري يحافظ على المجال الفلاحي الضاحوي، وضمن هذا السياق فالحل هو تغيير اتجاه التعمير نحو منطقة الجبيلات تبقى مهمة ومساعدة وخطوة جريئة من الناحية العلمية لتجاوز مثل هذا الإشكال ولنمو مدينة دون خلخلة عناصرها البيئية، وهذا هو المأمول بقلعة السراغنة في المستقبل القريب.

وبهذا فان اتجاه التعمير كلما كان مضبوطا ومدروسا من قبل الفاعلين المحليين، كلما ساهم في تحديد ورسم المعالم الأساسية للمدينة التي نريد مع خصوصياتها البيئية والجمالية التي تضمن لها استدامة خضراء وتوازنا بين المجال المبني والمجال الاخضر بها.

ويبقى حل هذه المعادلة مرتبطا ايضا بالتنسيق بين الفاعلين العموميين والخواص في ميدان التعمير وسياسة المدينة للحيلولة دون استهداف المجال الضاحوي كلما ازداد الطلب على السكن بكل أنواعه.

لائحة المصادروالمراجع

❖ المراجع باللغة العربية:

-سردة عبد الكريم، ملاحظات حول أهمية التعمير بسهل تساوت السفلى.

-حفار عبد الكريم، جوانب من حياة مدينة في تحول، مطبعة خير الله، قلعة السراغنة الطبعة الأولى، السنة: 2010.

-النشرة الإحصائية السنوية 2022.

-المربوح ميات وزنادة،2010، التقرير البيئي حول جماعات قلعة السراغنة، المجلس البلدي

❖ المراجع باللغة الفرنسية:

-Mohamed zaoui, Enjeux Fonciers et Acteurs Locaux dans l'aménagement Urbain du ElKelaa Sraghna. L'I.

N. A.U. Rabat 2003.

دينامية إحداث التجهيزات الر اقية الخاصة
وإعادة تشكيل العلاقات الترابية الحضرية،
نموذج المدن الصغرى بمنطقة تساوت الوسطى (الحوز الشرقي).

نورالدين الحباش،
دكتور باحث في الجغرافيا والتنمية

ملخص:

تلعب التجهيزات الراقية أهمية كبيرة على نطاق تحريك الديناميات الحضرية المختلفة؛ وذلك لما تسديه من خدمات حيوية لفائدة الساكنة المحلية، كما لصالح ساكنة بقية المجالات الجغرافية الخارجية. لعل التجهيزات الخاصة منها، تملأ أدوارا مهيكلة على هذا الصعيد؛ باعتبارها تضفي قيمة قصوى على المجالات الجغرافية، وتجعلها أكثر جذبا. غير أن هذه النوعية من التجهيزات، لا يمكنها أن تستهدف أي مجال جغرافي كان، إلا شريطة أن يتوفر على بنية استقبال مواتية؛ وهو ما يفسر بمنطق بحثها الدائم على تحقيق الربحية الاقتصادية، أكثر منه بما يفسر بمنطق اشتغالها على تحقيق المنفعة العامة لفائدة الزبناء. بناء على ذلك، يتم تشكيل، وإعادة تشكيل العلاقات الترابية، لتصبح تتقعد على أساس شبكة معقدة من التراقصات، والترابطات والتمايزات والتراتبات غير المتكافئة، التي تجعل بعض المجالات الجغرافية الحضرية عبارة عن مجالات ترابية جاذبة، وبعضها الآخر بمثابة مجالات ترابية طاردة. تأسيسا على هذه الحقيقة الجغرافية، تهدف هذه المقالة العلمية إلى: إبراز دور ضعف إحداث التجهيزات الراقية الخاصة في جعل المدن الصغرى بتساوت الوسطى مستقطبة من طرف حقيبة واسعة من الأقطاب الحضرية الخارجية المغربية المتعددة. في هذا السياق، توصلنا إلى أن مدن منطقة تساوت الوسطى قد تحولت بشكل فعلي إلى مجالات حضرية محلية مستقطبة من طرف شبكة معقدة من الأقطاب الحضرية المغربية؛ الإقليمية والجهوية والوطنية؛ وهو ما يضيع عنها إمكانية أن تستفيد من قيم اقتصادية هامة، كانت، في حالة إن توافرت، أن تسهم في تفعيل تنميتها الحضرية المستدامة، وأن تسعف في تخفيف وضعية بين الجذب والطرد، التي تعانيها خلال الوقت الراهن بحدة كبيرة.

الكلمات المفاتيح: التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة- إعادة التشكيل- العلاقات الترابية - المدن الصغرى- منطقة تساوت الوسطى- الحوز الشرقي- التنمية الحضرية المستدامة- وضعية بين الجذب والطرد.

Résumé :

Les équipements supérieurs jouent un rôle primordial dans la dynamique urbaine; car ils fournissent des services essentiels à la population locale, ainsi qu'à la population des autres zones géographiques extérieures. À cet égard, les équipements privés ont une grande importance; car ils ajoutent de la valeur aux zones géographiques, et les rendent plus attrayantes. Cependant, ce type d'équipements ne vise pas n'importe quel espace

géographique, sauf qu'il dispose d'une structure d'accueil adéquate, ce qui s'explique par la logique de sa recherche constante de la rentabilité économique, plutôt que de sa logique de réaliser l'utilité publique au profit des clients. sur quoi, les relations territoriales se composent, et se recomposent pour être fondées sur un réseau complexe d'interconnexions, d'interdépendances, de différenciations et de hiérarchies inégales qui rendent certaines zones géographiques urbaines attrayantes, et des autres répulsives. Sur la base de cette réalité géographique, cet article vise à: Mettre en évidence le rôle de la rareté des équipements privés supérieurs dans la polarisation des petites villes de la zone de Tassaout moyenne par de nombreux pôles urbains extérieurs marocains. Dans ce contexte, nous avons conclu que les villes de la région de Tassaout moyenne se sont effectivement transformées en espaces urbains locaux polarisés par un réseau complexe de pôles urbains marocains ; régionaux provinciaux et nationaux, ce qui les perd la possibilité de bénéficier d'importantes valeurs économiques qui, si elles étaient disponibles, pourraient contribuer à leur développement urbain durable, et aider à atténuer la situation d'entre attraction et répulsion, qu'elles connaissent actuellement avec une grande sévérité.

Mots-clés: Équipements urbains privés supérieurs -la recomposition - Relations territoriales - Petites villes - zone de Tassaout moyenne - Haouz oriental - Développement urbain durable - situation d'entre attraction et répulsion.

مقدمة

تعد التجهيزات الحضرية مجموع المرافق التي تقدم الخدمات لفائدة الساكنة المحلية، كما لصالح الساكنة المجاورة، نميز فيها ما بين تجهيزات عمومية وأخرى خاصة؛ وما بين تجهيزات بسيطة وراقية، يعد وجه الفرق فيما بينها كبيرا للغاية، وذلك إن على صعيد درجة هيكلة المجال الجغرافي المحلي، كما على نطاق الخلفية المتحكمة في عملية إحداث كل نوعية منها على حدة.

تتميز المدن الصغرى بمنطقة تساوت الوسطى بأنها تتوفر على مجموعة من التجهيزات العمومية البسيطة، في حين أنها تفتقر افتقارا كبيرا إلى التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة. وقد أعادت هذه الوضعية تشكيل العلاقات الترابية التي تعقدها مع بقية المجالات الجغرافية المغربية الأخرى، وذلك في اتجاه جعلها زاويا مجالية مستقطبة بعمق شديد من طرف حقيبة هامة من الأقطاب الحضرية الخارجية، وهو ما يضيع عنها فرصا حقيقة للتنمية. من هذا المنطلق سنعالج في هذه المقالة العلمية إشكالية: "أن ضعف توفر المدن الصغرى بتساوت الوسطى على التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة قد أعاد تشكيل علاقاتها الترابية، وذلك نحو جعلها مجالات محلية مستقطبة من طرف أقطاب خارجية متنوعة"، لقياس هذه الإشكالية فإننا قد اعتمدنا على فرضية تقول بأن: "ضعف الدينامية الحضرية المحلية جعل المدن الصغرى بتساوت الوسطى تفتقر إلى وجود بنية تجهيزات راقية خاصة". للإجابة عنها فإننا قد استندنا إلى نتائج البحث الميداني الذي أنجزناه خلال الموسم الجامعي 2016-2017، وذلك في إطار تحضيرنا لبحث الدكتوراه.

I- ضعف توفر مدن منطقة تساوت الوسطى على التجهيزات الر اقية الخاصة.

1- التحديد الجغرافي لمنطقة تساوت الوسطى.

تنتمي تساوت الوسطى من الناحية الإدارية إلى وسط المغرب (الخريطة رقم 1)، وإلى أقصى جهة مراكش-آسفي، وإلى أقصى جنوب إقليم قلعة السراغنة (الخريطة رقم 2). تندرج من الناحية الجغرافية ضمن الحوز الشرقي لمراكش، وإلى الجزء الشمالي من تساوت الجنوبية، أو السراغنة الجنوبية. تهم المنطقة التي يقسمها وادي تساوت ضفتين غير متماثلتين؛ ضفة يمنى أو شرقية تلتحم بمنخفض الصهريج، وضفة يسرى أو غربية تتصل بالحوز الأوسط عبر سهل تملالت ومنخفض بويدة من الناحية الجنوبية الغربية[1]. توافق الحدود التقريبية لمنطقة الحوز الشرقي[2] (الخريطة رقم 3)؛ وهو ما يعني أنها تنطبق على الجزء المسقي بالسواقي الترابية المختلفة، لا سيما التي كانت تشتق منها انطلاقا من وادي تساوت، زيادة على المناطق البورية المجاورة لها. بناء على ذلك، تمتد تساوت الوسطى من ارتفاع 1000 متر عند السفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط جنوبا إلى السفوح الجنوبية لكتلة الجبيلات الشرقية شمالا، ومن الهوامش الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط شرقا، إلى وادي اغذات، أو وادي سيدي رحال غربا (الخريطة رقم 3).

الخريطة رقم 01: موقع تساوت الوسطى بالمغرب

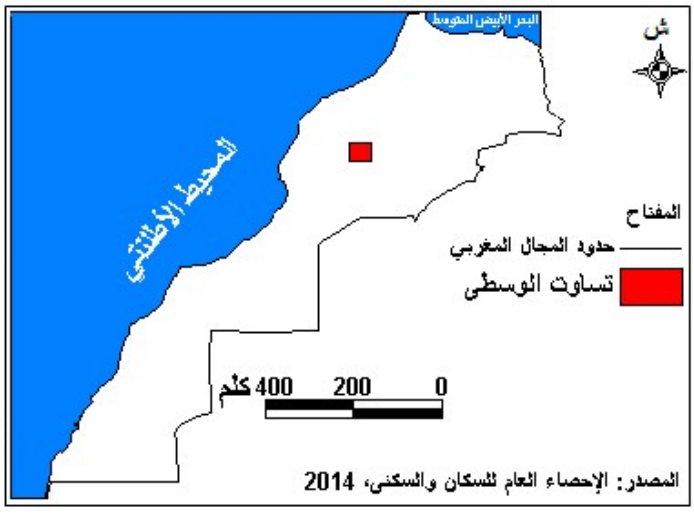

الخريطة رقم 02: موقع تساوت الوسطى

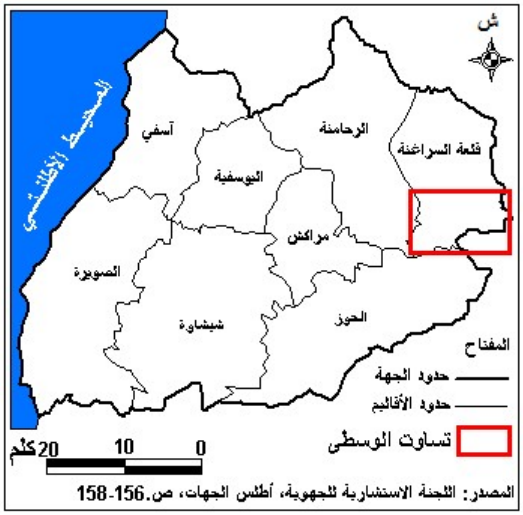

[1]_ LAHLIMI Ahmed, 1966, les terres irriguées et le monde rurale de la tessaouat moyenne, in revue RGM, N° 11, p. 3.

[2]_ SAHNOUNI Abdelmajid, 2000, les aménagements hydro-agricoles et les mutations socio-économique et spatiales dans une région semi-aride: le Haouz oriental (Maroc), université de Rouen, p.8.

خريطة رقم 3: موقع تساوت الوسطى بسهل الحوز

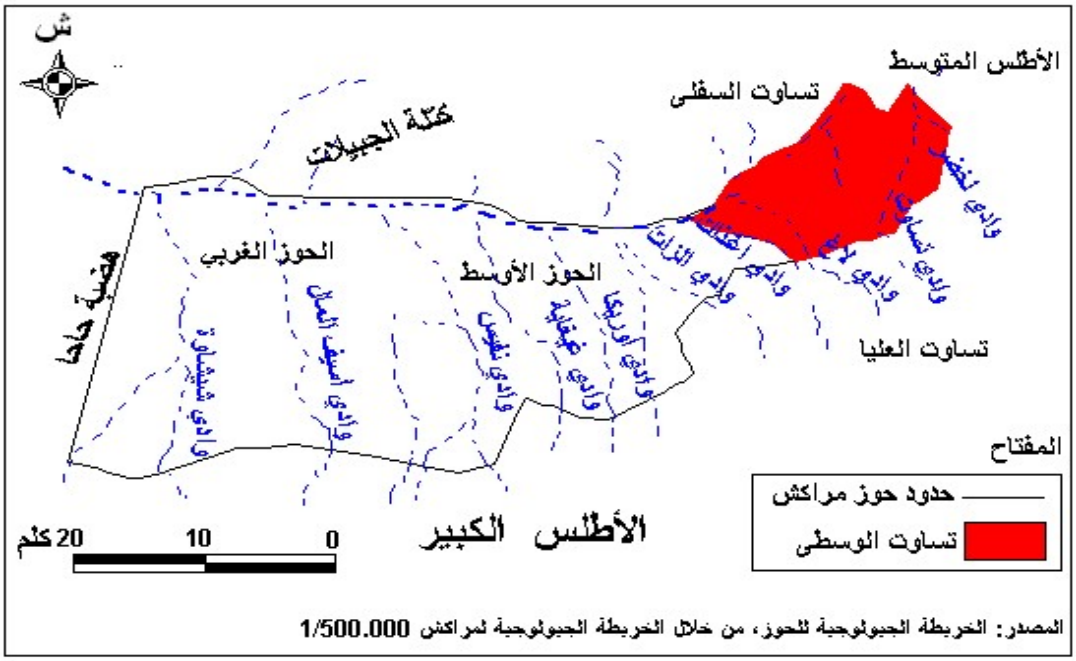

تضم تساوت الوسطى مجموعة من التجمعات البشرية المتنوعة، التي تعود بجذورها التاريخية إلى نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث. تطور بعض هذه التجمعات خلال نهاية سنوات ستينيات وبداية سبعينيات القرن 20م إلى مراكز قروية، وفي غضون مستهل سنوات التسعينيات إلى مراكز حضرية؛ وذلك على إثر التقسيم الجماعي الذي أجري من نوعه في غضون سنة 1992م. تتجسد هذه المراكز في كل من العطاوية وتملالت وسيدي رحال والصهريج (الخريطة رقم 4)، والتي تعاني خلال الوقت الراهن إشكاليات تنموية متعددة، يبقى أبرزها استقطابها من طرف حقيبة متنوعة من الأقطاب الحضرية الخارجية الصغرى والمتوسطة والكبرى؛ وهو ما يعزى إلى افتقارها الشديد إلى معظم التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة.

خريطة رقم 4: المدن الصغرى بمنطقة تساوت الوسطى خلال سنة 2014

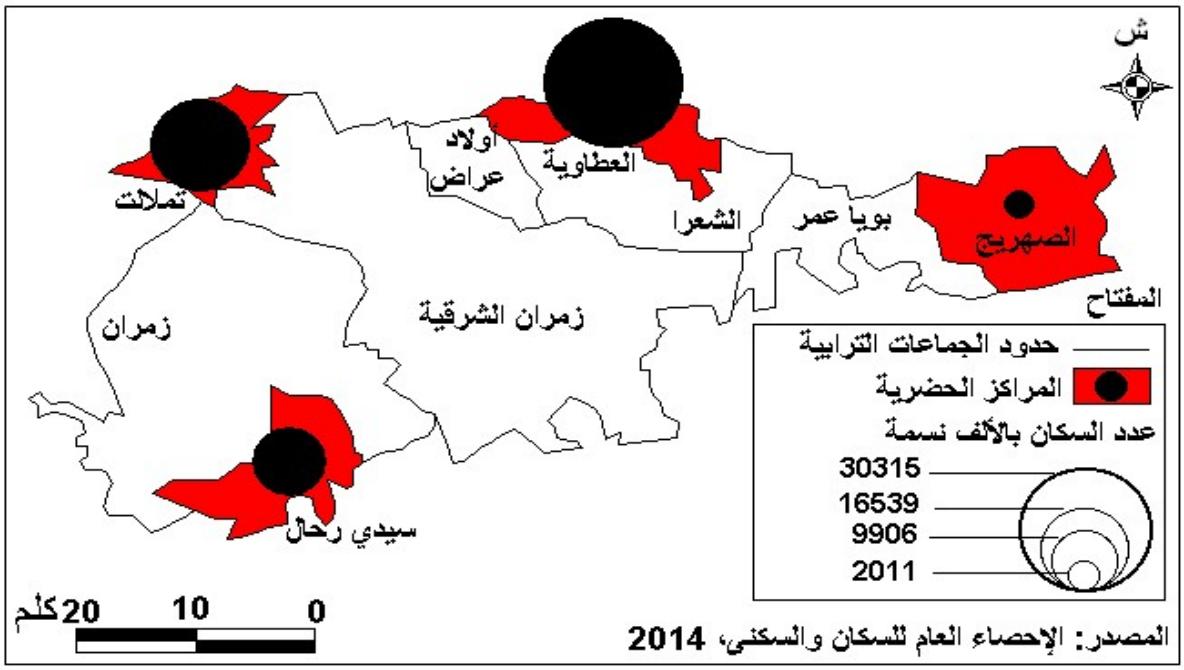

2- ضعف أهمية التجهيزات الراقية الخاصة ضمن البنية الاقتصادية العامة، وضمن بنية الخدمات.

2-1- تدني أهمية التجهيزات الراقية الخاصة ضمن البنية الاقتصادية العامة.

نعني بالتجهيزات الحضرية الراقية الخاصة مجموع المرافق التي ينتجها القطاع الخاص، والتي تقدم خدمات نادرة جدا لفائدة الزبناء، سواء الذين يندرجون من بينهم ضمن الساكنة المحلية، أم الذين ينضوون منهم ضمن خانة ساكنة بقية المناطق الجغرافية المجاورة. تدخل هذه النوعية من الخدمات ضمن القطاع الثالث، وتهم أنشطة معقدة، يصعب حصرها، كما أن حجمها يختلف تبعا لوتيرة الدينامية الاقتصادية الحضرية المحلية. أتبثت معالجتنا المعلوماتية للائحة الأنشطة الاقتصادية المسلمة من طرف مصلحة الشرطة الإدارية والشؤون الاجتماعية وقسم الشؤون الداخلية بالباشويات، كما الملاحظات الميدانية التي أنجزناها على هامش بحثنا الميداني، والاستجوابات التي أجريناها مع الساكنة المحلية، ضعف توفر مدن تساوت الوسطى على هذه النوعية من التجهيزات.

تشمل التجهيزات الراقية الخاصة التي تتوفر عليها المدن الصغرى بتساوت الوسطى: الأبناك شبه العمومية، الطب الإختصاصي، المدارس الخاصة، وكالات التأمين، وكالات الأسفار، المقاهي العصرية، صناعة الأسنان، وكالات تحويل الأموال، محطات الوقود، محلات المجوهرات، الإقامات الموجهة للكراء، ناهيك عن وكالات صرف العملات الخارجية، لا سيما اليورو منها، ومدارس سيارات التعليم، ووحدات الفحص التقني.

رغم تنوعها الهام، فإن عملية تكميمها تظهر ضعف أهميتها الكبيرة من ضمن البنية الاقتصادية العامة. تشغل الخدمات الراقية الخاصة بجميع المراكز الحضرية المحلية نسبة تبلغ 16.09%. تتوزع عليها بطريقة

مختلفة، تناهز نسبتها بالعطاوية 14.64%، بتملالت 18.12%، بسيدي رحال 12.20%، وبالصهريج 19.18%؛ المعطيات الرقمية التي تكشف بالملموس ضعف حضورها بكل مدن تساوت الوسطى، وذلك مع بعض التفاوتات الطفيفة فيما بينها، بطبيعة الحال (الجدول رقم 01).

جدول رقم 01: حجم الخدمات الر اقية الخاصة من ضمن البنية الاقتصادية العامة بمدن تساوت الوسطى

مركز حضري/ بنية اقتصادية	العطاوية		تملالت		سيدي رحال		الصهريج		جميع المراكز	
	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%
الصناعة	1	0,14	4	1,39	0	0,00	0	0,00	5	0,41
التجارة	349	50,58	152	52,96	89	54,27	35	47,95	625	51,48
الخدمات السفلى	239	34,64	79	27,53	55	33,54	24	32,88	397	32,70
الخدمات الراقية الخاصة	101	14,64	52	18,12	20	12,20	14	19,18	187	15,40
جميع الوحدات	690	100,00	287	100,00	164	100,00	73	100,00	1214	100,00

المصدر: معالجة لائحة الأنشطة الاقتصادية المسلمة من طرف مصلحة الشرطة الإدارية والشؤون الاجتماعية وقسم الشؤون الداخلية بالباشويات.

2-2- ضعف أهمية التجهيزات الر اقية الخاصة ضمن بنية الخدمات.

عند مقارنتها بحجم التجهيزات السفلى، تبدو هزالة بنية التجهيزات الراقية الخاصة واضحة للغاية. تشغل نسبة التجهيزات الراقية بجميع مراكز تساوت الوسطى 35.15%، وذلك في مقابل ارتفاع نسبة التجهيزات السفلى إلى 64.85%. ما يسري على هذه المراكز الحضرية المحلية ينطبق على كل مركز حضري منها على حدة، وذلك مع بعض الفوارق فيما بينها. وتشغل نسبة التجهيزات الراقية الخاصة بالعطاوية 29.71% مقابل 70.29% للتجهيزات السفلى، بتملالت 39.69% مقابل 60.31%، بسيدي رحال 26.67% مقابل 73.33%، وبالصهريج 36.84% في مقابل 63.16% (الجدول رقم 02).

جدول رقم 02: تمثيلية التجهيزات الر اقية الخاصة مقارنة بالتجهيزات السفلى

مركز حضري/ بنية خدمات	العطاوية		تملالت		سيدي رحال		الصهريج		جميع المراكز الحضرية	
	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%	عدد الوحدات	%
الخدمات السفلى	239	70,29	79	60,31	55	73,33	24	63,16	345	64,85
الخدمات الراقية الخاصة	101	29,71	52	39,69	20	26,67	14	36,84	187	35,15
جميع الخدمات	340	100,00	131	100,00	75	100,00	38	100,00	532	100,00

المصدر: معالجة لائحة الأنشطة الاقتصادية المسلمة من طرف مصلحة الشرطة الإدارية والشؤون الاجتماعية وقسم الشؤون الداخلية بالباشويات.

3- هيمنة المقاهي العصرية على بنية الخدمات الر اقية الخاصة.

تهيمن المقاهي العصرية على بنية التجهيزات الراقية الخاصة بمراكز تساوت الوسطى بشكل واضح للغاية، محققة بذلك نسبة تناهز 34.76% من أصلها. تأتي صناعة الأسنان في الرتبة الثانية ب 14.44%، وكالات

تحويل الأموال في الرتبة الثالثة ب 10.70%، فمدارس تعليم السياقة في الرتبة الرابعة ب 07.49%. تشغل بقية الخدمات الراقية الخاصة الأخرى نسبا أقل؛ تأتي على شكل 06.95% لمحلات المجوهرات، 05.88% للأبناك شبه العمومية، 05.35% لمحطات الوقود، 04.81% لوكالات التأمين، 04.28% للمدارس الخاصة، 02.67% لعيادات طب الإختصاص، 00.53% لكل من الإقامات الموجهة للكراء ووكالات الصرف ووكالات الأسفار، 01.07% لوحدات الفحص التقني للسيارات، في حين أنه ينعدم أي حضور لمكاتب المحامين والمهندسين الخواص (الرسم البياني القطاعي رقم 01).

رسم بياني رقم 01: أهمية المقاهي العصرية ضمن بنية الخدمات الر اقية الخاصة خلال 2016-

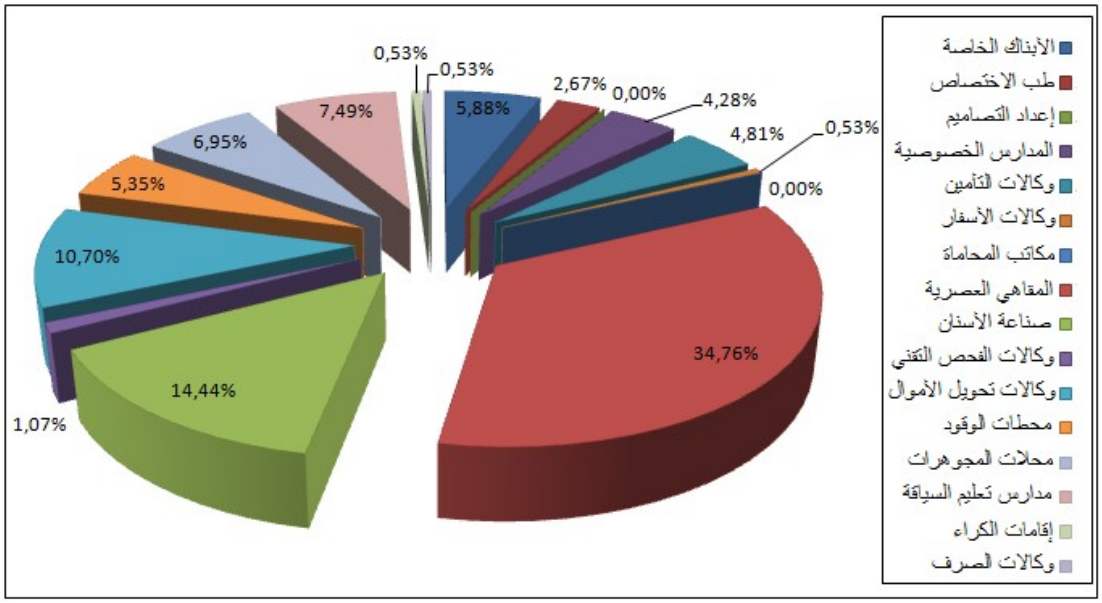

المصدر: معالجة لائحة الأنشطة الاقتصادية المسلمة من طرف مصلحة الشرطة الإدارية والشؤون الاجتماعية وقسم الشؤون الداخلية بالباشويات.

تكاد تتشابه المدن الصغرى بتساوت الوسطى بخصوص هيمنة المقاهي العصرية على بنية التجهيزات الراقية الخاصة على صعيدها. تحتل نسبتها بالعطاوية 29.70%، بتملالت 46.15%، بسيدي رحال 30.00%، وبالصهريج 35.71%. تتلوها على هذا الصعيد عيادات صناعة الأسنان، التي تشغل بالعطاوية نسبة تناهز 17.82%، بتملالت 11.54%، بسيدي رحال 05.00%، وبالصهريج 14.29%، ووكالات تحويل الاموال التي تأتي على شكل 07.92%، 07.69% و20.00% و28.57%؛ فالأبناك شبه العمومية التي تتوزع في صيغة 04.95%، 05.77% و 15.00% و 00.00% (الجدول رقم 03).

عند قراءة التوزيع الجغرافي لهذه التجهيزات على صعيد المجال الجغرافي المحلي، يبدو بأن مدينة العطاوية تسجل أحيانا نسبا متدنية بخصوص حضور التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة مقارنة ببقية المراكز المحلية الأخرى. يفند هذا المعطى الفرضية المنطلق؛ والتي تقول بأن: " ضعف الدينامية الحضرية المحلية جعل المدن

الصغرى بتساوت الوسطى تفتقر إلى وجود بنية تجهيزات راقية خاصة". والحال في ذلك، أن العطاوية تعد المدينة الأكثر دينامية على صعيد منطقة تساوت الوسطى ككل، وأن تسجيلها لهذه الحقيقة الجغرافية، إنما يعلل بما تزخر به من بنية اقتصادية غنية، تطغى على بنية التجهيزات الراقية الخاصة، وتجعلها تظهر بشكل باهت. ينكشف ذلك من خلال بعض الإحصائيات المستنبطة انطلاقا من معالجة لائحة الأنشطة الاقتصادية؛ ففي الوقت الذي يبلغ فيه عدد التجهيزات بالعطاوية 690 تجهيزا، يعتبر من بينها 101 تجهيزا راقيا خاصا، يقف فيه عدد التجهيزات بتملالت عند حدود 287، ينضوي من أصلها 52 تجهيزا ضمن خانة التجهيزات الراقية، ولا يتعدى فيه عدد التجهيزات بسيدي رحال 164 تجهيزا، يعد من ضمنها 20 تجهيزا بمثابة تجهيز راقي، بينما لا يتخطى فيه عدد التجهيزات بالصهريج 73 تجهيزا، يندرج منها 14 تجهيزا فقط ضمن دائرة التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة (الجدول رقم 01).

جدول رقم 03: توزيع أنشطة الخدمات النادرة الخاصة بحسب المراكز الحضرية المحلية

الخدمات العليا/ مركز حضري	العطاوية		تملالت		سيدي رحال		الصهريج		جميع المراكز	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الابناك الخاصة	5	4,95	3	5,77	3	15,00	0	0,00	11	5,88
الطب الخاص	3	2,97	1	1,92	0	0,00	1	7,14	5	2,67
التصاميم	0	0,00	0	0,00	0	0,00	0	0,00	0	0,00
المدارس الخاصة	4	3,96	3	5,77	1	5,00	0	0,00	8	4,28
وكالات التأمين	5	4,95	2	3,85	2	10,00	0	0,00	9	4,81
وكالات الاسفار	1	0,99	0	0,00	0	0,00	0	0,00	1	0,53
محامون	0	0,00	0	0,00	0	0,00	0	0,00	0	0,00
المقاهي العصرية	30	29,70	24	46,15	6	30,00	5	35,71	65	34,76
صناعة الأسنان	18	17,82	6	11,54	1	5,00	2	14,29	27	14,44
وكالات الفحص التقني	2	1,98	0	0,00	0	0,00	0	0,00	2	1,07
وكالات تحويل الأموال	8	7,92	4	7,69	4	20,00	4	28,57	20	10,70
محطات الوقود	5	4,95	3	5,77	1	5,00	1	7,14	10	5,35
محلات المجوهرات	10	9,90	2	3,85	1	5,00	0	0,00	13	6,95
مدارس تعليم السياقة	8	7,92	4	7,69	1	5,00	1	7,14	14	7,49
إقامات كراء	1	0,99	0	0,00	0	0,00	0	0,00	1	0,53
وكالات الصرف	1	0,99	0	0,00	0	0,00	0	0,00	1	0,53
المجموع	101	100	52	100	20	100	14	100	187	100
تمثيلية كل مركز حضري		54,01		27,81		10,70		7,49		

المصدر: معالجة لائحة الأنشطة الاقتصادية المسلمة من طرف مصلحة الشرطة الإدارية والشؤون الاجتماعية وقسم الشؤون الداخلية بالباشويات.

II- ضعف الدينامية الحضرية المحلية: عامل طرد للتجهيزات الراقية الخاصة.

1- بنية استقبال حضرية محلية طاردة لإحداث التجهيزات الراقية الخاصة.

يتحكم في عملية إحداث التجهيزات الراقية الخاصة منطق يناقض تماما الخلفية التي توجه إنجاز التجهيزات العمومية البسيطة؛ يتحدد في ما يمكن أن نسميه ب: "العقلانية الاقتصادية". إن مختلف

المستثمرين، الماديين منهم والاعتباريين، قبل إحداثهم لأي نوعية من هذه التجهيزات، إنما يبحثون عما يوفره المجال الحضري المحلي من فرص ربح مضمونة، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق توافر عدد هام من المؤهلات الموجودة من ذي قبل؛ وذلك على غرار: الحضور القوي للشبكات العمومية الأساسية، ووجود بيئة حضرية تعد ذات دينامية اقتصادية كبيرة، واندماج المجال الحضري المحلي ضمن نسق السوق الاقتصادية الوطنية والدولية، ناهيك عن احتضانه لساكنة محلية ذات قدرات شرائية مرتفعة، تمكنها من استهلاك الخدمات الراقية المؤداة لصالحها بشكل هام جدا؛ المؤهلات التي تبدي في تداخلها صعوبة كبيرة فيما يخص توطين هذه الطينة من الإستثمارات على صعيد أي مجال جغرافي كان.

تتوفر مدن تساوت الوسطى على بعض التجهيزات الراقية الخاصة، لكنها لا تكاد تضاهي في حدها الأقصى ما تجذبه بقية الأقطاب الحضرية المغربية الأخرى إليها من تجهيزات من هذا القبيل. للتدليل على هذه الحقيقة الجغرافية، فإننا سنورد بعض مؤشراتها السوسيو- مجالية والاقتصادية، والتي تشكل بيئة حضرية مغذية لهذه الوضعية الجغرافية غير الصحية. ويتعلق الأمر هنا، كما هو ممثلا في الجدول رقم 04؛ بمعدلات: الإرتباط بشبكة الكهرباء، والإرتباط بشبكة الماء الصالح للشرب، والتغطية بشبكة الصرف الصحي، والتغطية بشبكة الأنترنيت، والسكن الذي يعد عمره أقل من 10 سنوات، وسكن الفيلات والشقق أو العمارات، والسكن الموجه للكراء.

جدول قم 04: بعض المؤشرات التي تدل على ضعف بنية الاستقبال بمدن تساوت الوسطى خلال سنة 2014 ب %

معدل الإرتباط/ مدينة	مدن تساوت الوسطى					الدار البيضاء		آيت أورير	بني ملال	قلعة السراغنة	مراكش	
	العطاوية	تملالت	سيدي رحال	الصهريج	عين الشق	عين لسبع					مراكش المدينة	سيدي يوسف بن علي
شبكة الكهرباء	97,1	96,2	96,2	94,3	95,5	91,8		94,5	96,6	96	97,2	98
شبكة الماء الصالح للشرب	97,5	96,4	96,4	96,8	91,9	87,7		89,4	93,2	94,8	96,6	97,6
شبكة الصرف الصحي	86,3	54,4	54,4	79,2	93	93,3		63	90,1	97,1	98,8	98,5
شبكة الأنترنيت	16,9	16	16	20,9	42,4	37,4		19,1	28,5	25,8	19,4	17,3
سكن أقل من 10 سنوات	26,3	12,7	12,7	26,6	15,5	30,2		37,6	20,2	20,7	3,6	12,5
سكن الفيلات	1,4	0,8	0,8	0,8	10,6	12,2		1,9	7	3,2	1,3	2,1
سكن الشقق	0,8	0,3	0,3	0,2	31,9	55,5		1,5	6,4	5,4	2,5	1,8
سكن الكراء	22	11,5	11,5	18,4	22,4	18,5		14,7	32,9	28,5	32,7	27,7
السكن القروي	7	34,2	34,2	30,4	0,5	0,1		7,9	0,7	3	0,4	2,2

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

من خلال معطيات الجدول رقم 04 المرفق أعلاه، يظهر بأن مدن تساوت الوسطى تقدم بنية استقبال طاردة للتجهيزات الحضرية الراقية الخاصة. فمن المعروف أنها تتوفر على شبكة قاعدية مهمة؛ فمعدلات الربط بشبكات الكهرباء والماء الصالح للشرب والصرف الصحي... تضاهي بقية المعدلات المسجلة بالأقطاب الحضرية المغربية الأخرى، بل وتفوقها في أحايين كثيرة. يكمن المشكل الذي تعانيه على هذا الصعيد في أنها تقدم بيئات

اقتصادية محلية هشة لا تنال ثقة المستثمرين بالشكل الكافي، وفي أنها تفتقر إلى حد كبير جدا، إلى وجود ساكنة تعد ذات مداخيل مرتفعة، لا سيما بتملالت وسيدي رحال والصهريج.

أما على المستوى الأول، فقد أبان البحث الميداني 2016-2017 بأن البيئة الاقتصادية المحلية تعد هشة للغاية مقارنة ببقية البيئات الحضرية الأخرى وهذا ما يحول دون جذب الاستثمارات الخارجية، لا سيما التي تنفذ من بينها من طرف المهاجرين الدوليين الذين ينحدرون انطلاقا من حوضي إيطاليا وإسبانيا، والذين تنبع أصولهم الجغرافية من أرياف تساوت الوسطى نفسها. فالسؤال حول: "هل يستثمر أفراد الجالية بمدينتهم الأصلية؟"، أجابت عنه نسبة تبلغ 63.21% من أصل المستجوبين بكلمة "نعم"، و34.55% بكلمة "لا"، و0.81% بأنه توجد هنالك "استثمارات نادرة" و0.20% بأنه لا تحدث سوى مجرد "استثمارات صغرى". ولا ينطبق ذلك على كل مراكز تساوت الوسطى بنفس الدرجة، وإنما يمسها بطريقة متباينة جدا، وفي هذا الصدد، أشارت نسبة تبلغ 83.76% إلى عدم وجود أي مشاريع استثمارية من نوعها تعود للمهاجرين الدوليين على صعيد سيدي رحال، أكدت ذلك نسبة تناهز 63.76% على نطاق الصهريج، في حين أنه قد توقفت هذه النسبة عند حدود 11.41% بتملالت، وعند حدود 02.29% بالعطاوية.

تجدر الإشارة بالقول إلى أن هذه الاستثمارات المنجزة على صعيد كل مراكز تساوت الوسطى، والتي تبلغ نسبتها 63.21%، لا تتعلق في مجملها بالتجهيزات الراقية الخاصة، وإنما تهيمن عليها نوعية الاستثمارات التي تهم العقار الموجه للسكن، والتي تمتص نسبة تشغل 74.80% من مجموعها. ويقف ضعف الدينامية الحضرية المحلية وراء تفضيل المهاجرين الدوليين إنجاز استثماراتهم الراقية ببقية المدن المغربية الهامة، بل وحتى الدولية منها، ويجعلهم في مقابل ذلك يمتنعون عن إقامتها على المستوى المحلي، ويراهنون على مجرد تعاطي العقار الموجه للسكن على صعيده؛ والذي يفسر بارتباطهم العاطفي بمجالهم الأصلي أو بالمجال الحضري القريب إليه من جهة، وببحثهم الحثيث عن الربح السريع وذلك في إطار ما يسمى ب: الاقتصاد المضارباتي، أو الريعي من جهة ثانية.

أما بخصوص المستوى الثاني الذي يتعلق بتدني جذب مدن تساوت الوسطى للخدمات الحضرية الراقية الخاصة، فإنه يبقى على علاقة وطيدة بضعف القدرة الشرائية لدى الساكنة المحلية. إن مثيل هذه النوعية من الاستثمارات تعد حساسة للغاية اتجاه القدرات الشرائية التي يتمتع بها السكان المحليون، ولهذا فهي تراعي في عملية توطينها المعطيات الاقتصادية للسكان، وتعتبرها محددات أساسية لعملية تفعيلها، أكثر من ذلك إنها تعتبر المجال الجغرافي مشروعا اقتصاديا أكثر منه بيئة حضرية عادية.

لقياس دور هشاشة القدرة الشرائية للساكنة المحلية في ضعف جذب مدن تساوت الوسطى للتجهيزات الحضرية الراقية، فإنه بإمكاننا أن نعتمد مؤشرات متعددة. بالنسبة لنا، فقد اعتمدنا معيار أنواع السكن؛ وذلك بحكم أن السكنيات تعتبر تعبيرات مجالية واضحة عن مدى قوة القدرة الشرائية الحقيقية للساكنة المحلية، أو ضعفها.

من هذا المنطلق، واستنادا إلى نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى؛ الممثلة في الجدول رقم 04 أعلاه، يحقق سكن الفيلات والشقق والأبنية الموجهة لعملية الكراء أخفض معدلات إنتشار على الإطلاق، وذلك مقارنة ببقية المدن المغربية الأخرى المتضمنة ضمن نفس الجدول. عندما نتكلم عن ذلك؛ فنحن نفيد بأن مدن تساوت الوسطى تفتقر إلى وجود الطبقة البرجوازية، والتي تقطن في مجملها بسكن الفيلات، ويضعف بها حضور الطبقة المتوسطة؛ من موظفين وتجار وغيرهم، والتي تفضل بأن تستقر في معظمها بالشقق والعمارات، كما أنها تشهد انحصارا حادا لفئة المكترين؛ والتي ترمز إلى حجم دينامية المدينة على نطاق توفير فرص الشغل، على العكس من ذلك؛ فإنه إضافة إلى وجود الدار المغربية العصرية نجد أن السكن القروي يسجل معدلات مرتفعة جدا؛ وهو ما يعبر بشكل فعلي عن ضعف إمكانيات الساكنة المحلية، ويحيل إلى تدني قدراتها الشرائية.

على أساس هشاشة البيئة المحلية، ظلت مدن تساوت الوسطى تستقبل تجهيزات تعد في غالبيتها العظمى بسيطة للغاية، وذلك مقارنة ببقية الأقطاب الحضرية الخارجية الأخرى؛ من إقليمية وجهوية ووطنية. لا تكاد تشد عن هذه القاعدة بشكل نسبي سوى مدينة العطاوية، التي تشتغل على جذب بعض التجهيزات الراقية إليها، وذلك على الرغم من أنها لا تستطيع أن تنافس بقية الكيانات الحضرية الخارجية بهذا الخصوص.

2- العطاوية: أقوى بيئة حضرية جاذبة للتجهيزات الر اقية على الصعيد المحلي.

تمارس العطاوية جذبا هاما على صعيد التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة مقارنة ببقية مدن تساوت الوسطى، يتجلي ذلك من خلال نتائج معالجة لائحة الأنشطة الاقتصادية المسلمة لنا من طرف مصلحة الشرطة الإدارية والشؤون الاجتماعية وقسم الشؤون الداخلية بالباشويات، والتي أبانت على أن مدينة العطاوية تستحوذ على نسبة تبلغ 54.01% من أصل التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة المنجزة على صعيد مراكز تساوت الوسطى. يحدث ذلك في الوقت الذي تنحصر فيه طاقة تملالت عند حدود 27.81%، سيدي رحال عند حدود 10.70%، والصهريج عند حدود 07.49% (الجدول المرفق رقم 03).

استفادت العطاوية من عدة مقومات أسعفتها في تفعيل هذه الدينامية على صعيدها. تتجلى في أنها تعد ذات دينامية حضرية هامة على الأقل على المستوى المحلي، كما أنها تسوق لصورة إيجابية عنها ببعض المجالات الأخرى الخارجية، لا سيما بحوضي إيطاليا وإسبانيا. تشاطرها تملالت في هذا المعطى لكن بدرجة تبقى أقل. استفادت في ذلك من موقعها الاستراتيجي على الطريق الوطنية رقم 08 ومن قربها الشديد إلى مدينة مراكش؛ التي لا تفصلها عنها سوى 56 كيلومتر، ومن وفرة النظام العقاري على صعيدها؛ والذي ينتمي في غالبيته العظمى إلى الملك الخاص بالدولة. على العكس من ذلك، يظل الصهريج وسيدي رحال منفرين لجذب إحداث التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة على مستواهما؛ وهو ما يفسر بضعف ديناميتهما المحلية وبتذبذبها الكبير.

3- أهمية الأقطاب الخارجية في جذب التجهيزات الر اقية الخاصة انطلاقا من مدن تساوت الوسطى.

تحظى الأقطاب الحضرية المغربية الهامة بديناميات إيجابية تساعدها على جذب ما تطرده مدن تساوت الوسطى من موارد وطاقات وقوى واستثمارات، وذلك بما فيه التجهيزات الراقية الخاصة. ترتكز في إنتاجها لهذه

الحركية المجالية على عوامل متنوعة؛ تتجسد في كل من: قرب المسافة، والتمثل حول جودة الحياة الحضرية، ووفرة النقل، ووجود فرص العمل، إضافة إلى شبكة العائلة.

تستفيد مدينة قلعة السراغنة من: التمثل حول جودة الحياة الحضرية بنسبة 03.25%، ومن وجود فرص العمل ب 01.42%، ومن قرب المسافة ب 01.02%، ومن توفر النقل وشبكة العائلة ب 00.20%. تراهن مدينة مراكش على التمثل حول جودة الحياة الحضرية ووجود فرص العمل بنسبة 00.41%. تعتمد مدينة الدار البيضاء على التمثل حول جودة الحياة الحضرية بنسبة 02.44%، وعلى فرص العمل وشبكة العائلة ب 00.81%، وعلى قرب المسافة ب 00.20%. تشتغل مدينة آيت أورير على تحفيز هذه الحركية المجالية نحوها اعتمادا عن التمثل حول جودة الحياة الحضرية بنسبة 01.22%، وعن قرب المسافة ب00.81%، وعن النقل وشبكة العائلة ب 00.20% (الجدول المرفق رقم 05).

الجدول رقم05: عوامل جذب الأقطاب الخارجية للاستثمارات انطلاقا من مدن تساوت الوسطى

المتغيرات/ المركز الجضري	قلعة السراغنة		مراكش		بني ملال		الدار البيضاء		آيت أورير		الرباط	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
قرب المسافة	5	1,02	5	1,02	0	0,00	1	0,20	4	0,81	0	0,00
التمثل عن جودة الحياة	16	3,25	85	17,28	2	0,41	12	2,44	6	1,22	0	0,00
نقل	1	0,20	16	3,25	0	0,00	0	0,00	1	0,20	0	0,00
عمل	7	1,42	10	2,03	2	0,41	4	0,81	0	0,00	0	0,00
شبكة عائلية	1	0,20	10	2,03	0	0,00	4	0,81	1	0,20	2	0,41
عينة 492												

المصدر: البحث الميداني 2016-2017.

III- إعادة تشكيل العلاقات الترابية بتساوت الوسطى نحو إنتاج جهاز مدن صغرى مستقطبة خارجيا.

1- استقطاب مدن تساوت الوسطى من طرف خمسة أقطاب رئيسة.

تبحث ساكنة مدن تساوت الوسطى على ملء الفراغ الذي يتركه ضعف حضور التجهيزات الراقية الخاصة على صعيدها. يتجسد ذلك من خلال ترددها بشكل دائم على عدد هام من الأقطاب الحضرية الخارجية الحيوية. أفرزت هذه الحقيقة الجغرافية تراقصات، وتمايزات وتراتبات واستقطابات ترابية حادة، ومتنوعة. وتستقطب مدن تساوت الوسطى من طرف حقيبة واسعة من الأقطاب الحضرية المغربية؛ الصغرى والمتوسطة والكبرى، التي يوجد من بينها ما ينتمي إلى المستوى المحلي، ومنها ما يندرج ضمن المستويات الإقليمية والجهوية والوطنية. ويدل هذا المعطى على دور ضعف حضور التجهيزات الحضرية الراقية الخاصة في إعادة تشكيل

العلاقات الترابية التي تعقدها مع بقية أجزاء التراب الوطني، وذلك في اتجاه خلق مجموعة من الكيانات المحلية التابعة بقوة للمجالات الخارجية.

أكد البحث الميداني 2016-2017 ذلك؛ حيث كشفت نتائجه بأن نسبة استقطاب مدن تساوت الوسطى على صعيد التجهيزات الراقية الخاصة ترتفع إلى حدود 98.17%؛ وقد أشار ما عدده 483 مستجوبا من أصل عينة 492 على أنهم يترددون على بقية المدن المغربية للاستفادة من هذه النوعية من الخدمات الحيوية. وتتنوع هذه الأقطاب كثيرا، غير أنها تتهيكل في مجموعها من طرف 5 أقطاب رئيسة؛ تتجلى في كل من مدن: مراكش، قلعة السراغنة، بني ملال، الدار البيضاء، وآيت أورير.

تشغل مدينة مراكش الرتبة الأولى على صعيد استقطاب مدن تساوت الوسطى، وذلك بنسبة تبلغ 51.63%، يتعلق الأمر هنا بالتخصصات الطبية وبأنشطة الترفيه. وتأتي مدينة قلعة السراغنة في الرتبة الثانية بنسبة تناهز 43.90%، يرتبط ذلك بخدمات التحاليل الطبية وطب الأسنان والمحاماة والضريبة على السيارات ومقرات الاتصالات وطب الاختصاص... تحتل مدينة آيت أورير الرتبة الثالثة بنسبة تسجل 00.85%، وترتكز في ذلك على طب الأسنان فقط. تحقق مدينتا بني ملال والدار البيضاء، كل واحدة منهما على حدة نسبة تبلغ 00.61%، يعود ذلك إلى ما تتوفر عليه مدينة بني ملال من خدمات ترفيه وتطبيب، وإلى ما تضمنه مدينة الدار البيضاء من خدمات ترفيه وتعليم وطب اختصاص، لا سيما ما يتعلق منه بالعمليات الجراحية المعقدة، كما بالتحاليل الطبية وبأجهزة الفحص التي لا تتوفر على صعيد مدينة مراكش (الخريطة المرفقة رقم 04).

2- تفاوت أهمية الاستقطاب من مركزي حضري محلي إلى آخر.

تستقطب الأقطاب الحضرية الخارجية مدن تساوت الوسطى بطريقة متفاوتة. وتستقطب مدينة قلعة السراغنة سيدي رحال بنسبة 23.07%، الصهريج ب 59.42%، العطاوية ب45.97%، وتملالت ب52.51%. تمارس مدينة مراكش استقطابها على سيدي رحال بنسبة 42.73%، على الصهريج ب 49.27%، على العطاوية ب 56.32%، وعلى تملالت ب 60.73%. تعمد مدينة بني ملال إلى استقطاب سيدي رحال بنسبة 00.85%، الصهريج ب 01.44%، العطاوية ب 02.30%، وتملالت ب 00.45%. وإذا ما قاربنا مدينة الدار البيضاء من خلال هذه الزاوية، فإننا نجدها تستقطب سيدي رحال بنسبة 05.98%، الصهريج ب 01.44%، العطاوية ب 02.29%، وتملالت ب 00.45%. بخصوص آيت أورير؛ التي تمثل مدينة صغيرة ناشئة على صعيد الحوز المركزي، وشبيهة من حيث ديناميتها إلى حد كبير جدا بمدينة العطاوية، فإن تأثيراتها على نطاق استقطاب مدن تساوت الوسطى، تقتصر على سيدي رحال لوحدها، وذلك بنسبة تقف عند حدود 00.85%.

تمارس مدن تساوت الوسطى الاستقطاب المحلي على بعضها البعض، لكن ذلك يحدث على نطاق ضيق جدا. ولديناميتهما الهامة على الصعيد المحلي، ترتفع أهمية الاستقطاب الذي تمارسه العطاوية وتملالت مقارنة بسيدي رحال والصهريج. وتبلغ نسبة استقطاب العطاوية للمدن الثلاث الأخرى 31.03%، وتناهز نسبة استقطاب تملالت لها جميعا 02.73%، في حين أنه ينعدم وجود أي استقطاب من نوعه يمارسه سيدي رحال والصهريج على المستوى المحلي؛ وهو ما يوضح بجلاء كبير ضعف ديناميتهما.

الخريطة رقم 04: الأقطاب الحضرية الرئيسية المستقطبة لمدن تساوت الوسطى على صعيد التجهيزات

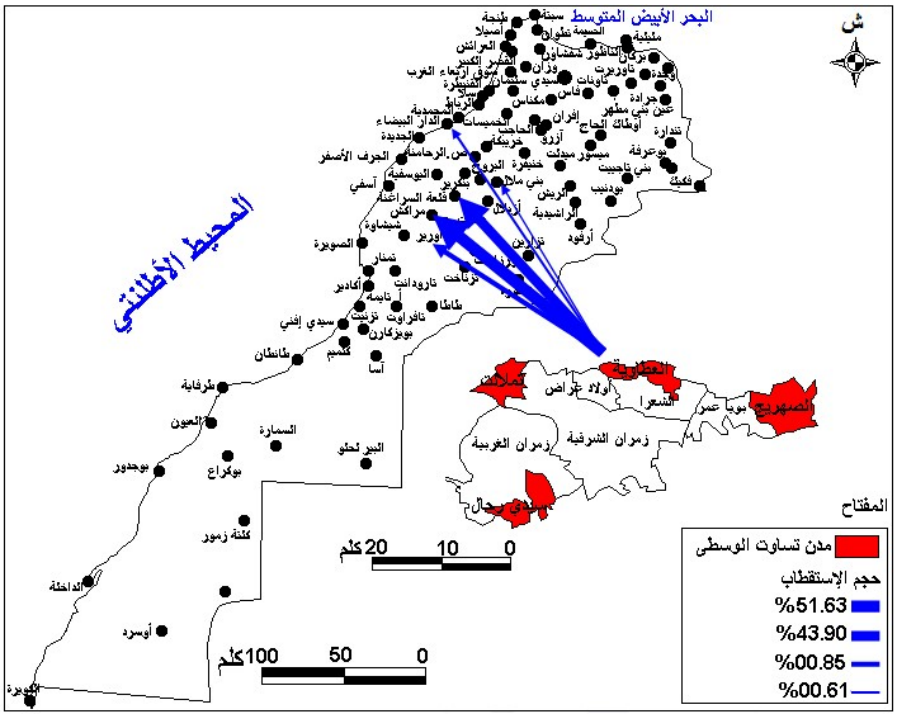

المصدر: البحث الميداني 2016-2017

خاتمة:

عالجت هذه المقالة العلمية دور ضعف إحداث التجهيزات الراقية الخاصة في إعادة تشكيل العلاقات الترابية لمدن تساوت الوسطى، وذلك في اتجاه جعلها مجالات حضرية مستقطبة من طرف مجموعة من الأقطاب المغربية المتنوعة، لا سيما خمسة أقطاب رئيسية من بينها.

ركزت هذه المقالة العلمية على تقديم منطقة تساوت الوسطى من حيث انتمائها الإداري والجغرافي، وتوضيح ضعف تمثيلية التجهيزات الراقية الخاصة على صعيد مدنها الصغرى، وذلك من ضمن البنية الاقتصادية العامة، كما من أصل بنية الخدمات، وإبراز مدى هيمنة المقاهي العصرية عليها، وتبيان أن ضعف الدينامية الحضرية يبقى العامل المسؤول عن نقص إحداث هذه النوعية من التجهيزات الحضرية على نطاقها، والتأكيد بأن مدينة العطاوية تشكل استثناء على هذا المستوى؛ وهو ما يعود إلى أهمية ديناميتها الحضرية على الصعيد المحلي، وذلك في سياق ضعف قدرتها على منافسة بقية الأقطاب الحضرية الخارجية، لتخلص هذه المقالة العلمية في النهاية إلى أن ضعف إحداث التجهيزات الراقية الخاصة قد أعاد تشكيل علاقاتها الترابية، وذلك نحو جعلها مدنا مستقطبة من طرف حقيبة واسعة من الأقطاب الخارجية المغربية، التي تنتمي إلى مستويات ترابية إقليمية وجهوية ومحلية متعددة، وتهيمن عليها 5 أقطاب رئيسية؛ تتجلى في كل من: مراكش وقلعة السراغنة والدار البيضاء وبني ملال وآيت أورير.

تجعل هذه الحقيقة الجغرافية مدن تساوت الوسطى تعيش وضعية غير سليمة، تتسبب في إهدارها لإمكانيات واسعة، كان الأجدر بها بأن تستغلها في مسألتي تحقيق تنميتها الحضرية المستدامة، والقضاء على وضعية بين الجذب والطرد التي تعيشها خلال الوقت الراهن على صعيد مجموعة من المجالات. ويجعلنا هذا الأمر نفكر في موقع مدن تساوت الوسطى ضمن خانة سياسة إعداد التراب الوطني المغربي.

إن ضعف تنميتها الحضرية المستدامة، يجعلها عاجزة عن ملء الوظائف التي أسندتها الدولة المغربية إلى جهاز المدن الصغرى بدءا من عقد السبعينيات؛ والتي تتعلق بتصحيح الاختلالات الموروثة عن الفترة الاستعمارية؛ وذلك بتحديث المجالات الريفية وتثبيت ساكنتها المحلية، وبفك الضغط الذي تمارسه الهجرة الريفية على صعيد المدن الكبرى من خلال إعادة توجيه تياراتها نحوها. والحال في ذلك، أن البحث الميداني المنجز خلال موسم 2016-2017، قد كشف لنا بأن مدن تساوت الوسطى قد تجاوزت مرحلة الاستقطاب الممارس على مستوى التجهيزات الراقية الخاصة، لتدخل بذلك مرحلة جديدة ومتطورة من العلاقات الترابية؛ تتعلق بطرد الرساميل والتيارات والساكنة المحلية نحو بقية الأقطاب الحضرية الخارجية؛ وهو ما يستدعي ضرورة تصحيح ما يعتريها من نواقص سوسيو- مجالية واقتصادية عميقة، ترتهن بضعف ديناميتها الحضرية المستدامة.

تحيلنا هذه النتيجة إلى صحة الفرضية التي انطلقنا منها؛ والتي تقول بأن: "ضعف الدينامية الحضرية المحلية جعل المدن الصغرى بتساوت الوسطى تفتقر إلى وجود بنية تجهيزات راقية خاصة"، وهو ما تمخض عنه طرد التجهيزات الراقية الخاصة إلى خارجها، وساهم في تغذية وضعية بين الجذب والطرد التي تعيشها خلال الوقت الراهن على صعيد عدة مجالات. ولتجاوز هذه الوضعية المعقدة، والعمل على حلحلتها، فإننا نقترح ما يلي من توصيات:

- تعيش مدن تساوت الوسطى ديناميات محلية هشة؛
- جعلت الدينامية الهشة مدن تساوت الوسطى غير قادرة على جذب التجهيزات الراقية الخاصة؛
- أصبحت مدن تساوت الوسطى مستقطبة خارجيا من حيث الاستفادة من الخدمات الراقية الخاصة؛
- يجب تحسين ديناميات مدن تساوت الوسطى حتى تستطيع أن تتخلص من استقطابها الخارجي؛
- لتنمية مدن تساوت الوسطى، يجب تحفيز دينامياتها الداخلية بناء على ما تتسم به من خصوصيات محلية، ومجاورة، كما استنادا إلى منظور سياسة إعداد التراب الوطني لجهاز المدن الصغرى.

لائحة المصادروالمراجع

❖ المراجع باللغة العربية:

- الإحصاء العام للسكان والسكنى، 2014.
- البحث الميداني المنجز مع أرباب الأسر 2016-2017.
- الخريطة الجيولوجية للحوز.
- الخريطة الجيولوجية لمراكش، مقياس 500.000/1.
- لائحة الأنشطة الاقتصادية المسلمة من طرف مصلحة الشرطة الإدارية والشؤون الاجتماعية وقسم الشؤون الداخلية بالباشويات، 2016-2017.
- اللجنة الاستشارية للجهوية، أطلس الجهات.

❖ المراجع باللغة الفرنسية:

-LAHLIMI Ahmed, 1966, les terres irriguées et le monde rural de la Tessaouat Moyenne, in revue RGM, N° 11.

-SAHNOUNI Abdelmajid, 2000, Les aménagements hydro-agricoles et les mutations socio-économique et spatiales dans une région semi-aride: le Haouz oriental (Maroc), université de Rouen.

الإدارة الرقمية ورهانات التنمية الترابية:
جماعة قلعة السراغنة نموذجا

قاسمي أمين، باحث بسلك الدكتوراه
محمد أكلع، أستاذ التعليم العالي
جامعة القاضي عياض، مراكش.

الملخص:

شهدت المجتمعات المتقدمة تطورًا هامًا، جعل من حجم التقدم الوظيفي والإداري ضرورة ومطلبًا ملحًا لتلك الشعوب، لتحسين الخدمات الوظيفية التي تعكس مدى التطور البشري في مجال الخدمات الإدارية. ومع الثورة المعلوماتية والاكتشافات التكنولوجية، تولد ما يسمى بالإدارة الرقمية، هذه الإدارة التي تعتمد على التكنولوجيا الرقمية، مما يجعل عملها يتحول من ورقي تنظيمي إلى إلكتروني شبكي. هذا النوع الذي اعتمده المغرب سنة 1997 عامة، أما على مستوى جماعة قلعة السراغنة، فتعد سنة 2011 حدثًا بارزًا باعتماد أولى المنصات المعلوماتية وجعلها قاطرة للتنمية الترابية. هذا ما جعلنا نحاول دراسة هذا الموضوع وتحديد مساهمة الإدارة الرقمية في تحديث الإدارة العمومية على أرض الواقع، وجعلها أداة للتنمية الترابية في قلعة السراغنة. ويمكن دراسة هذا الموضوع باعتماد عدة مناهج مترابطة، أبرزها المنهج النسقي والمنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

الكلمات المفتاح: الإدارة الرقمية، التنمية، التنمية الترابية، الحكامة.

Résumé :

Advanced societies have witnessed significant development, making the advancement in job and administrative roles a crucial necessity and demand for those nations, aiming to enhance employment services that reflect the extent of human development in the field of administrative services. And with the information revolution and technological discoveries, what is known as digital management emerges. This management relies on digital technology, transforming its operations from paper-based organizational to networked electronic. This type, which Morocco adopted in 1997, generally, and at the level of the commune of El Kelaa des Sraghna in particular, the year 2011 was a significant event with the adoption of the first informational platforms and making them a driver of territorial development. This motivated us to study this subject and determine the contribution of digital administration in modernizing public administration in practice, making it a tool for territorial development in El Kelaa des Sraghna. This topic can be studied by employing several interconnected approaches, most notably the systemic approach, the descriptive approach, and the historical approach.

Mots-clés: Digital Administration, Development, Territorial Development, Governance.

تقديم

شهدت المجتمعات المتقدمة تطورا هاما جعل من حتمية التقدم الوظيفي والإداري ضرورة ومطلبا ملحا لتلك الشعوب التي آثرت إلا أن تزيد وتحسن من الخدمات الوظيفية التي تعكس مدى التطور البشري في مجال الخدمات الإدارية، وهذا ما استوجب إيجاد حلول وطرائق جديدة من شأنها تطوير العمل الإداري والرقي به في مجالات عديدة، وزيادة على الثورة المعلوماتية التي حدثت في أواخر القرن العشرين ما جعل العديد من الاكتشافات والتكنولوجيات الحديثة تظهر كأثر لتلك الثورة وما أفرزته على الجانب البشري والتقني والإداري؛ فتولد ما يسمى بالإدارة الرقمية، هاته الإدارة التي تعتمد على التكنولوجيا الرقمية لا وجود فيها لعراقيل وحواجز إدارية وتنظيمية تقف أمام العمل الإداري، كما أن مفهومي الزمان والمكان لا يصبح لهما أدنى تأثير على مجريات العمل الإداري تحت شعار العمل المستمر في كل مكان وأي زمان.

أما المغرب فبعد دخول شبكة الأنترنيت سنة 1995؛ ازداد اهتمامه بأهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التوجه نحو مجتمع المعرفة والمعلومات، فكانت الإرهاصات الأولى للإدارة الرقمية في المغرب سنة 1997؛ حيث تأسست "اللجنة الاستراتيجية لتكنولوجيا المعلومات"، والتي هدفت للعمل في المجالات المتعلقة بتنمية مجتمع المعرفة عبر تعميم استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

هذا الاهتمام بإصلاح وتحديث الإدارة يمكن تجسيده من خلال الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المشاركين في المناظرة المنظمة من لدن كتابة الدولة المكلفة بالبريد وتقنيات الاتصال يوم 23 أبريل 2001 تحت عنوان "الاستراتيجية الوطنية لإدماج المغرب في مجتمع الإعلام والمعرفة"، حيث جاء في الرسالة الملكية ما يلي: **"وسيظل إصلاح الإدارة العمومية وعصرنتها من بين الرهانات الرئيسية التي يطرحها تقدم بلادنا، إذ يتعين أن نوفر لأجهزتنا الإدارية ما يلزم من أدوات تكنولوجية عصرية بما فيها الأنترنيت، لتمكينها من الانخراط في الشبكة العالمية وتوفير خدمات أكثر جودة لمتطلبات الأفراد والمقاولات"**[1].

وتبقى سنة 2002 حدثا مهما في مسار الإدارة الرقمية بالمغرب؛ حيث شهدت إقامة المناظرة الوطنية حول الإصلاح الإداري، أما على مستوى جماعة قلعة السراغنة تعد سنة 2011 حدثا بارزا لاعتماد أولى المنصات المعلوماتية.

من منطلق إن مبدأ التجاوب مع احتياجات المواطنين تطلب الانتقال من نظام إداري بيروقراطي إلى نظام إداري منفتح يأخذ بمبدأ ربط الإدارة بالمرتفقين، إن ورش رقمنة الإدارة يعد مدخلا ضروريا لتحقيق التنمية الترابية ومجابهة الإشكاليات التي تعاني منها الإدارة المغربية عامة والجماعة الترابية لقلعة السراغنة بشكل

[1]_ المناظرة الوطنية حول الإصلاح الإداري، الحضارة المغربية وتحديات 2010، مطبعة اليت، سلا، 2002

خاص، وذلك بهدف السير بها قدما نحو بناء منظومة إدارية متطورة قادرة على الوفاء بالاحتياجات الآنية والمستقبلية للمرتفقين[1].

تعالج المقالة إشكالية جوهرية تتعلق أساسا برهان تحديث وتطوير الإدارة واعتماد الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة كأداة للتنمية، خاصة في ظل وجود معيقات وتحديات تحول دون تحقيق هذا الرهان، كل هذا يجعلنا نطرح أكثر من سؤال: ما واقع الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة، وكيف تساهم في التنمية الترابية؟ ما المعيقات التي تواجه تطبيق الرقمنة بجماعة قلعة السراغنة، وسبل تجاوزها؟

تتحدد أهمية هذه الدراسة في أن إدارة جماعة قلعة السراغنة عرفت مع بزوغ فجر الاستقلال تحولات عميقة، كان الهدف منها هو الاستجابة لمطالب المواطنين اليومية، كما ازدادت أهمية الإدارة الرقمية بالإدارات العمومية وهذا ينعكس على جماعة قلعة السراغنة؛ فمنذ سنوات أخذت على عاتقها تطوير الإدارة من خلال تبني الإدارة الرقمية، غير أن الواقع اليوم يحتم البحث حول مسار تطويرها، وتتحدد أهمية الدراسة أيضا من خلال تحديد مدى مساهمتها في تحديث الإدارة العمومية على أرض الواقع وجعلها أداة للتنمية الترابية بتراب قلعة السراغنة، مع رصد أهم المعيقات التي حالت دون التطبيق السليم لها.

منهجية الدراسة:

للإجابة عن الإشكالية العامة لهذا المقال، ارتأينا تقسيمه إلى ثلاثة محاور؛ إذ خصص المحور الأول لواقع تطبيق الإدارة الرقمية بالمغرب عامة، وتشخيص واقعها بجماعة قلعة السراغنة، أما المحور الثاني فاهتم بالإدارة الرقمية بالجماعة ورهان التنمية الترابية، وتطرقنا بالمحور الثالث والأخير لإطلالة على مجموع المشاكل والمعيقات التي تواجه تطبيق الرقمنة، وإصدار مجموعة من التدابير تمكن في حالة اعتمادها من تحقيق وتطبيق الرقمنة المساهمة في التنمية الترابية بقلعة السراغنة.

مجال البحث:

يقع إقليم قلعة السراغنة بجهة مراكش آسفي الواقعة بوسط البلاد والتي يحدها شمالا جهة الدار البيضاء سطات، وغربا المحيط الأطلنتي، وجنوبا جهة سوس ماسة، وشرقا جهتي درعة تافيلالت، وبني ملال خنيفرة، وتندرج المدينة ضمن حدود إقليم قلعة السراغنة الذي يحده إقليم سطات شمالا، وإقليم الرحامنة غربا، وإقليمي الحوز وأزيلال جنوبا، وإقليمي أزيلال والفقيه بن صالح شرقا، وتعتبر مدينة قلعة السراغنة عاصمة الإقليم ومركزه، ويحدها شمالا جماعة المربوح، وغربا جماعة مايات، وجنوبا وشرقا جماعة ازنادة.

[1]_ ناجي كمال، استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالإدارة المغربية – واقع وأفاق -، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، الرباط، السنة الجامعية: 2003/2002، ص8

I- تطور الإدارة الرقمية بالمغرب

يعتبر إدماج تكنولوجيا المعلومات في مختلف الإدارات والمؤسسات العمومية، من الأولويات التي رافقت دخول المغرب إلى عالم الثورة الرقمية في أواخر القرن العشرين، ومنذ ذلك الوقت إلى الآن شهد مجال الإدارة الرقمية عدة مخططات واستراتيجيات لمواكبة التنزيل السليم له، وتحقيق الغايات المنتظرة، وهو ما يمكن عنونته بالسياق الإلكتروني للإدارة المغربية غير أن هذا التطور لم يقتصر على البرامج فقط بل تعداه بصدور ترسانة تشريعية وإقامة مؤسسات لتنظيم قطاع تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

1) السياق الإلكتروني للإدارة المغربية:

1.1. البعد الرقمي في التحديث الإداري

أصبحت الدول تقاس بوزن إدارتها داخل محيطها الترابي في الوقت الذي باتت فيه الإدارة الجماعية عاجزة عن تلبية حاجيات المواطنين لانغماسها في عالم تسوده بل تهيمن عليه الثقافة البيروقراطية؛ حيث تظهر هذه البيروقراطية بوجهها القبيح، من خلال عدم توظيف الوظائف وترجيح المركزية الإدارية، وعدم المبالاة والاهتمام[1].

والإدارة المغربية لم تسلم من هذا الداء شأنها في ذلك شأن جل الإدارات في دول المعمور عامة والدول النامية على وجه الخصوص. وهذا ما أشار إليه جلالة الملك محمد السادس "**... كون البيروقراطية تعتبر سببا في شل الحركة الاقتصادية وبالتالي عدم تحقيق التنمية المستدامة**"[2].

لذلك كان من الضروري أن يفتح المغرب أوراشا مهمة من أجل مواكبة الإدارة للتطورات الرقمية، حيث تعتبر سنة 1995 بداية العلاقة مع التكنولوجيا حيث شهدت إدخال الأنترنيت إلى المغرب، وتوالت مع وضع البرنامج التنموي لتكنولوجيا المعلومات والاتصال سنة 1997 مع إحداث أول بوابة إلكترونية استهدفت إدارة الجمارك والضرائب الغير المباشرة[3]، كما اعتمد المغرب المخطط الخماسي والذي هدف لجعل تكنولوجيا الإعلام أداة تنافسية للاقتصاد الوطني وتطوير الخدمات، هذا المخطط أفضى سنة 2001 لصياغة النسخة الأولى من استراتيجية المغرب الإلكترونية والتي هدفت لتعميم الإدارة الرقمية.

- البرنامج الوطني للإدارة الإلكترونية 2004:

تم إعداد البرنامج الوطني للإدارة الإلكترونية تحث اسم (إدارتي) وكذا مخطط رباعي لأجرأته (2005/2008)؛ حيث هدف إلى تطوير معالجة المعلومات ووضع منصات إدارية لتحسين الخدمات المقدمة

[1] _ نعيمة كثيري، تطليق الإدارة المغربية، رسالة لنيل الدبلوم الدراسات العليا المسنة، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية، السنة الجامعية: 2000/2001، ص6

[2] _ مقتطف من خطاب الملك محمد السادس، بمناسبة افتتاح المجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط 4 ماي 2000.

[3] _ إدارة الجمارك والضرائب الغير المباشرة www.douane.gov.ma

للمواطنين والمقاولات، إضافة لإنشاء الموقع الالكتروني (www.servicepublic.ma) الذي مكن من الوصول لعدة مساطر ومعلومات إدارية، كما تم تخصيص جائزة سنوية للإدارة الالكترونية[1].

- الاستراتيجية الوطنية (E-Maroc 2010):

في إطار عصرنة القطاعات الإنتاجية بالمغرب حملت الاستراتيجية الوطنية (e-Maroc 2010)، على عاتقها سد الفجوة الرقمية وتعميم الولوج إلى خدمات الأنترنيت وخدمات الاتصال بصفة عامة، حيث اعتمدت الاستراتيجية على أربع محاور تتعلق بتنمية الإدارة الإلكترونية وتعميم وسائل تكنولوجيا الاتصال.

ولتفعيل الإدارة الرقمية تم إطلاق بوابة وطنية (www.maroc.ma) ضمت أكثر من 600 مسطرة إدارية وعدة بوابات خاصة بمختلف الإدارات [2]؛ حيث ساهمت هذه البوابة في تقليص كافة الخدمات المقدمة، والحد من عناء التنقل، والحصول على المعلومات المطلوبة، وكذا تحسين نوعية الخدمات التي يتيحها توحيد المساطر الإدارية على المستوى الوطني.

- الاستراتيجية الوطنية لمجتمع المعلومات والاقتصاد الرقمي (المغرب الرقمي 2013):

شكل الخطاب الملكي لسنة 2008 بمناسبة عيد العرش، مدخلا مهما لتبني استراتيجية المغرب الرقمي 2013 حيث دعا الملك الحكومة إلى "**اعتماد استراتيجية جديدة في المجال الصناعي والخدماتي وتنمية تكنولوجيا العصر...**"، لتشجيع المقاولات الصغرى والمتوسطة على اعتماد المعلوميات للرفع من انتاجيتها[3].

إن عجز الإستراتيجيات السابقة أجبر المسؤولين على وضع استراتيجية جديدة لغاية سنة 2020[4]، لكن يجب الكف عن وضع أهداف وتصورات على الأوراق قبل إيجاد حلول واقعية لمختلف الاختلالات التي تعيق تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال بشكل عام، بما فيها الإدارة الرقمية.

- برنامج الإصلاح الإداري 2018-2021:

يستند إصلاح الإدارة والوظيفة العمومية إلى الرسالة السامية التي وجهها صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في الملتقى الوطني للوظيفة العمومية المنظم من طرف وزارة إصلاح الإدارة والوظيفة العمومية العليا المنعقد بالصخيرات بتاريخ 27 فبراير 2018. وتتمثل التوجهات الملكية السامية لإصلاح الإدارة والوظيفة العمومية في عدة برامج وتوجهات تهم إصلاح الإدارة منها:

---

[1]_ www.workspace.unpon.orgVisite le 14/04/2022

[2]_ فاطمة الفارسي، **عرض لحصيلة استراتيجية e-maroc 2010**، الاجتماع الثالث لمجموعة العمل المغربية الإماراتية، دبي، 12/13 مارس 2017، ص3

[3]_ المملكة المغربية، وزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيا الحديثة، **الاستراتيجية الوطنية لمجتمع المعلومات والاقتصاد الرقمي (المغرب الرقمي 2013)**، ص 57

[4]_ الفقرة الخاصة باستراتيجية المغرب الرقمي 2020.

- اعتماد التكنولوجيات الحديثة للارتقاء بالعمل الإداري، والتوجه نحو تعميم الإدارة الرقمية، وتوفير الخدمات عن بعد، والولوج المشترك للمعلومات من طرف مختلف القطاعات[1].

الشكل رقم 1: خطاطة المقاربة الإصلاحية

المصدر: الخطة الوطنية لإصلاح الإدارة 2018-2021

- النموذج التنموي الجديد:

راهن النموذج التنموي الجديد على رهان الرقمنة، وتتطلب التحولات الهيكلية التي يوصي بها النموذج التنموي الجديد إمكانات تقنية وبشرية ومالية هامة لاسيما في مرحلة إطلاقها، وتعتبر اللجنة أنه من الضروري التركيز على خمس رافعات أساسية لإطلاق النموذج ومواكبة تفعيله:

1) الرقميات كرافعة للتحول السريع، 2) جهاز إداري مؤهل وفعال، 3) تأمين الموارد الضرورية لتمويل مشاريع التحول، 4) إشراك مغاربة العالم للاستفادة من معارفهم وشبكاتهم وخبراتهم، 5) تعبئة علاقات التعاون مع الشركاء الأجانب للمملكة اعتمادا على مقاربة رابح – رابح.

2.1-الإطار المؤسساتي والقانوني للإدارة الرقمية:

عرف قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال طفرة نوعية على الصعيد الوطني بالنظر للبرامج والاستراتيجيات التي عملت على تنزيله وتعميمه وتيسير سبل الوصول إليه، لكن لم يقف الحد إلى هذا المستوى بل واكب الثورة المعلوماتية تطور على مستوى القطاعات والمؤسسات الحكومية، وكذلك ترسانة قانونية همت تنظيم هذا القطاع.

[1] _ الخطة الوطنية لإصلاح الإدارة 2018-2021، ص 20.

- القطاعات والمؤسسات الحكومية:

شرع المغرب بعد الاستقلال في هيكلة عدة قطاعات؛ حيث تم تحويل مكتب البريد إلى وزارة للبريد والاتصالات سنة 1956، قبل أن يستعيد وضعيته الأصلية كمكتب سنة 1984، بعدها شهد القطاع عدة إصلاحات توجت سنة 1998 باعتماد القانون 24.96 والذي كرس نهاية احتكار الدولة لقطاع الاتصالات[1]. فقد أقر هذا القانون بانقسام المكتب الوطني للبريد والاتصالات إلى ثلاث وحدات من خلال الفصل بين البريد الذي أصبح يسمى (بريد المغرب)، والاتصالات السلكية واللاسلكية (اتصالات المغرب)، وكذا إنشاء سلطة تنظيمية تحت مسمى (الوكالة الوطنية المواصلات)[2].

وفي ما يلي سنستعرض بعض القطاعات والمؤسسات المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال:

أولا: الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات (ANRT):

تعتبر الوكالة مؤسسة عمومية مكلفة بتنظيم وتقنين قطاع المواصلات، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي حسب القانون 24.96 المغير والمتمم بمقتضى القانون 55.01[3].

ثانيا: المجلس الوطني لتكنولوجيا الإعلام والاقتصاد الرقمي:

تم إحداث المجلس الوطني لتكنولوجيا الإعلام والاقتصاد الرقمي سنة 2005، بناءً على مرسوم رقم 2.08,499، حيث تناط بهذا المجلس مهمة تنسيق السياسات الوطنية الهادفة لتطوير تكنولوجيا الإعلام والاقتصاد الرقمي وضمان التتبع والتقييم.

ومن وجهة نظري فإن المغرب مازال في طور الهيكلة لسد الفراغ المؤسساتي في مجال التكنولوجيا والرقمنة، حيث تشير إلى القانون رقم 61.16 المتعلق بإحداث وكالة التنمية الرقمية[4]، والذي من شأنه مواكبة استراتيجية المغرب الرقمي 2020.

---

[1]_ مسكور، **تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتحديث الإدارة العمومية: الحكومة الإلكترونية**، م.س، ص ص: 58، 59. ظهير شريف رقم 1.97.152 صادر في 2 ربيع الآخر 1418 (7 أغسطس 1997)، صدر بالجريدة الرسمية، عدد 4518 بتاريخ 1997/09/18، ص3721

[2]_ ظهير شريف رقم 1.97.162 صادر في 2 ربيع الثاني 1418 (7 أغسطس 1997) بتنفيذ القانون رقم 24.96 المتعلق بالبريد والمواصلات، صدر بالجريدة الرسمية، عدد 4518 بتاريخ 1997/09/18، ص 3721

[3]_ ظهير شريف رقم 1.04.154 صادر في 21 رمضان 1425 (4 نوفمبر 2004) بتنفيذ القانون رقم 55.01 القاضي بتغيير وتتميم القانون رقم 24.96 المتعلق بالبريد والمواصلات، الجريدة الرسمية، عدد 5263 بتاريخ 2004/11/08، ص 3881

[4]_ Riadh Bouriche, **Le rôle des TIC dans la bonne gouvernance**, participation avec cette communication au séminaire national intitulé, Informations et société de la connaissance, La faculté des sciences sociales et humaines, Université Mentouri Constantine- Algérie, organisé les 18/19 avril 2009.

- الإطار القانوني:

شهت بداية الألفية الثالثة تطورا على مستوى تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المغرب، وذلك من خلال إدماجه في مختلف البرامج والاستراتيجيات، لهذا الغرض عمل المشرع المغربي على وضع ترسانة قانونية مهمة، همت مختلف النصوص التشريعية والمراسيم التنظيمية والقرارات والمناشير الوزارية وغيرها.

كما سبق ذكره فبعض القوانين عملت على إحداث عدة مجالس ومؤسسات، كالمرسوم رقم 2.08.444 المتعلق بإحداث المجلس الوطني لتكنولوجيا الإعلام والاقتصاد الرقمي، وكذا المرسوم رقم 2.10.75 الذي حدد إختصاصات وتنظيم وزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيا الحديثة، إضافة للقانون 61.16 المحدث لوكالة التنمية الرقمية.

II- تشخيص الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة:

1. الخدمات الالكترونية التي تقدمها جماعة قلعة السراغنة:

توفر جماعة قلعة السراغنة العديد من الخدمات الإلكترونية التي تجعلها السباقة على مستوى الإقليم في تطبيق البلدية الرقمية منذ سنة 2011 ومن هذه الخدمات نذكر:

الجدول رقم1: المنصات المعلوماتية بجماعة قلعة السراغنة

المنصة المعلوماتية	تاريخ الشروع في العمل
شكاية	2020
شفافية	2022
نظام تدبير الحالة المدنية	2013
وثيقة	2020
منظومة رخص	2021
مجالس	2022
التدبير المندمج للنفقات GID	2014
التدبير المندمج للموارد GIR	2019
أجور/ اندماج	2016
برنامج الزرقاوي SYGEST	2011
الموقع الالكتروني	2013
البوابة الوطنية للمشاركة المواطنة	غير مفعلة

المصدر: عمل ميداني

من خلال الجدول أعلاه يتبين أن غالبية المنصات المعلوماتية مفعلة بجماعة قلعة السراغنة، باستثناء البوابة الوطنية للمشاركة المواطنة، والتي تعتبر من المنصات الحديثة الموجهة للمرتفقين قصد تقديم عرائضهم لمختلف المؤسسات والإدارات العمومية، وبخصوص منصة رخص فقد تم الشروع في العمل بواسطة المنصة بجماعة قلعة السراغنة في بداية سنة 2021؛ حيث تتكلف مصلحة المراقبة ضمن قسم التعمير والممتلكات، بتتبع الملفات الواردة من المرتفقين حسب طبيعة الرخصة (رخص التعمير، الرخص الاقتصادية) والمصادقة عليها، و كان أول برنامج استخدم بجماعة قلعة السراغنة هو برنامج الزرقاوي SYGEST خاص بالمداخيل، أما فيما يتعلق بالشباك الإلكتروني لطلب الوثائق الإدارية (منصة وثيقة)، فهي خدمة عبر الخط تسمح بطلب الوثائق الإدارية إلكترونيا واستلامها عن طريق البريد المسجل على العنوان الذي يختاره المرتفق، حيث شرعت جماعة قلعة السراغنة في تفعيل الخدمة منذ سنة 2020، أما فيما يتعلق بنظام تسيير المجالس الجماعية (مجالس)، فقد تم الشروع في العمل به بداية من دورة المجلس الجماعي لشهر فبراير لسنة 2022، فبواسطة المنصة تم تدبير دورة المجلس بشكل لامادي من خلال عدة مراحل، وبالنسبة للتدبير الميزانياتي الحالي للمداخيل كان يتم منذ 2011 بالاعتماد على برنامج SYGEST للزرقاوي. بعد ذلك أصبح يتم عبر التدبير المندمج للموارد (GIR) الذي تم العمل به بجماعة قلعة السراغنة منذ سنة 2019، هذا التطبيق دوره عقلنة وترشيد وضبط مختلف مداخيل الجماعات الترابية من رسوم وضرائب وإتاوات وغيرها، والتي كانت في السابق قبل ادخال الرقمنة، تعرف الكثير من الصور العشوائية والارتجال والتلاعب في المداخيل في غياب عنصر الشفافية والوضوح والحكامة. أما على مستوى النفقات تتم عبر التدبير المندمج للنفقات (GID) للضبط الجيد للميزانية وتفادي العشوائية والارتجال السائدين في السابق حيث أن البرانم تنفذ الأوامر بدقة متناهية، إنها إحدى آليات محاربة الفساد المالي والإداري وتفادي العشوائية والارتجال هدر المال العام في المؤسسات، باستثناء نفقات الموظفين وكذلك نظام المحاسبة التي تتم عبر برنامج أجور/اندماج.

2. و اقع الرقمنة بجماعة قلعة السراغنة:

جدول2: بطاقة ملاحظة درجة تطبيق الرقمنة بجماعة قلعة السراغنة

عنصر الملاحظة	درجة الملاحظة
درجة توفر تكنولوجيا الاتصال الحديثة (حواسيب. إنترنت)	متوسطة
درجة استخدام التكنولوجيا الحديثة في المعاملات الإدارية	متوسطة
درجة رضا المواطنين عن خدمات الجماعة	ضعيفة
أرشفة البيانات إلكترونيا	متوسطة
تحديث موقع الجماعة	جيدة
السرعة في أداء العاملين لمهامهم باستخدام الحاسوب	ضعيفة
التقليل من فرص الأخطاء أثناء القيام بالمهام باستخدام الحاسوب	جيدة
تخصيص رقم هاتفي للإجابة على انشغالات المواطنين	جيدة
توفر شبكة إنترانت داخلية لتبادل المعلومات بين الموظفين	منعدمة
وجود مطبوعات ومجلات دورية للتعريف بنشاطات وخدمات الجماعة	ضعيفة

المصدر: عمل ميداني

- عرض واقع الرقمنة الإدارية بجماعة قلعة السراغنة:

المعلومات المنشورة على موقع الجماعة غير كافية لتلبية حاجات المواطنين لأنها لا تتمثل في آخر الأخبار والمداولات المطروحة والمناقصات وكذا بعض الوثائق الإدارية التي يحتاجها المواطن بكثرة.

ليس هناك إقبال كبير من طرف المواطنين على موقع البلدية ولا يتم معرفة ذلك من خلال البريد الإلكتروني الذي يرسله المواطن أو التعليقات الموجودة على موقع التواصل الاجتماعي كما لا يتم تبادل الآراء ووجهات النظر مع المواطنين.

لم يتم إجراء قياس لرضا المواطنين حول خدمات الجماعة ولو لمرة واحدة ويمكن استعمال استمارة تحتوي على مجموعة من الأسئلة التي تتعلق بأداء العاملين وطرق تأدية مهامهم وطريقة تعاملهم مع المواطنين والسرعة والدقة في إنجاز الأعمال الموكلة إليهم، والتسهيلات التي توفرها الجماعة للمواطنين لقضاء مصالحهم.

وتوجد نقائص عديدة على مستوى الجماعة تتعلق بالتجهيزات وشبكة الإنترنت من أجل تطبيق مشروع الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة، لأنها لا تتوفر على معدات وأجهزة حواسيب جديدة متوفرة على مستوى جميع المكاتب الإدارية. ومن المؤشرات الدالة على ضعف تطبيق الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة نجد:

- ضعف استخراج الوثائق الإدارية من خلال جهاز الحاسوب.
- وجود موقع إلكتروني للجماعة لا يتوفر على كافة المعلومات والوثائق الإدارية التي يحتاجها المواطن بكثرة.
- انعدام وجود مجلة شهرية وجريدة سنوية تحت مسمى نافذة المواطن تحتويان على جميع الأعمال والمداولات والدورات والمشاريع المنجزة التي تمت على مستوى الجماعة.
- ضعف التواصل مع المواطنين من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني.

3- عرض وتحليل البيانات المتعلقة بخصائص عينتي الدراسة لإظهار واقع الرقمنة بجماعة قلعة السراغنة:

3-1- دراسة خصائص عينة الموظفين بجماعة قلعة السراغنة:

المبيان رقم 1: خصائص عينة الموظفين وفق متغير العمر

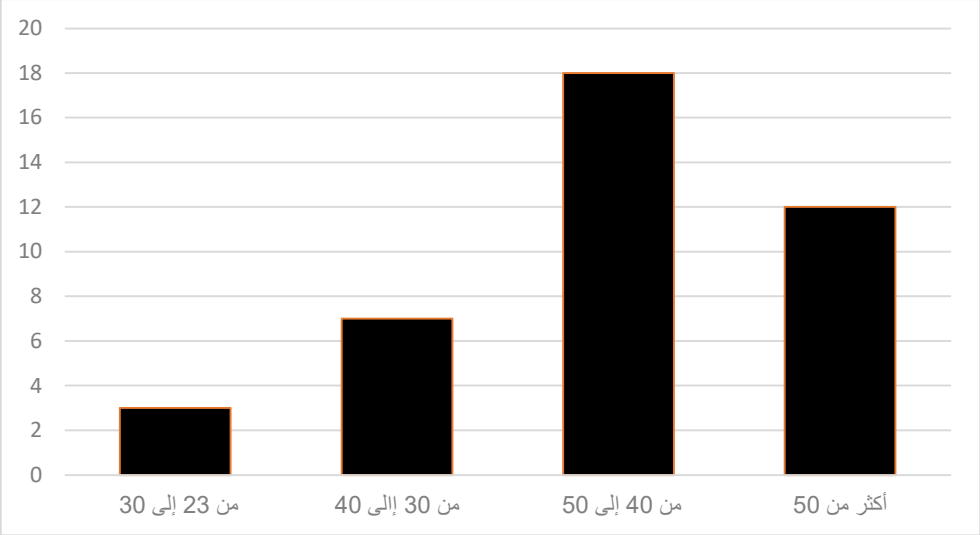

المصدر: بحث ميداني، 2023

يتبين أن الفئة العمرية الغالبة على عينة الدراسة هي فئة (من 40 إلى 50 سنة) الأمر الذي يعكس مدى استغلال إدارة الجماعة للفئة العمرية الخبيرة والتي تتميز بالرزانة والحكمة في طرق التعامل مع المواطنين وفي كيفية أدائهم أعمالهم، لكنها ليست بالشكل الكبير لذلك وجب على الجماعة الاعتماد على فئة الشباب الراشدين من أجل تشبيب الإدارة ولاكتسابهم خبرات كبيرة تكنولوجيا وبالتالي تجديد الأداء الإداري والوظيفي والاعتماد على الرقمنة للعاملين على مستوى جماعة قلعة السراغنة.

المبيان رقم 2: خصائص عينة الموظفين وفق متغير المستوى التعليمي

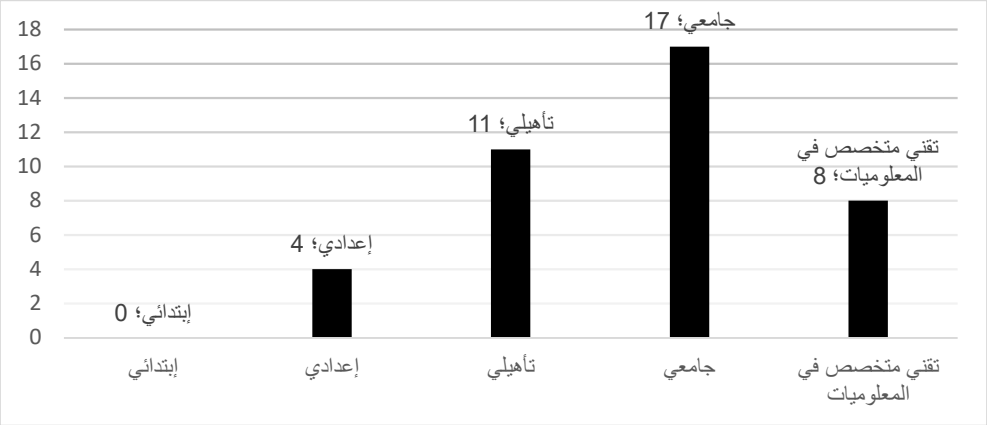

المصدر: بحث ميداني، 2023

نستنتج من المبيان بأن المستوى التعليمي الغالب على هذه العينة هو المستوى الجامعي وكذا الثانوي بصفته مستوى قريب من التعليم الجامعي، ذلك أن إدارة الجماعة تعتمد في توظيفها للموظفين على مؤهلاتهم العلمية فمنهم المتخرجون من الجامعة والذين هم بصدد الدخول إلى الجامعة، ومن أجل الرفع من أداء العاملين على مستوى الجماعة، ويليهم في الترتيب التقنيين المتخصصين في المعلوميات، يعني أن الجماعة تعتمد على تكنولوجيا الحاسوب الأمر الذي ألزمها الاعتماد على أصحاب شهادة التقني المتخصص في المعلوميات لأنهم يعتبرون العاملين المهرة في استخدام التكنولوجيا و تطوير الرقمنة داخل الجماعة.

المبيان رقم 3: درجة دافعية الموظفين للرقمنة بجماعة قلعة السراغنة

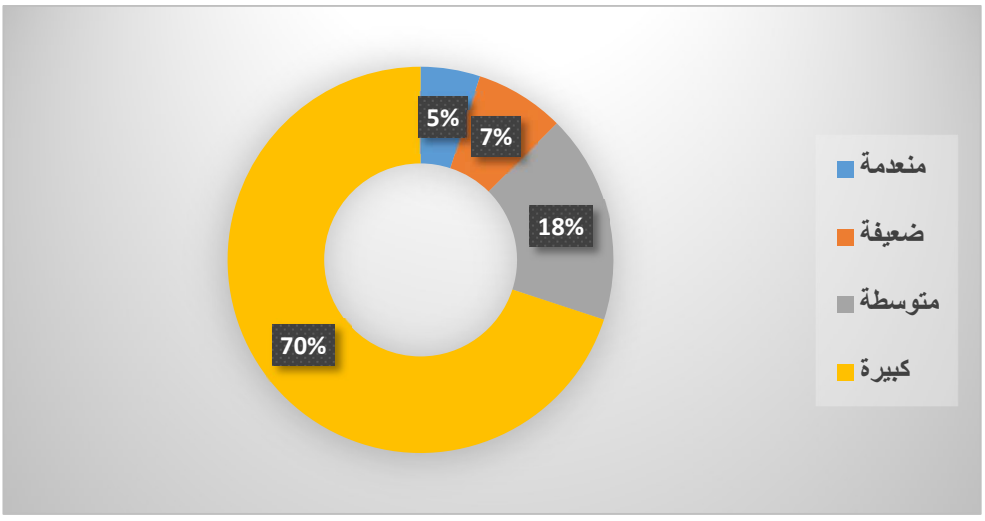

المصدر: بحث ميداني، 2023

يتضح من خلال المبيان والذي يمثل درجة دافعية الموظفين للرقمنة أن أغلبهم له دافع كبير لتطوير خبراته والرفع من جودته في العمل بالإدارة الرقمية، من خلال إبداء رغبتهم في تعلم وسائل التكنولوجيا الحديثة، وتغيير نمط عملهم الحالي؛ حيث أنهم يرغبون في تجديد عملهم بشكل يقضي على الروتين والملل الوظيفي.

المبيان رقم 4: درجة مساهمة الرقمنة في تطوير الوظائف الإدارية

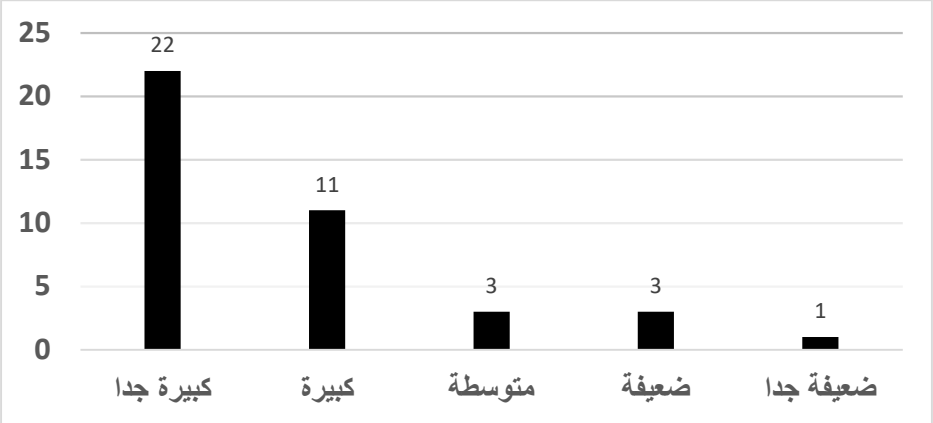

المصدر: بحث ميداني، 2023

بناءً على المعطيات المتحصل عليها من المبيان، يمكن القول ان الرقمنة ساهمت بشكل كبير في تطوير الوظائف الإدارية، وذلك من خلال تحليل معطيات عينة الموظفين؛ إذ تم التوصل الى هذه النتيجة عبر تأكيد الموظفين أن:

- الإدارة الرقمية ساهمت في تقليل وقت إنجاز الخدمات الإدارية، ذلك أنها تعتمد على البيانات الإلكترونية المعدة سلفا ومبرمجة لاستخدامها في أي وقت.

- تمكين الإدارة الرقمية المواطنين البعيدين عن الجماعة من الحصول على خدماتها؛ إذ أن الرقمنة لا تتقيد بحتمية القرب من الإدارة من أجل تلبية حاجات المواطنين، كما تساعد الإدارة الرقمية تقليل المساحة التخزينية للوثائق الورقية، ذلك أنها تحولها إلى وثائق إلكترونية مما يقلل استخدام الرفوف وشغل حيز مكاني.

- مساهمة الإدارة الرقمية في تنظيم الموارد البشرية والمادية بشكل متطور من خلال عدة برامج (مجالس، التدبير المندمج للنفقات، التدبير المندمج للموارد، أجور/ اندماج...).

المبيان رقم 5: درجة مساهمة الرقمنة في القضاء على البيروقراطية

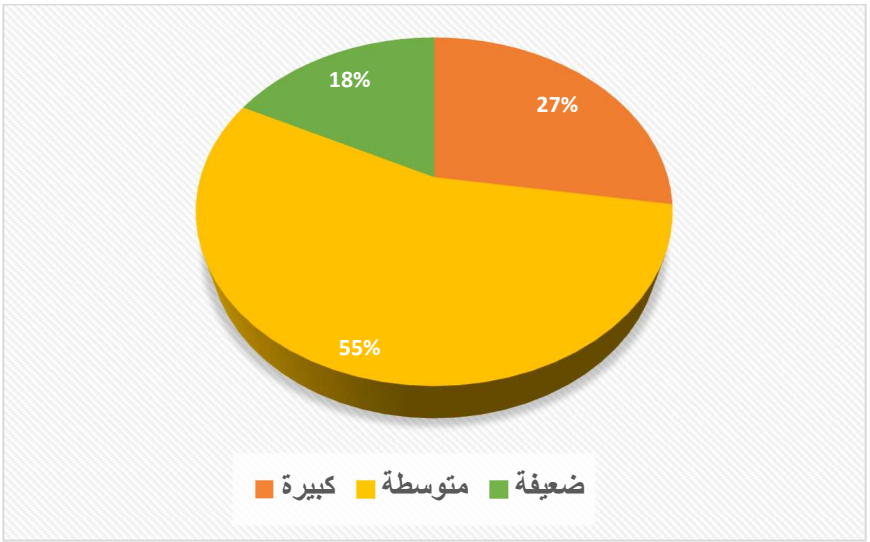

المصدر: بحث ميداني، 2023

من خلال معطيات المبيان يتبين أن درجة مساهمة الإدارة الرقمية في القضاء على البيروقراطية في جماعة قلعة السراغنة متوسطة، حيث أن الإدارة الرقمية تساهم بدرجة كبيرة جدا في تفعيل الشفافية والمصداقية في المعاملات الإدارية، والرقمنة تساعد نسبيا العاملين على تطبيق مبدأ الرقابة الذاتية على أعمالهم لأنهم يتعاملون مع أعمال إلكترونية وبالتالي يسهل عليهم حفظها وتعديلها.

2-3- دراسة خصائص عينة المواطنين المتوافدينعلى جماعة قلعة السراغنة:

المبيان رقم 6: درجة معرفة المواطنين بالرقمنة الإدارية

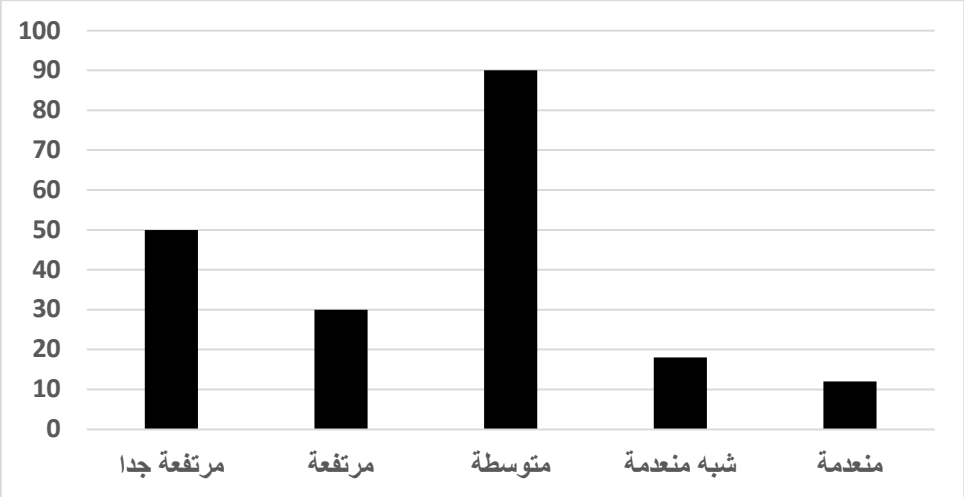

المصدر: بحث ميداني، 2023

بناءً على المعطيات المتحصل عليها من المبيان يتبين أن درجة وعي المواطنين بالإدارة الرقمية متوسطة، وقد تم التوصل إلى ذلك من خلال التأكيد على أن رقمنة الخدمات بالجماعة ستقلل من البيروقراطية المتفشية في جماعة قلعة السراغنة بدرجة كبيرة جدا ذلك أنها تتعامل مع البيانات الإلكترونية، وأن جماعة قلعة السراغنة تسير قدما نحو التطور وأنها بإمكانها تطبيق الإدارة الرقمية ولو بشكل متوسط، نظرا لما تتوفر عليه من إمكانيات ومؤهلات يمكن أن تساعدها في ذلك...

المبيان رقم 7: خصائص عينة المواطنين وفق متغير المستوى التعليمي

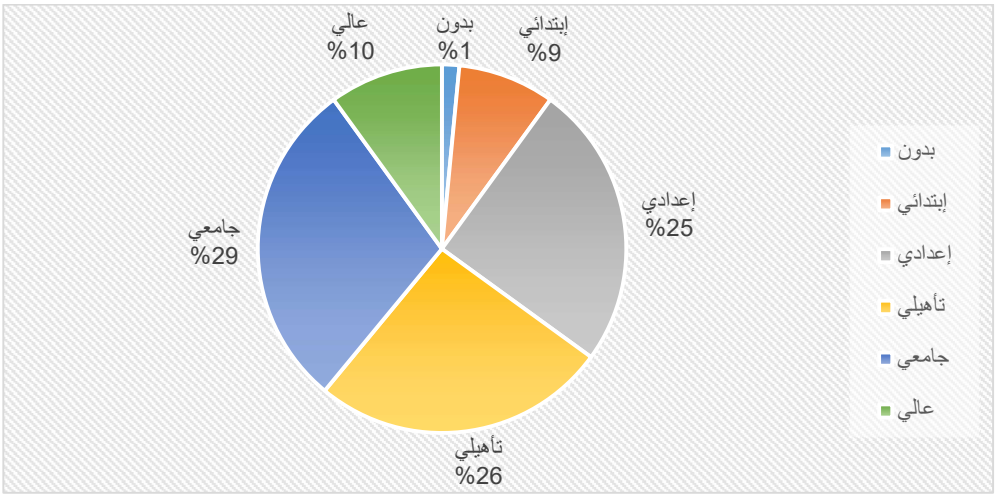

المصدر: بحث ميداني، 2023

يتبين لنا من خلال المبيان أن فئة المستوى التعليمي الجامعي هي الفئة الغالبة على عينة المواطنين بنسبة 29 % وهي الفئة التي تتميز بأنها ذات مستوى تعليمي جيد في المجتمع، ولهذا فهي غالبا ما تقصد الجماعة من أجل استخراج وإمضاء الوثائق من أجل أغراضها الخاصة، ولا تعتمد إلا قليلا على الوثائق الالكترونية لدرايتها بالتكنولوجيا الحديثة لكنها تفتقد الثقة في الموظفين بالجماعة وفي كل ما هو رقمي بها. تليها فئة المستوى التعليمي التأهيلي بنسبة 26 %، دون إهمال باقي المستويات التعليمية.

المبيان رقم 8:نسبة مساهمة الإدارة الرقمية في تحقيق رضا المواطنين عن خدماتها

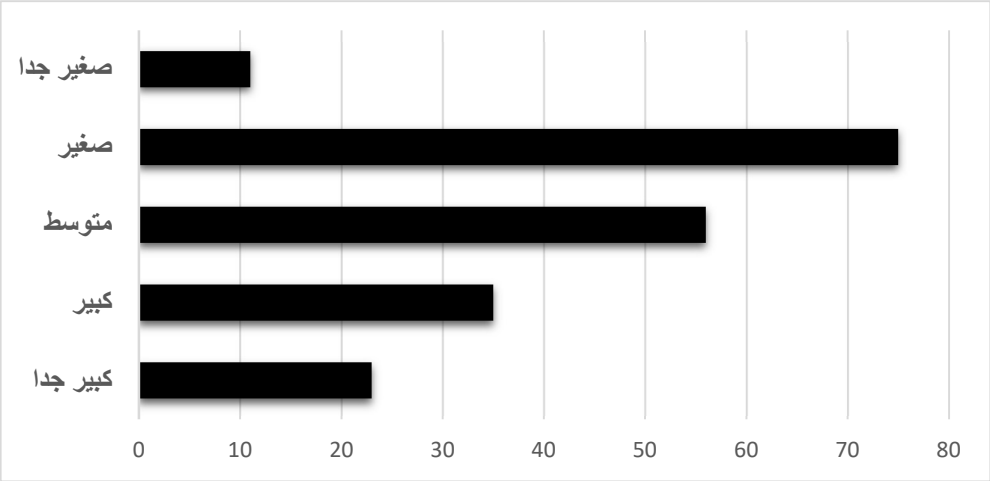

المصدر: بحث ميداني، 2023

نستنتج من خلال المبيان أن درجة مساهمة الإدارة الرقمية في تحقيق رضا المواطنين عن خدمات الإدارة في جماعة قلعة السراغنة صغيرة إلى متوسطة.

بعد دراسة التحديث الإداري بالمغرب من زاوية الإدارة الرقمية، و تطور مشروعها بالمغرب وبناءً على مسار هذا التطور، قمنا بتشخيص الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة و إبراز واقعها، لا على مستوى الإدارة ولا على مستوى الحكامة المحلية، و في تشخيص لواقع الرقمنة بجماعة قلعة السراغنة تطرقنا لمجموعة من المعطيات، المتمثلة في إبراز الخدمات الالكترونية التي تقدمها جماعة قلعة السراغنة و واقع الرقمنة بالجماعة، كما قمنا بعرض وتحليل البيانات المتعلقة بخصائص عينتي الدراسة (الموظفين و المواطنين) لإظهار واقع الرقمنة بجماعة قلعة السراغنة و مدى مساهمتها في التنمية الترابية.

وأبرزت النتائج التي خرجنا بها أن جل المنصات الرقمية بالجماعة مفعلة، وأن هناك عدة اختلالات ومشاكل تواجه المواطنين والموظفين بالاعتماد على الرقمنة، لكن توصلنا إلى أن الرقمنة لها عدة إيجابيات مهمة، مما يجعلنا نطرح السؤال التالي: هل الإدارة الرقمية تساهم في التنمية الترابية بجماعة قلعة السراغنة؟

III-الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة ورهان التنمية الترابية

إن ورش رقمنة الإدارة يعد مدخلا ضروريا لتحقيق التنمية المستدامة ومجابهة الإشكاليات التي تعاني منها الإدارة، وذلك بهدف السير بها قدما نحو بناء منظومة إدارية متطورة قادرة على الوفاء بالاحتياجات الآنية والمستقبلية للمرتفقين، وعلى تحقيق انتظاراتهم ومواجهة التحديات التي قد تواجههم والمساهمة في التنمية

الترابية، عبر عدة إصلاحات منها توطين وتوطيد الحكامة المالية بجماعة قلعة السراغنة، وكدا ارتباطه بموضوع البوابة الإلكترونية لتبسيط المساطر للمستثمرين، والبوابة الإلكترونية الخاصة بتلقي طلبات وشكايات ومعالجة قضايا المواطنات والمواطنين، والبوابة المغربية للصفقات العمومية.

التحول الرقمي ورهان ولوجية الفاعلين وإشراكهم لتحقيق التنمية الترابية بجماعة قلعة السراغنة:

- رهانات البوابة الإلكترونية لتبسيط المساطر للمستثمرين:

لقد برزت عدة دوافع عملية لتشجيع الاستثمار، اجتمعت فيها كل من المعطيات الدولية المحكومة باعتبارات العولمة الاقتصادية والضغوطات المتزايدة للمؤسسات المالية والنقدية الدولية، والمتطلبات الداخلية من جهة أخرى، مما أدى إلى تأكيد خيار سياسة التشجيع لجذب أكبر قدر ممكن من الاستثمارات الوطنية والأجنبية من أجل النهوض بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية[1].

وفي هذا الإطار عمل المغرب بصفة عامة وجماعة قلعة السراغنة بصفة خاصة، على غرار البلدان الصاعدة، على جعل الاستثمار رافعة أساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة، وهو ما تجسد في إصلاح المراكز الجهوية للاستثمار وبإحداث اللجان الجهوية الموحدة للاستثمار إلى جانب القانون الإطار رقم18.95 بمثابة ميثاق للاستثمارات[2].

ومن الثابت أن الاستثمار يلعب دورا حيويا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، الشيء الذي جعل الدولة ومنذ اتباعها لسياسة الخوصصة تعقد أمالا كبيرة على الدور الذي يمكن أن يلعبه من أجل النهوض بقضايا التنمية على المستوى الوطني والترابي، ولا شك أن تبسيط إجراءات المساطر الإدارية وتوفير المعلومات المتعلقة بها من شأنه أن يؤدي إلى تسريع وثيرة انطلاق المشاريع الاستثمارية وتطويرها وكذلك تسريع عجلة التنمية بقلعة السراغنة.

[1]_ محمد بومديان، **دور الرقمنة في جلب الاستثمار بالمغرب**، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد: 156، يناير - فبراير 2021. ص: 147.

[2]_ بومديان، نفس المرجع، ص 148

الصورة رقم1: البو ابة الخاصة بالصفقات العمومية:

المصدر: البحث الميداني

ففيما يخص تبسيط المساطر بالنسبة للمستثمرين فقد تم إحداث بوابة الخدمات العمومية (Service-Public.ma)؛ بناء على التوجيهات الملكية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس.

إن تشجيع الاستثمار أضحى أحد الهواجس الكبرى لجماعة قلعة السراغنة في العقود الأخيرة، بل أصبح يشكل أهم الأوراش التي يراهن عليها المجلس المنتخب لتأهيل اقتصاد المدينة وجعله أكثر جذبا لرؤوس الأموال الكبرى، بل ومن هذا المنطلق ركزت جميع البرامج الإنمائية على توفير المناخ الملائم لجذب الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة، الوطنية منها والمحلية ولما لا الأجنبية، وذلك عن طريق اتخاذ مجموعة من التدابير هدفها توفير البيئة الملائمة لجلب الاستثمارات[1].

ومن البرانم المساعدة على تشجيع الاستثمار نجد منصة رخص فقد تم الشروع في العمل بواسطتها بجماعة قلعة السراغنة في بداية سنة 2021؛ حيث تتكلف مصلحة المراقبة ضمن قسم التعمير والممتلكات، بتتبع الملفات الواردة من المرتفقين حسب طبيعة الرخصة (رخص التعمير، الرخص الاقتصادية)، والمصادقة عليها، إذ تم الاستغناء الكلي عن الإيداع المادي للوثائق ورقيا، كما يمكن تتبع الملفات عن بعد دون القدوم للإدارة عبر فتح حساب خاص بكل طالب للرخصة، كما ان التوقيع أصبح الكترونيا من الرئيس واللجن.

ترتبط المصلحة المكلفة بمنظومة رخص داخل الجماعة بعدة متدخلين، منها الوكالة الحضرية، وسلطات المراقبة الإدارية من خلال عمالة الإقليم، والمهندس المعماري وغيرها؛ حيث يبدأ طلب الحصول على رخصة البناء، من تقديم الطلب الكترونيا، مرورا بموافقة اللجنة المشتركة، وختاما بالتوقيع الإلكتروني على الرخصة.

- البوابة الإلكترونية الخاصة بتلقي طلبات وشكايات ومعالجة قضايا المواطنات والمواطنين:

[1]_ وزارة الاقتصاد والمالية واصلاح الادارة، مقتطفات من الخطب الملكية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، الموجهة لتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية والتأسيس لعلاقة جديدة بين الإدارة والمرتفقين. ورقة تأطيرية حول القانون 19.55 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية.

أطلقت الحكومة المغربية، ابتداء من 4 أكتوبر 2018 البوابة الإلكترونية الجماعاتية الخاصة بتلقي طلبات وشكايات ومعالجة قضايا المواطنات والمواطنين، وتم اعتمادها بجماعة قلعة السراغنة منذ 2020 لكنها لم تفعل بشكل كبير، وتهدف البوابة الوطنية الموحدة للشكايات إلى استقبال شكايات وتظلمات المواطنين وتأمين تتبعها، والإجابة على رسائلهم وتقديم حلول لمشاكلهم وكذا تلقي ملاحظاتهم واقتراحاتهم بهذا الصدد. وتعد البوابة الوطنية الموحدة للشكايات أداة لتعزيز قنوات التفاعل بين الإدارة والمواطن باعتبار رأيه أولوية ووسيلة لتقويم أداء الإدارة وتحسين جودة خدماتها[1].

من خلال تشخيص واقع الإدارة بجماعة قلعة السراغنة، وبعد استغلال جميع المعطيات التي تم تجميعها؛ فالإدارة الرقمية لازالت لم تصل الى الطموح المنشود منها بغية تحقيق التنمية الترابية بجماعة قلعة السراغنة، لمواجهتها عدة صعوبات وعراقيل جعلتها غير مساهمة في التنمية. فما هي العراقيل التي تواجه الإدارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة؟ وما هي سبل تجاوزها؟

IV- معيقات تطبيق الإدارة الرقمية، ورهانات تطويرها للمساهمة في التنمية الترابية بجماعة قلعة السراغنة

تلعب الإدارة الرقمية دورا مهما في مسار تحديث وتجويد الادارة بجماعة قلعة السراغنة، وذلك من خلال تطوير مختلف القطاعات الإدارية لتحقيق النجاعة والفعالية والجودة في الخدمات، إضافة الى ذلك، تعزيز الشفافية الادارية، ثم تجاوز سلبيات الانظمة الادارية التقليدية، غير أن هذه المردودية صاحبتها عدة إخفاقات كانت نتيجة معوقات حاولت الإدارة في كل مراحل تطبيق الرقمنة المحلية الأخذ بعوامل نجاحها وتذليل عوامل إخفاقها، وإيجاد الحلول المناسبة لها وجعلها مساهمة في التنمية الترابية.

1- معيقات تطبيق الرقمنة بجماعة قلعة السراغنة:

- الاكراهات البشرية:

إن تدبير الموارد البشرية يجب أن يشكل الصدارة في برامج التحديث الإداري إلى أنه يعتبر حاليا محط انتقادات ويشكل سببا لبعض العراقيل، ولكنه إذا تم تطويره يوفر في ذات الوقت فرصا حقيقية لتحسين أداء المرافق العمومية بما يتناسب مع حاجيات المواطنين وتطلعات الموظفين[2].

وعلى مستوى جماعة قلعة السراغنة فهي تعاني من عدة معيقات وإكراهات ترتبط بضعف موظفيها في القيام بأداء الأعمال المكلفون بها مما يساهم في تعثر تقديم الخدمات وكذا بطء عجلة التنمية، كما تشهد تواجدا لكثرة الموظفين مقابل قلة الكفاءة مما يخلق تضخما يؤثر سلبا على السير العادي للإدارة، كنا نذكر:

[1] _ البوابة الالكترونية الوطنية للشكايات، مرجع سابق.

[2] _ فضاء الموظف الجماعي، الإدارة النهاية المدير العمومي والتنمية العملية الكرامات امير الموارد البشرية في القطاع العام والقطاع الماسي، من تأطير الأستاذ: حسين بنسعيد.

-الأمية الالكترونية لدى العديد من الساكنة المحلية، وصعوبة التواصل عبر التقنيات الحديثة.

-غياب الدورات التكوينية وتحفيز موظفي الإدارة، والأجهزة التنظيمية في ظل التحول للإدارة الرقمية.

-الفقر وانخفاض الدخل الفردي، أدى الى صعوبة التواصل عبر شبكات الإدارة الرقمية.

-تزايد الفوارق الاجتماعية بين فئات المجتمع وانقسامه (فئات تمتلك أجهزة حاسوبية ومعدات أخرى تفتقدها)، أدى إلى ازدياد حدة التفرق، وأضعف مشاريع الإدارة الرقمية.

-إشكالات البطالة التي يمكن أن تنجم عن تطبيق الإدارة الرقمية، وحلول الآلة محل الإنسان، هذا الأخير الذي يرفض ويقاوم التحول الالكتروني خوفا عن امتيازاته ومنصبه.

- انتشار الأمية الرقمية من بين العقبات التي تواجهها الجماعة، وتساهم بشكل كبير في تأخير التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي، وتعتبر كذلك مشكلة من أكبر مشاكل الفجوة الرقمية.

وفي هذا السياق يلعب قطاع التعليم دورا حيويا في قيادة الجهود الرامية إلى تطوير المواطنة الرقمية للمجتمع، وضمان التمكن من استخدام التقنية بشكل مسؤول ومناسب، بما في ذلك الهوية عبر الإنترنت وآداب الاتصال والحقوق والمسؤوليات.

ومن أجل تطبيق أفضل للإدارة الرقمية يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الظروف المحلية للمجتمع وخصائصه، فما دامت الخدمات الإدارية موجهة للمواطن؛ فيجب أن يكون هذا الأخير هو محور اهتمامها. فإذا أرادت جماعة قلعة السراغنة تبني الإدارة الرقمية، فهي ملزمة بتأهيل مواطنيها للتعامل مع التقنيات الحديثة من خلال الحد من الأمية الرقمية، وإذا لم تقم بذلك فإن شريحة واسعة من مواطنيها ستحرم من الاستفادة من الخدمات الإدارية الرقمية، ويتعلق الأمر بالأشخاص الذين لا يجيدون استخدام التكنولوجيا الحديثة، أو لا يملكون الإمكانيات الكافية للتعامل بها.

ولا تنحصر الأمية الرقمية في انعدام المهارات الأساسية لاستخدام تقنيات الحاسوب والشبكات، بل تتعدى ذلك إلى غياب القدرة اللازمة لاكتشاف المعلومات عند الحاجة إليها، وتحديد مكانها وكيفية الوصول إليها، وتقييمها واستعمالها[1].

- الاكراهات المادية:

إن عدم توفر الموارد المالية اللازمة لتمويل مبادرة "الإدارة الرقمية" يعد مشكلا عويصا، لاسيما في حال تدني العائدات المالية للجماعة وعدم حسن عقلنة وترشيد ماليتها، وبطبيعة الحال ليس من السهل توفير جميع الاليات الضرورية وبناء بنية شبكية تحتية، وتوفير الانترنت وأجهزة الاتصال وتدريب التقنيين والموظفين على التعامل مع هذه الأجهزة؛ فكل ذلك يحتاج إلى اعتمادات مالية ضخمة محكمة باستراتيجيات وبرامج لعدة سنوات.

[1]_ acques Sauret , efficacité de L'Administration et Service à L'Administré: Les Enjeux de L'Administration Électronique , Revue Française d'administration publique , école nationale d'administrative, N° 110 , 2004 .

كما ان هناك عدة إكراهات مالية تتمظهر في:

- ارتفاع تكاليف تجهيز البنى التحتية للإدارة الرقمية، وهو ما يحد من تقدم مشاريع التحول الرقمي.

-قلة الموارد المالية لتقديم برامج تدريبية، والاستعانة بخبرات معلوماتية في ميدان تكنولوجيا المعلومات ذات كفاءة عالية.

-ضعف الموارد المالية المخصصة لمشاريع الإدارة الرقمية، ومشكل الصيانة التقنية لبرامج الإدارة الالكترونية.

- صعوبة الوصول المتكافئ لخدمات شبكة الانترنت، نتيجة ارتفاع تكاليف الاستخدام لدى الكثير من الأفراد.

- معوقات فنية تتعلق بتكنولوجيا المعلومات على مستويات عديدة.

- إكراهات متطلبات الجانب التقني الذي يدخل في علاقة جدلية بالعنصر البشري.

2- متطلبات تحقيق الرقمنة وجعلها مساهمة بالتنمية الترابية بجماعة قلعة السراغنة:

أن أفضل سيناريو للوصول إلى تطبيق سليم لاستراتيجية الادارة الرقمية بجماعة قلعة السراغنة مع استغلال أمثل للوقت والمال والجهد، هو بتقسيم خطة الوصول الى المرحلة النهائية للإدارة الرقمية الى مراحل، على أن يتم ذلك بعد القيام بتأهيل المجتمع من أجل تقبل الإدارة الرقمية والحد من الأمية الرقمية بتحديث إداري شامل وتام وتشجيع التعامل بالإدارة الرقمية عوض النظام الإداري التقليدي.

من خلال ما سبق، وما تم التوصل إليه، وفي إطار الرفع من درجة مساهمة الإدارة الرقمية في التنمية الترابية بجماعة قلعة السراغنة، اقترح مختلف الفاعلين (الساكنة المحلية، الموظفين، المنتخبون....) ما يلي:

- تأهيل المجتمع وتشجيعه، من أجل تقبل الادارة الرقمية: نشأت الإدارة التقليدية لخدمة جميع أفراد المجتمع بدون تمييز في السن أو الجنس أو لون أو دين، واستمدت شرعيتها من موافقة مختلف شرائح المجتمع على وجودها، ولكن الأمر يختلف تماما عند التحول إلى الإدارة الرقمية[1]. لأن هذا النظام المعلوماتي المتكامل لا يمكن تطويره أو تطبيقه إلا في وسط بيئة اجتماعية ملائمة، وحاضنة للمعرفة؛ فالتحول إلى الإدارة الرقمية بما يتطلبه من مبالغ مالية طائلة ومن بناء بنوك للمعلومات وبنية تحتية متطورة للشبكات، إضافة إلى تأهيل العاملين، يكون غير ذي قيمة إذا لم يتحول المجتمع إلى مجتمع معلومات، وربما تكون وسيلة إعاقة إن لم يخطط لبنائها بشكل عام[2].

[1]_ بدران عباس، الحكومة الالكترونية الاستراتيجية الى التطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، السنة: 2004.

[2]_ Mohamed abdelmouhsine hanine, la procédure de passation des marche public Maroc, étude analytique et réflexions la lumière du code français des marches public, mémoire de recherche pour l'obtention du diplôme du master en administration publique, école nationale d'administration, session 2007/2008.

وتعد الإدارة الرقمية الفاعلة هي المرحلة الأخيرة وفق ما يرى أصحاب هذا الاتجاه، والتي يتم من خلالها التخلي عن الشكل التقليدي للإدارة[1]، بعد أن يصبح عدد المستخدمين للشبكة الالكترونية يفوق نصف المواطنين، يجب آنذاك أن يصاحب ذلك توفر الاجهزة التقنية المتمثلة في الحواسيب واللوحات الذكية وغيرها، سواء بشكل شخصي، أو عن طريق الأكشاك أو في المناطق العمومية؛ بحيث تكون تكلفتها أيضا معقولة ويسيرة لجميع المواطنين، مما يتيح ويمكن كل الأفراد من استعمال الشبكة الالكترونية لإنجاز أي خدمة عمومية إدارية، بالشكل المطلوب وبأسرع وقت، وبأقل جهد، وبأقل تكلفة ممكنة، وبفعالية أكثر.

وهذا ما يتطلب تأهيل المجتمع من أجل تقبل الإدارة الرقمية، عن طريق الحد من الأمية الرقمية التي يعاني منها جل سكان قلعة السراغنة، وتشجيع التعامل بها.

- الحد من الأمية الرقمية: إن التغلب على مشكل الأمية الرقمية يتطلب اتخاذ مجموعة من التدابير الاستباقية، وتنزيل للخطة استراتيجية محكمة، وتتمثل أساسا في:

➢ <u>دعم البنيات التحتية للاتصالات:</u>

وذلك من خلال تغطية مجموع التراب الإقليمي بالصبيب العالي عبر الأقمار الاصطناعية، والعمل على وصول تلك التغطية للأحياء والمناطق المنعزلة، التي ظلت على الدوام تعاني من التهميش ونقص الإمكانيات، وحل مشكل الولوج إلى الخدمات الأساسية للأنترنيت وخاصة ولوج أصناف الساكنة الأكثر حرمانا، من خلال مضاعفة نقط الولوج إلى الأنترنيت، عبر اتخاذ إجراءات مالية وضريبة محفزة، من أجل تقليص كلفة التجهيز بالمعدات التكنولوجية، سواء بالنسبة للمواطن العادي أو المقاولات.

إحداث أماكن ولوج متنقلة للأنترنيت، وفضاءات عمومية رقمية بالجماعة، وبالجماعات القروية المجاورة لتدارك النقص الذي تعانيه هذه الساكنة على مستوى التجهيزات الالكترونية، وتدهور البنية التحتية الالكترونية، بالإضافة إلى تقوية الشبكة. وسواء كانت نقط الولوج إلى الانترنيت عامة أو خاصة، فإنها تضطلع بدور موردي الخدمات البعدية، وتشكل أداة للتحسيس والتدريب على استعمال تقنيات الإعلام والاتصال الحديثة.

➢ <u>تشجيع التعامل بالإدارة الرقمية:</u>

إن ضرورة اعتماد التحول الالكتروني، وهو ما توج بوضع كم هائل من المعلومات على شبكة الانترنت، والتشجيع للتحول نحو الإدارة الرقمية، وتفضيل أداء مكونات القطاع العام المتمثلة في المؤسسات العمومية والجماعات الترابية وشركات الدولة، وتمكين المواطنين من الحصول على المعلومات والخدمات المميزة. ومن أجل تطبيق أفضل للإدارة الالكترونية، وجب تشجيع المواطن على التعامل بالإدارة الرقمية، عبر خفض كلفة

[1]_ دور الإدارة الإلكترونية في ترشـــيد الخدمة العمومية في الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر، جامعة منتوري قســـنطينة: كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية. مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية: تخصص الديمقراطية والرشادة.، ص 20

الوصول إلى الخدمات الإدارية الإلكترونية وتوعية المواطنين بأهمية الوسائل التكنولوجية والمزايا التي يوفرها التعامل الرقمي من حيث تقليل الوقت والجهد والتكلفة.

- خفض كلفة الوصول إلى الخدمات:

لكل شيء ثمن، والحصول على مزيد من الرفاهية والراحة له ثمن أيضا، وهذا المبدأ ينطبق على خدمات الإدارة الرقمية؛ فاستغلال التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال يحتاج لتكامل المعرفة والوفرة المادية ولو نسبيا، لكون هذه التقنيات تشهد ترابطا وثيقا بين المضمون والقالب ووسائل الاتصال. فمن لا يملك الوسائل الرقمية الكافية، يجد نفسه مقصيا من المضمار الذي ترسم خطوطه وحدوده هذه التقنيات، وواقع الإقصاء من هذا المضمار يظهر بجلاء من خلال مقارنة حجم ونسب استعمال الانترنيت في المغرب مقارنة مع النسب العالمية والتي تظهر تدني مستوى استعمال هذه التقنيات عندنا.

وبالمغرب نلاحظ أنه مع بداية تحرير قطاع الاتصالات، وبروز فاعلين جدد في هذا الميدان مثل: "ORANGE - INWI"، بالإضافة إلى (MAROC TELECOM) التي سيطرت ولأمد بعيد على سوق الانترنيت عالي التردد بدون منازع بحصة 98.8 من السوق باعتبارها الشركة الأولى للاتصالات بالمغرب، لكن وبالنظر إلى حدة المنافسة بين متعهدي الاتصالات الثلاثة.

- التوعية بأهمية الإدارة الرقمية:

من خلال الوعي المجتمعي ونمو مجتمع المعلومات، إذ يؤدي الوعي المجتمعي وبروز مظاهر مجتمع المعلومات دورا هاما وأساسيا، في دفع برامج التحول والاستعداد الالكتروني داخل الدولة، وبذلك فان ضبط مستوى التقدم في الوعي الاجتماعي، وتطور مجتمع المعلومات في قلعة السراغنة، يتوقف على ضرورة التطرق الى مؤشرات تبرز المستوى الحقيقي لهذا الجانب المهم في مراحل الانطلاق لتجسيد الحكم الالكتروني.

- استكمال البناء التشريعي والقانوني:

إن المواطن أثناء تفضيله للتعاملات الرقمية على حساب التعاملات التقليدية هو بحاجة إلى وجود بيئة تشريعية ضامنة لما يقوم به من تعاملات، وبالتالي تكمن أهمية القواعد القانونية في مشاريع الحكومة الالكترونية انطلاقا من كونها تخلق ثقة، وأمان لدى الأفراد والمتعاملين، ضمن دائرة الخدمات الرقمية.

- المتطلبات التقنية:

يشكل هذا المحور حجر الأساس لموضوع الإدارة الرقمية؛ حيث يمثل الأجهزة والتقنيات اللازمة لإنجاح المشروع ويتم من خلالها تمثيل المعلومات ونقلها الكترونيا مع ضمان سريتها ودقتها، وتنفيذ المعاملات والخدمات عن بعد باستخدام الشبكات الالكترونية صحتها ومصداقيتها، إن توفير البنية التحتية من تكنولوجيا معلومات واتصالات وتوفير الأجهزة والمعدات والبرامج وأساليب ومصادر المعرفة الملائمة وإتاحتها للاستخدام على أوسع نطاق ممكن من متطلبات نجاح تطبيق الإدارة الرقمية.

خاتمة:

تمثل الإدارة الرقمية مرحلة حاسمة في الانتقال نحو الخدمات العامة الإلكترونية، والتحول من الاتصال المباشر للمواطنين مع مؤسسات الخدمة العامة، إلى التواصل الافتراضي عبر الشبكات الإلكترونية المختلفة، بذلك مثلت الإدارة الرقمية مطلبا هاما تفرضه التحولات الالكترونية، وتنتهجه برامج الإصلاح الإداري، كمرحلة ضرورية في ظل العصر الرقمي، والانفتاح على المجتمعات العالمية والتفاعل الإنساني.

إذن فالإدارة الرقمية تسعى لتسهيل تقديم الخدمات العامة أيا كان نوعها وفق ما توفره تكنولوجيا المعلومات والاتصال، من خلال شبكة الأنترنيت والهواتف وغيرها من الوسائل، بما يضمن عدم إرهاق المواطن من جهة، وضمان الجودة والفعالية في الخدمات من جهة أخرى.

وعموما يمكن القول، بأنه بات من الضروري تطوير الإدارة الرقمية كأداة لترقية مهام مؤسسات الخدمة العمومية، ومن ثمة المساهمة وبطريقة واضحة في تجسيد إصلاحات الخدمات المقدمة للمواطنين للوصول للهدف الأسمى وهو التنمية الترابية، إلا أن التحول والانتقال من الإدارة الورقية إلى الإدارة الرقمية ينجر عليه مشاكل وفي مقدمتها مخاطر الأمن الإلكتروني كما يعترض الخدمة الإلكترونية مشكل الأمية الإلكترونية التي تكاد تمس جل فئات المجتمع الأمر الذي يهدد واقع الجاهزية الرقمية.

ختاما يمكن الخروج بخلاصة مركزية مفادها، أن رهان جماعة قلعة السراغنة للتحديث الإداري والتنمية الترابية عن طريق الإدارة الرقمية يمر أساسا بالاهتمام بالثقافة الرقمية للمجتمع، وتغير العقلية الإدارية.

لائحة المصادروالمراجع

❖ التقاريروالقوانين الدولية والوطنية والخطب الملكية:

- ظهير شريف رقم 1.97.162 صادر في 2 ربيع الثاني 1418 (7 أغسطس 1997) بتنفيذ القانون رقم 24.96 المتعلق بالبريد والمواصلات، بالجريدة الرسمية، عدد 4518 بتاريخ 1997/09/18.

-ظهير شريف رقم 1.04.154 صادر في 21 رمضان 1425 (4 نوفمبر 2004) بتنفيذ القانون رقم 55.01 القاضي بتغيير وتتميم القانون رقم 24.96 المتعلق بالبريد والمواصلات، الجريدة الرسمية، عدد 5263 بتاريخ 2004/11/08.

-وزارة الاقتصاد والمالية واصلاح الادارة، مقتطفات من الخطب الملكية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، الموجهة لتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية والتأسيس لعلاقة جديدة بين الإدارة والمرتفقين. ورقة تأطيرية حول --القانون 19.55 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية.

- مقتطف من خطاب الملك محمد السادس، بمناسبة افتتاح المجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط 4 ماي 2000.

-الفقرة الخاصة باستراتيجية المغرب الرقمي 2020.

-الخطة الوطنية لإصلاح الإدارة 2018-2021.

❖ المراجع باللغة العربية:

-المناظرة الوطنية حول الإصلاح الإداري، الحضارة المغربية وتحديات 2010، مطبعة اليت سلا، السنة: 2002.

-ناجي كمال، استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالإدارة المغربية – واقع وآفاق -، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، الرباط، السنة الجامعية: 2003/2002.

-خالد مسكور، تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتحديث الإدارة العمومية: الحكومة الالكترونية.

-نعيمة كثيري، تطليق الإدارة المغربية، رسالة لنيل الدبلوم الدراسات العليا المسنة، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية، السنة الجامعية: 2000/2001.

-هشام البخفاوي، الحكومة الإلكترونية في المغرب، مجلة قانون وأعمال، العدد الرابع.

-فاطمة الفارسي، عرض لحصيلة استراتيجية e-Maroc 2010، الاجتماع الثالث لمجموعة العمل المغربية الإماراتية، دبي، 12/13 مارس 2017.

-المملكة المغربية، وزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيا الحديثة، الاستراتيجية الوطنية لمجتمع المعلومات والاقتصاد الرقمي (المغرب الرقمي 2013).

-محمد بومديان، دور الرقمنة في جلب الاستثمار بالمغرب، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد: 156، السنة: يناير - فبراير 2021.

-بدران عباس، الحكومة الالكترونية الاستراتيجية الى التطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، السنة: 2004.

-دور الإدارة الإلكترونية في ترشيد الخدمة العمومية في الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر، جامعة منتوري قسنطينة: كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية. مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية: تخصص الديمقراطية والرشادة.

❖ المراجع باللغة الفرنسية:

-Riadh Bouriche, Le rôle des TIC dans la bonne gouvernance, participation avec cette communication au séminaire national intitulé, Informations et société de la connaissance, La faculté des sciences sociales et humaines, Université Mentouri Constantine- Algérie, organisé les 18/19 avril 2009 .

-Acques Sauret, efficacité de L'Administration et Service à L'Administré : Les Enjeux de L'Administration Electronique, Revue Française d'administration publique, école nationale d'administrative, N° 110, 2004 .

-Mohamed abdelmouhsine hanine, la procédure de passation des marche public Maroc, étude analytique et réflexions la lumière du code français des marches public, mémoire de recherche pour l'obtention du diplôme du master en administration publique, école nationale d'administration, session 2007/2008.

❖ مو اقع الكترونية:

-إدارة الجمارك والضرائب الغير المباشرة www.douane.gov.ma

-البوابة الالكترونية الوطنية للشكايات، حول البوابة، الموقع الالكتروني www.chikaya.ma

الذكاء الاصطناعي والبناء الافتراضي للمعالم التاريخية: منطقة السراغنة زمران نموذجا.

الجيلالي لكتاتي،
باحث متخصص في علم الحاسوب،
تكنولوجيا الويب والذكاء الاصطناعي والروبوتيك.

ملخص:

مما لا شك فيه أن المعالم التاريخية تعتبر من أسس هوية وتاريخ المدن، لكن بمرور الزمن تتعرض هذه المعالم للاختفاء الجزئي في بعض الحالات أو الاختفاء الكلي في حالات أخرى، مما يصعب على الأجيال التعرف عليها أو حتى أخذ فكرة أكثر وضوحا عنها، ومن جهة أخرى فإن قلة المنصات رقمية تعتمد على تقنيات الواقع الافتراضي أو الواقع المعزز يجعل الكثير من الناس يجهلون معلومات أكثر واقعية عنها.

مع ظهور الثورة الصناعية الرابعة التي أفرزت مجموعة من التقنيات الجديدة، أصبح من الممكن البناء الافتراضي لهذه المعالم مستفيدين من الإمكانيات التي يتيحها الذكاء الاصطناعي وبالخصوص أحد أقوى فروعه المتمثل في التعلم العميق المبني على الشبكات العصبية الاصطناعية. ومن خلال هذا المقال سنعمل على تسليط الضوء حول البناء الافتراضي للمعالم التاريخية باستعمال تقنيات الذكاء الاصطناعي لخلق واقع افتراضي أو واقع معزز لهذه المعالم التي اختفت جزئيا أو كليا لتكون متاحة للنشر على المنصات الرقمية لتستفيد منها الأجيال الحالية والقادمة.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، التعلم الآلي، التراث، الواقع الافتراضي، الواقع المعزز، الرؤيا الحاسوبية.

Résumé :

Il ne fait aucun doute que les monuments historiques sont considérés comme l'un des fondements de l'identité et de l'histoire des villes, mais au fil du temps, ces points de repère sont soumis à une disparition partielle dans certains cas ou à une disparition totale dans d'autres, ce qui rend difficile pour les générations de les identifier ou même d'en avoir une idée plus claire, et d'autre part, le manque de

plateformes numériques qui s'appuient sur les technologies de réalité virtuelle ou de réalité augmentée rend de nombreuses personnes ignorantes d'informations plus réalistes à leur sujet.

Avec l'avènement de la quatrième révolution industrielle, qui a produit un ensemble de nouvelles technologies, il est devenu possible de construire virtuellement ces monuments, en profitant des possibilités offertes par l'intelligence artificielle, en particulier l'une de ses branches les plus puissantes, l'apprentissage profond basé sur des réseaux de neurones artificiels. À travers cet article, nous allons mettre en lumière la construction virtuelle des monuments historiques en utilisant des techniques d'intelligence artificielle pour créer de la réalité virtuelle ou de la réalité augmentée pour ces monuments qui ont partiellement ou totalement disparu pour être disponibles à la publication sur les plateformes numériques au bénéfice des générations actuelles et futures.

تقديم:

تعتبر المعالم التاريخية من الركائز المتينة في بناء الهوية التراثية للحضارات أو الدول، هذه المعالم يبقى جزء منها أو كلها معرضا للاندثار بفعل مؤثرات مختلفة، مما يصعب إمكانية الحفاظ عليها في المستقبل أو حتى التنبؤ بشكلها في حالة اختفائها كليا، اليوم وفي ظل الثورة الصناعية الرابعة وتطور علم الحاسوب بشكل ملحوظ ومعه مجموعة من التقنيات الحديثة للمعلومات والاتصال والتي يعتبر الذكاء الاصطناعي عمودها الفقري، أصبح بالإمكان إعادة البناء الافتراضي للمعالم مستفيدين من الإمكانيات التي يتيحها الذكاء الاصطناعي في مجال تقنيات الواقع الافتراضي والواقع المعزز وتقنيات التعرف على الأشياء وتحليل الصور ومقاطع الفيديو، والرؤيا الحاسوبية واستعمال التعلم العميق المبني على الشبكات العصبية الاصطناعية.

هذه التقنيات وغيرها سوف نسلط عليها الضوء في هذا المقال وسوف نشرح بشكل مفصل دورها في البناء الافتراضي للمعالم التاريخية لخلق واقع افتراضي أو واقع معزز لهذه المعالم التي اختفت جزئيا أو كليا وحفظها للأجيال المستقبلية وتمكين الباحثين في المجال منها حفاظا على التراث.

الإشكالية:

تعرضت العديد من المعالم التاريخية بمنطقة السراغنة زمران للاندثار أو الاختفاء الجزئي في بعض الحالات أو الاختفاء الكلي في حالات أخرى، مما يصعب على الأجيال التعرف عليها أو حتى أخذ فكرة أكثر وضوحا عنها، مع ظهور الذكاء الاصطناعي أصبح بالإمكان عبر مجموعة من التقنيات إعادة بناء هذه المعالم التاريخية افتراضيا. إذن كيف يساهم الذكاء الاصطناعي في البناء الافتراضي للمعالم التاريخية: منطقة السراغنة زمران نموذجا؟

1. نبذة حول المعالم التاريخية بمنطقة السراغنة زمران.

تزخر منطقة السراغنة زمران بالعديد من المعالم التاريخية، منها من اختفى كليا ومنها من بقي منه بعض الأجزاء وهناك معالم حافظت على بقائها ليومنا هذا، مثل القلعة التي يشير البعض على أنها من تأسيس السلطان العلوي المولى اسماعيل في نهاية القرن 17 م و بداية القرن 18 م في إطار سياسته القائمة على بناء مجموعة من القلاع و القصبات لمراقبة القبائل الجبلية و متابعة تحركاتها بهدف منعها من النزول الى السهول، و عليه فان بناء القلعة يندرج في هدا الاطار و يرتبط بهده الفترة التاريخية و في هدا الصدد يقول J.PEGHRIER: يرجع تاريخ القلعة الى عهد المولى اسماعيل 1672-1727 و يدعم رايه بما تبقى من صور القلعة الراشية التي يعتبرها النواة الاولى للمدينة . أما الرأي الثاني فيرجع تأسيس القلعة الى زمن أقدم من ذلك وبالضبط الى العهد المرابطي، وفي هذا الصدد يقول الاستاد شوقي الحسن ان القلعة بناء مرابطي قديم لأغراض أمنية أساسا وعسكرية أضيفت اليها بنايات اخرى أيضا عسكرية وكذا ترميمات خاصة في العهد الاسماعيلي والى القرن التاسع عشر[1]. من بين أهم المعالم التاريخية بالإقليم، منتزه مولاي الحسن الأول بالجماعة الترابية سيدي رحال بإقليم السراغنة، هو معلمة تاريخية بناها السلطان العلوي المولى الحسن الأول في القرن الـ 19م [2].

كما تعد دار القائد علال الشرقاوي بجماعة أولاد الشرقي، واحدة من بين هذه المآثر؛ حيث يعتبر القائد من أقوى قياد السراغنة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، الذي عينه بظهير سلطاني سنة 1860 على بني عامر واولاد سيدي وبمحمد صالح، واولاد سيدي منصور، واولاد سيدي إدريس، ولجراحة، واولاد سيدي محمد القومي، واولاد وكاد، واولاد سالم [3].

كما تزخر مدينة قلعة السراغنة بمجموعة من المعالم الشاهدة على تاريخها ليومنا هذا كباب الناعورة، الباب المحروق، وسور القلعة الراشية...إلخ.

2. نظرة عامة حول الذكاء الاصطناعي

من المعلوم أن البشرية مرت بأربع ثورات صناعية كبرى لكل منها معالمها، من ظهور المحرك البخاري في الثورة الصناعية الأولى ثم الكهرباء في الثورة الصناعية الثانية ثم علم الحاسوب والتقنيات الجديدة للمعلومات والاتصال في الثورة الصناعية الرابعة لتأتي الدورة الصناعية الرابعة بترسانة من التقنيات كأنترنيت الأشياء والبيانات الضخمة والطباعة الثلاثية الأبعاد وتقنيات الواقع الافتراضي والمعزز والحوسبة السحابية والروبوتات وغيرها كثير، ويأتي في مقدمة أهداف الثورة الصناعية الرابعة خلق تكامل بين الانسان والآلة والربط البيولوجي للإنسان بالآلة وربط التواصل بين الآلة والآلة بعد أن كان هدف الثورات الصناعية السابقة الاستعانة بالآلة لتسهيل عملية الإنتاج والزيادة في الإنتاجية.

1 _ شدرات من التاريخ – الموقع الرسمي للجماعة الحضرية قلعة السراغنة.

2 _ إبراهيم مغراوي، منتزه "الحسن الأول": فضاء تاريخي بالسراغنة، جريدة هسبريس.

3 _ موقع قلعة السراغنة نحو بناء هوية ثقافية، sraghna.ma.

أمام كل هذا الزخم التكنولوجي للثورة الصناعية الرابعة يبقى الذكاء الاصطناعي بجميع فروعه وتطبيقاته من أهم مظاهر هذه الثورة الصناعية لتغوله في جميع هذه التقنيات التي أضاف إليها ميزات جعلتها تحاكي في عملها الذكاء البشري. إذن ما هو الذكاء الاصطناعي وما أهم فروعه وتطبيقاته؟

توجد مجموعة من التعاريف المتنوعة والمختلفة لمفهوم الذكاء الاصطناعي نسرد منها:

- الذكاء الاصطناعي فرع من علم الحاسب يبحث في فهم وتطبيق تكنولوجيا تعتمد على محاكاة الحاسب لصفات ذكاء الانسان[1].
- الذكاء الاصطناعي تطور علمي أصبح من الممكن بموجبه جعل الالة تقوم بأعمال تقع ضمن نطاق الذكاء البشري كآلات التعليم والمنطق والتصحيح الذاتي والبرمجة الذاتية[2].

بمعنى آخر أن خوارزميات الحاسوب لم تعد تلك الخوارزميات الكلاسيكية التي تعطيها جميع الأوامر لحل بعض المشكلات أو القيام بعمليات وخدمات معينة، بل أضحت مثل المخ البشري تحتوي على خلايا عصبية اصطناعية تتعلم وتفكر وتقرر وتتنبأ دون تدخل مباشر من الانسان استنادا إلى البيانات التي تجمعها، وهو ما جعل الذكاء الاصطناعي يتقاطع مع مجال آخر وهو البيانات الضخمة وعلم البيانات بالإضافة إلى التعلم الآلي والتعلم العميق.

الشكل 1: يوضح تقاطع الذكاء الاصطناعي مع علم البيانات.

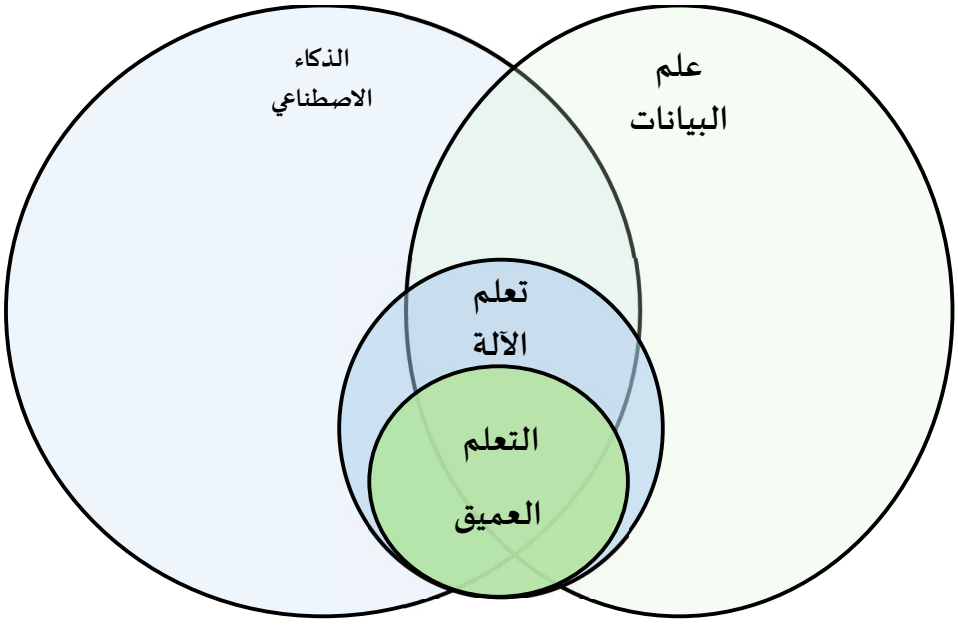

المصدر: عمل شخصي.

1 _ زين عبد الهادي، **كتاب الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة في المكتبات**، الناشر: المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ص 20.

2 _ زين عبد الهادي، **مرجع سابق**، ص 20.

الشكل2: يوضح تقاطع الذكاء الاصطناعي مع علم الحاسوب وباقي الفروع.

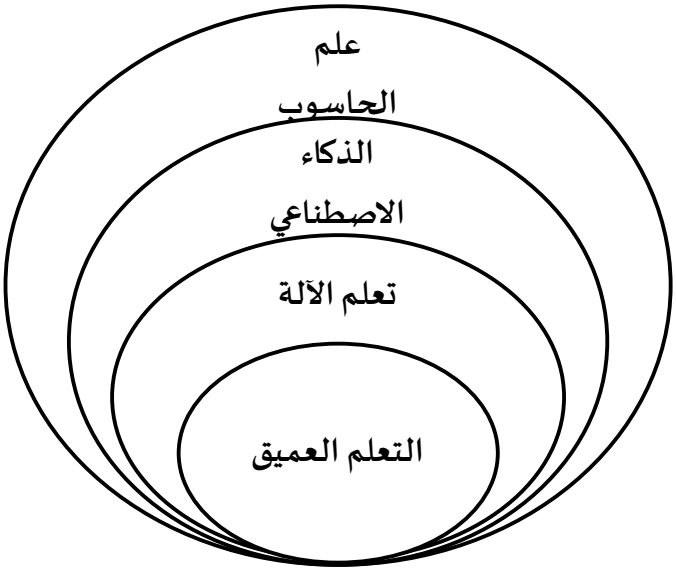

المصدر: عمل شخصي.

ويعتبر تعلم الآلة (بالإنجليزية: Machine Learning) أحد فروع الذكاء الاصطناعي التي تنتج برامج تعطي للحواسيب إمكانية «التعلم». بناء على البيانات الضخمة، وينقسم إلى نوعين تعلم بإشراف وتعلم بدون إشراف، يعني الآلة تتعلم تحث إشراف البشر الذي يزودها بجميع الأوامر والبيانات كي تتعلم وتتدرب وتتنبأ بالنتائج:

الشكل3: مثال حول التعلم الآلي بإشراف

المصدر: عمل شخصي.

أما التعلم بدون إشـــراف فإن الآلة هي من تلقاء نفســـها تتعرف على البيانات وميزتها وتعطي نتائج متناسقة:

الشكل 4: مثال حول التعلم الآلي بدون إشراف

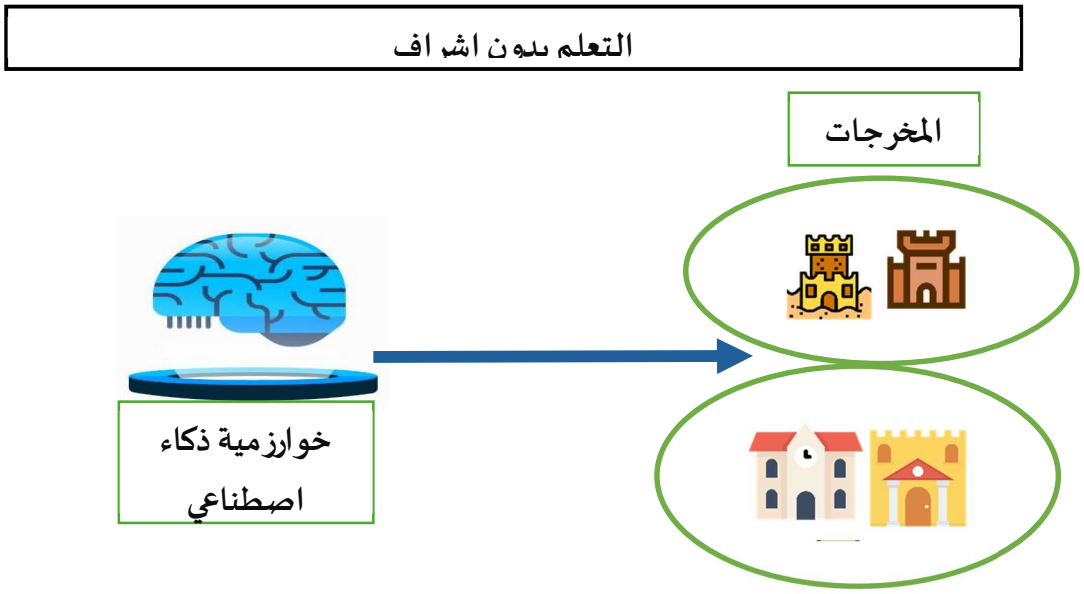

المصدر: عمل شخصي.

وهناك فرع آخر من فروع الذكاء الاصطناعي والأكثر تقدما وتطورا وهو التعلم العميق الذي يستخدم ما يسمى بالشبكات العصبية الاصطناعية كآلية لعمله، الشبكات العصبية الاصطناعية هي عبارة عن مجموعة من الخلايا أو العصبونات الاصطناعية أو الافتراضية التي تحاكي عمل العصبون البيولوجي لدى الانسان وتتوزع على شكل طبقات متصلة فيما بينها وكل اتصال بين خليتين له وزن معين، وكل خلية لها مجموعة من المدخلات أي تستقبل مجموعة من البيانات ولديها خرج واحد يرسل المخرجات إلى خلية أخرى وهكذا.

الشكل 5: شكل عصبون بيولوجي

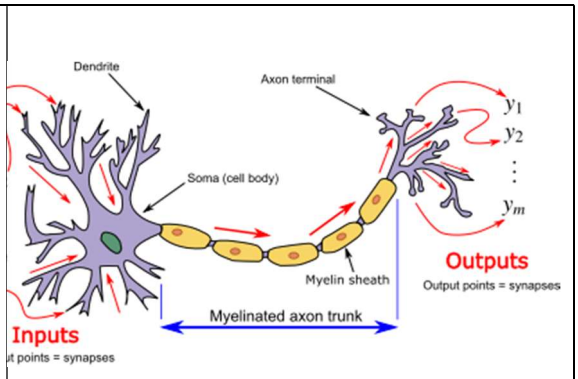

المصدر : ويكيميديا

الشكل 6: شكل العصبونات الاصطناعية

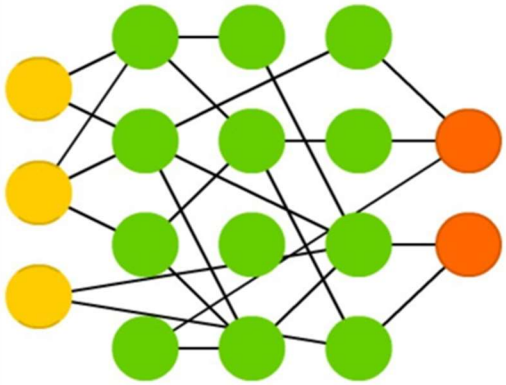

المصدر : ويكيميديا

عندما نتحدث عن محاكاة العصبون الاصطناعي للعصبون البيولوجي لإنسان فهذا لا يعني العصبونات الاصطناعية تعمل كليا وتشبه كليا العصبونات البيولوجية، هناك فرق كبير بينهما.

ترتبط العصبونات الاصطناعية فيما بينها مكونة طبقات تسمى الشبكات العصبية الاصطناعية، هذه الشبكة تمرر خلالها البيانات ثم تتم مجموعة من العمليات الرياضية والدوال والاحتمالات وغيرها من الأمور الرياضية، حتى تصل إلى طبقة عصبونات المخرجات لتتنبأ بالنتيجة، وفيما يلي مثال لشبكة عصبية اصطناعية للتنبؤ بصنف معلم من المعالم التاريخية:

الشكل 7: محاكاة لشبكة عصبية اصطناعية للتعرف على الصور التاريخية.

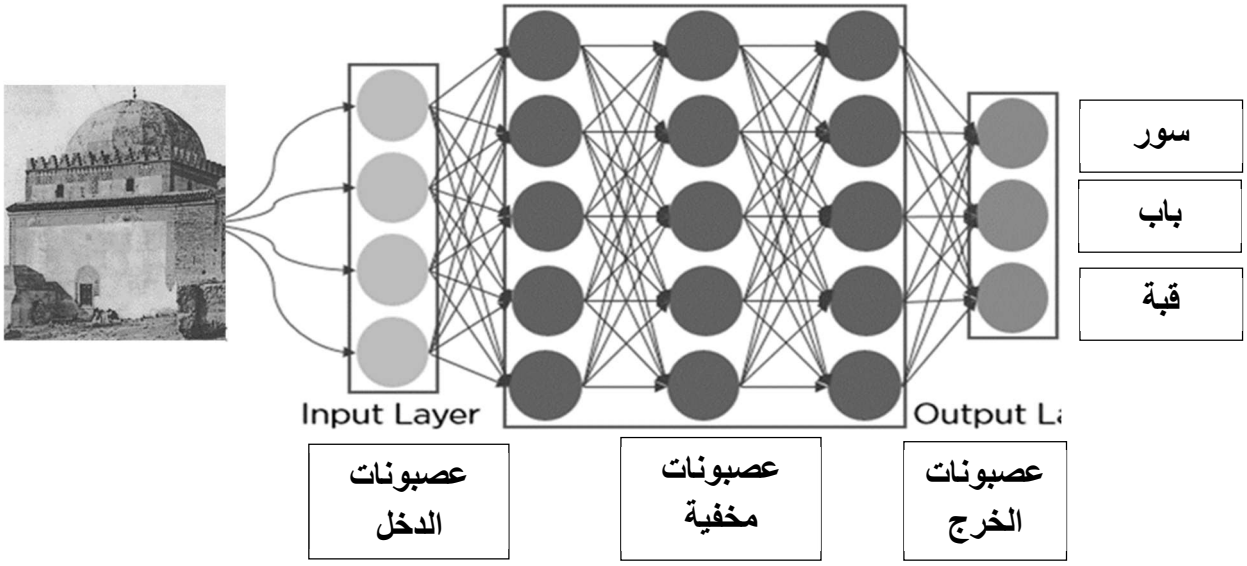

المصدر: عمل شخصي.

3. الذكاء الاصطناعي والبناء الافتراضي للمعالم التاريخية، منطقة السراغنة زمران نموذجا.

تتجلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي كما سلف الذكر في مجموعة من التقنيات، كالروبوتات، ومعالجة اللغات الطبيعية، والرؤيا الحاسوبية، تقنيات التعرف على الوجوه والصور والاشياء، تقنيات الواقع الافتراضي والمعزز ... إلخ.

هذه التقنيات وغيرها ستساهم بشكل كبير في حفظ التراث والبناء الافتراضي للمعالم التاريخية، وسنسرد في مقالنا هذا أبرز هذه التقنيات مرفقة بأمثلة تطبيقية، وسنعرج بتقنية الروبوتات، ليس من قبيل الصدفة أو اعتباطيا وإنما كون هذه التقنية أصبحت تشتغل بالذكاء الاصطناعي وتحوي جل تقنياته.

أ) تقنية الروبوتات.

تعتبر الروبوتات آلات تتشكل من ثلاث عناصر أساسية، ميكانيكي والكتروني وحوسبي أو معلوماتي، هدفها الرئيسي القيام بمهام تساعد البشر، والروبوتات ليست بالضرورة ذات شكل بشري وإنما ممكن أن تكون على شكل حاسوب، أو سيارة، أو برنامج حاسوب، أو غيرها، ولعل أفضل مثال للروبوتات الحاسوبية هو روبوت CHATGPT من شركة OPENAI وروبوت GEMINI من شركة GOOOGLE، وتدخل هذه الروبوتات في إطار ما يسمى بروبوتات المحادثة، هذه الروبوتات تتغذى على البيانات الضخمة وتتعلم منها وهي مدربة على التعبير وتوليد النصوص والصور وجميع الملفات، فهي تحدثك وتناقشك وتعطي رأيها في مجموعة من المواضيع التي تطرحها عليها.

صورة لواجهة CHATGPT من شركة OPENAI

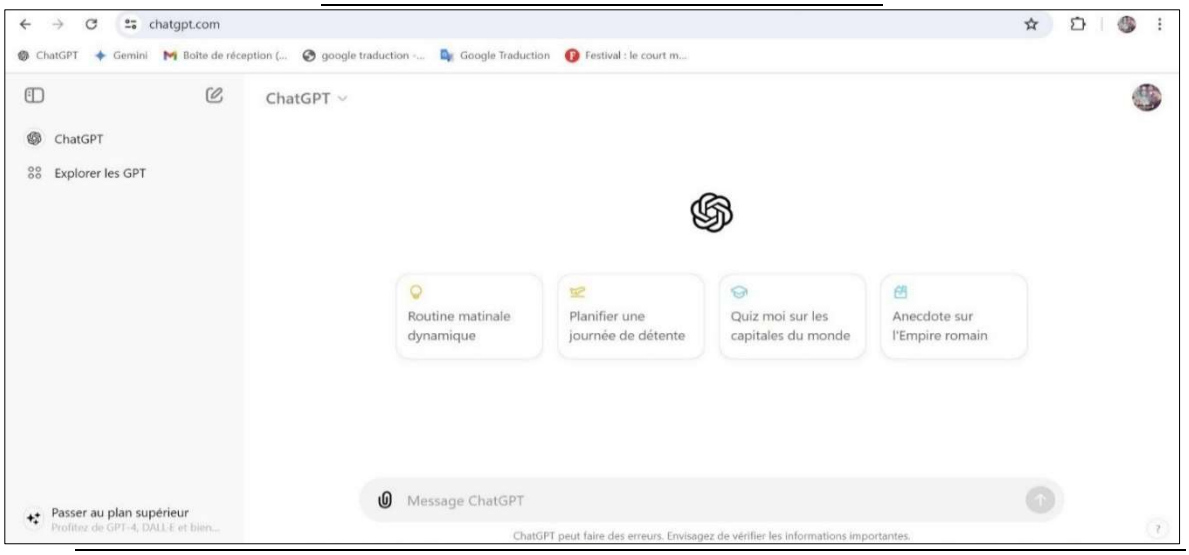

المصدر: عمل شخصي.

صورة لروبوت المحادثة GEMINIمن شركة GOOOGL

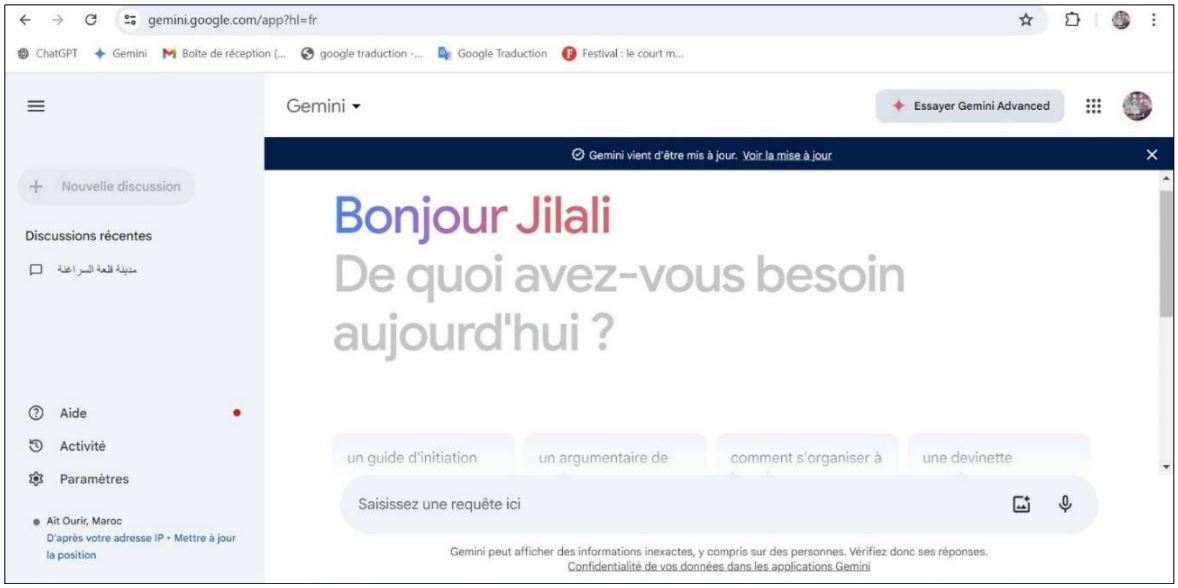

المصدر: عمل شخصي.

تلعب الروبوتات دورا كبيرا في مجال حفظ التراث والمعالم التاريخية، لقدرتها على التعامل مع البيانات الضخمة المرتبطة بالتاريخ المحلي بشكل سلس وسريع لأنها تبحث لنا في ملايين البيانات، وهذا يساعد في أمر آخر هو سهولة التأكد من شفافية وصحة البيانات التاريخية ومقارنتها ببعضها البعض والتأكد من جودتها واستنباط العلاقات بين المعلومات التاريخية لفهمها وتحليلها بطريقة عميقة والوصل لمجموعة من التنبؤات حولها.

تساعد أيضا هذه الروبوتات في تحويل الكتب التاريخية من صيغتها الورقية إلى كتب رقمية تفاعلية في إطار ما يسمى بالواقع المعزز بحيث تتيح للقارئ إمكانية الإبحار وسط البيانات غير المفهومة وإظهار صور أو توضيحات لكل كلمة غير مفهومة أو تحتاج إلى تفاصيل أكثر.

والأكثر من كل هذا أن هذه الروبوتات يمكنها أن تتخيل وتتصور لنا شكل أو صور بعض المعالم التاريخية انطلاقا من تزويدها بالنصوص الدقيقة حولها، بمعنى أنها تحول النصوص التاريخية إلى صور حسب تخيلها وتصورها، كما يمكنها أيضا قراءة الصور وتحليلها، وكذلك صنع مقاطع الفيديو انطلاقا من نصوص تاريخية وتحويلها إلى مقاطع فيديو ثلاثية الأبعاد.

تلعب الروبوتات أيضا دورا هاما في ترجمة النصوص من لغة إلى أخرى؛ فمنذ عهد ليس ببعيد كانت مواقع الترجمة الآلية ليس بتلك الدقة المتناهية وكانت تحدث بعض الأخطاء أثناء الترجمة التي تستدعي دائما التدخل البشري للتصحيح والتصويب، الآن مع ثورة الذكاء الاصطناعي في أحد أقوى تجلياتها وهي الروبوتات أصبحنا نترجم النصوص من لغة إلى أخرى بشكل رهيب وبدون أخطاء.

ب) تحليل ومعالجة الصوروالمستندات والمخطوطات:

بفضل مجموعة من التطبيقات أصبح للذكاء الاصطناعي القدرة عل تحويل الوثائق المكتوبة بخط اليد أو المطبوعة على الورق إلى ملفات رقمية قابلة للمعالجة بواسطة الحاسوب.

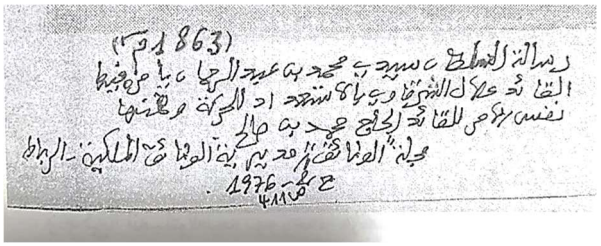	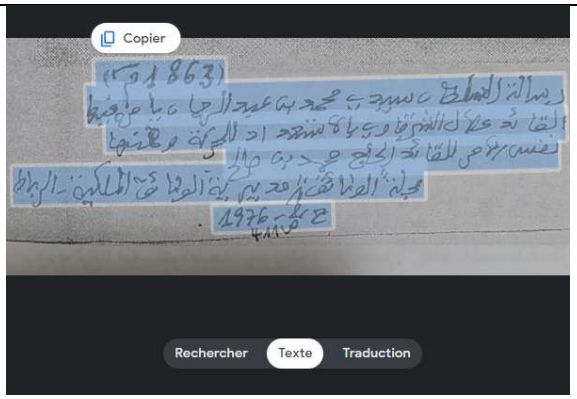
نص مكتوب بخط اليد. [1]	تطبيق الذكاء الاصطناعي يحول النص المكتوب بخط اليد إلى رقمي.

المصدر: عمل شخصي.

كما يقوم الذكاء الاصطناعي عن طريق الروبوتات بتحليل وقراءة الصور التاريخية لاستخراج المعلومات القيمة منها، وتتبع التغييرات التي طرأت عليها عبر الزمن والتعليق عليها أيضا، وفي هذا الصدد قمنا بتجريب هذه الخاصية وأرسلنا لروبوت الذكاء الاصطناعي CHATGPT صورة لمدينة قلعة السراغنة وطلبنا منه ان يعلق على الصورة وهو بالفعل ما قام به الروبوت:

1 _ الحسن شوقي، تاريخ قبيلة السراغنة، الزعامات المحلية - القواد والعمال، المكتبة الوراقة الوطنية، مراكش المغرب، ص 76.

صورة مدينة قلعة السراغنة مرفقة بالتعليق من طرف روبوت ذكاء اصطناعي CHATGPT

المصدر: عمل شخصي.

ت) تحسين جودة الصور:

بفضل الذكاء الاصطناعي ظهرت ترسانة من التطبيقات الرقمية الجيدة في مجال معالجة الصور وتحويلها من صور رديئة وغير واضحة إلى صور عالية الجودة، وقد قمنا بتجريب هذه الخصائص فأعطت نتائج رائعة:

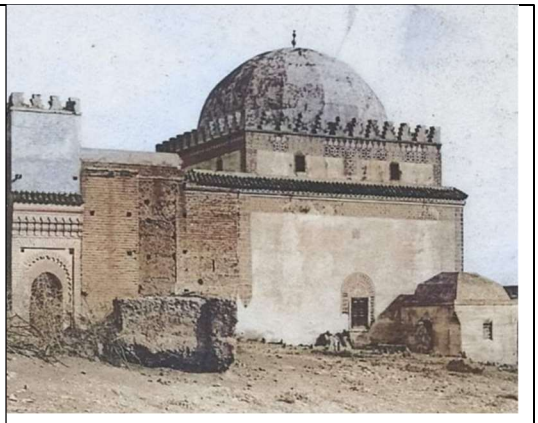	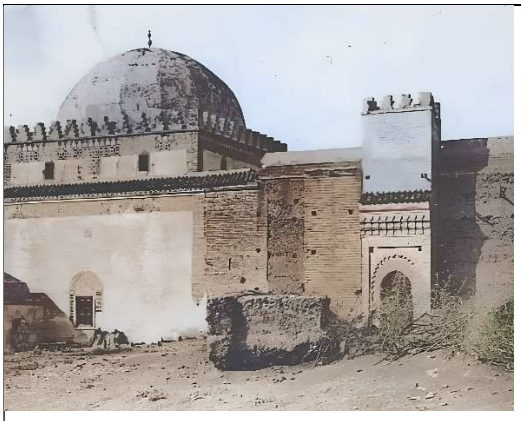
صورة قديمة من منطقة السراغنة	الصورة بعد تحسين جودتها بواسطة الذكاء اصطناعي

تحويل المعالم إلى و اقع افتراضي

اليوم أصبح للذكاء الاصطناعي قدرة رهيبة على تحسين جودة الصور وتحويلها من الأبيض إلى صور بالألوان، والأكثر من ذلك يمكن له تحويل الصور الى عدة أبعاد مما يجعلها أكثر قابلية للتحول إلى واقع افتراضي أو معزز.

صورة تاريخية	فيديو ثلاثي الابعاد بواسطة الذكاء الاصطناعي

المصدر: عمل شخصي.

ث) الو اقع المعزز:

الواقع المعزز هو من أبرز تجليات الثورة الصناعية الرابعة وهو تقنية تُدمج المعلومات الرقمية مع العالم الحقيقي لخلق تجارب تفاعلية غنية ويتيح إمكانيات هائلة لتغيير طريقة تفاعلنا مع المعلومات والواقع المحيط بنا.

صورة: مثال لروبوت محادثة يقوم بقراءة الكتب الرقمية

المصدر: عمل شخصي.

خاتمة:

إن البناء الافتراضي للمعالم التاريخية سيفرض واقعا آخر في المستقبل خصوصا مع ثورة الميتافيرس القادمة لا محالة، والتي تروم بناء عالم موزاي تلاثي الأبعاد يكون الولوج له عبر النظارات الثلاثية الأبعاد وتصبح المعالم التاريخية افتراضية كليا، يتم الحفاض عليها رقميا وزيارتها رقميا والتعرف عليها افتراضيا.

أمام هذا الزخم التكنولوجي الممزوج بثورة الذكاء الاصطناعي يجب البدء في رقمنة التراث والتاريخ والمعالم بشتى التقنيات المتاحة حتى حفظها للأجيال القادمة والحيلولة دون اختفائها.

إن التوجه نحو الافتراضي هو ثقافة وفكر قبل ان يكون مجرد تحول رقمي، لأنه في المستقبل قد يؤثر ويتأثر ويخلق مفاهيم وأفكار ونظرة مخالفة لعملية حفظ المعالم التاريخية من الاندثار.

لائحة المصادروالمراجع

_ إبراهيم مغراوي، منتزه "الحسن الأول": فضاء تاريخي بالسراغنة، جريدة هسبريس،

_ الحسن شوقي، تاريخ قبيلة السراغنة، الزعامات المحلية - القواد والعمال، المكتبة الوراقة الوطنية، مراكش المغرب.

_ زين عبد الهادي، كتاب الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة في المكتبات، الناشر: المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر.

_ شذرات من التاريخ – الموقع الرسمي للجماعة الحضرية قلعة السراغنة.

_ موقع قلعة السراغنة نحو بناء هوية ثقافية، sraghna.ma.

Détection de changement spatiale du couvert végétal (1987-2014) et ses impacts sur la stabilité des terrains du bassin versant de l'oued Ourous.

Khanniba Abdelilah[1] ; Benbouya Hassane
Laboratoire de géomorphologie, environnement et société,
Département de géographie, Faculté des lettres et sciences humaines,
Université Cadi Ayyad, Marrakech, Maroc.

Résumé :

Détecter et caractériser les changements du couvert forestier au fil du temps est la première étape vers l'identification des forces motrices et la compréhension de leurs mécanismes. En combinant les données de télédétection et d'observations de terrain, ce travail consiste à construire un portrait de la dynamique de changement (entre 1987-2014) de l'occupation du sol dans le bassin versant de l'oued Ourous (massifs d'Azrif -Anergui) au Haut Atlas central.

L'élaboration des cartes d'occupation du sol a été mise en œuvre par une classification supervisée à partir d'un échantillon d'apprentissage et par une validation de 120 points. Ensuite, on a procédé à une comparaison « Wall to Wall » pour pointer les zones prioritaires d'intervention (hotspots areas), celles peu dynamiques ou stables. Sur une période d'observation de 23 ans, les taux moyens de changement estimés montrent que la forêt, peu ouverte, perd annuellement 1,34 % (3,87 ha). Le matorral, peu ouvert quant à lui, perd annuellement 0,65 % (10,26 ha). Ces terrains autrefois colonisés par ces deux formations qui se sont transformées par un processus de dégradation au profit des matorrals très ouverts, dont leur superficie s'accroît annuellement de 5,2 % (28 ha/an). Finalement, le bassin versant de l'oued Ourous connaît une dynamique active de dégradation des écosystèmes forestiers due à différents facteurs anthropiques de sur-usage des ressources déjà très limitées dans la zone. Cette situation se trouve aussi amplifiée par les conditions hydriques et climatiques devenues de moins en moins régulières.

Dans son ensemble, cette étude permet de disposer d'une base de données géographiques du bassin versant de l'oued Ourous. Maintenue en perpétuelle mise à jour, elle constitue un système de veille pour détecter les zones de forte dégradation et aussi un système d'aide à la décision pour orienter les plans d'aménagement du bassin versant.

Mots clés : dynamique de l'occupation du sol, érosion, Bassin versant, télédétection, SIG, Landsat (MSS, OLI-TIR).

متابعة التغيرات المجالية للغطاء النباتي و انعكاساتها على استقرار الأراضي بالحوض المائي لواد أوروس

ملخص:

يعد رصد وتتبع التغيرات المجالية للغطاء النباتي عبر فترات زمنية طويلة، الخطوة الأولى نحو الكشف عن الأسباب الحقيقة لهذه التغيرات المجالية وفهم آلية اشتغالها. يتطلب هذا الأمر بناء تصور للدينامية المجالية لمختلف أشكال (ما بين سنتي 1987و 2014) استخدام الأراضي في الحوض المائي لواد أوروس بما فيها المجالات الغابوية (غابة أزريف أنركي)، وذلك من خلال الجمع بين بيانات الاستشعار عن بعد والمعاينة والتحقق الميدانيين.

تم الحصول على خرائط لاستخدام الأراضي عن طريق التصنيف المراقب باستخدام عينات عشوائية ثم التحقق من صحة نتائجها ميدانيا باعتماد 120 نقطة مراجعة. انتقلنا بعدها إلى رصد التغيرات المجالية بمقارنة الخرائط المتحصل عليها، مع تحديد مجالات التدخل ذات الأولوية (مناطق النقاط الساخنة HotSpot)، بالإضافة إلى الأقل ديناميكية أو المستقرة. تظهر عمليات التتبع والرصد خلال فترة مدتها 23 عامًا، أن متوسط معدلات التغير بالنسبة للغابة الأقل انفتاحا تقدر ب 1.34٪ سنويًا حيث نفقد 3.87 هكتار من الغابة الكثيفة، بينما تفقد الغابة المفتوحة ٪0.65 سنويًا (10.26 هكتار). تدهورت الغابتين السابقتين لتحتل مكانها غابات الماطورال التي ازدادت مساحتها سنويًا بنسبة 5.2 ٪ (28 هكتار / سنة). تشهد أراضي حوض واد أوروس دينامية نشطة تتجلى في تدهور النظم الإيكولوجية للغابات بسبب عوامل بشرية المنشأ، بسبب الإفراط في استخدام الموارد الغابوية لتوفير حاجيات الساكنة المحلية، بالإضافة إلى التقلبات التي تعرفها التساقطات المطرية نتيجة التغيرات المناخية التي يشهدها العالم.

توفر هذه الدراسة قاعدة بيانات جغرافية للحوض المائي لواد أوروس، حيث يتم تحديثها باستمرار، مما يشكل نظام مراقبة للكشف عن مناطق التدهور الشديد ونظام دعم القرار لتوجيه خطط التنمية للحوض المائي المدروس.

الكلمات المفتاحية: دينامية الغطاء النباتي، التعرية، الحوض المائي، الاستشعار عن بعد، نظم المعلومات الجغرافية، لاندسات (MSS، OLI-TIR).

Introduction

Les reliefs et le climat marocain ont conditionné l'existence d'une grande richesse floristique et faunistique, considérée parmi les plus importantes du bassin méditerranéen (Benzyane 2007). Rapporté à la surface du Maroc, le domaine forestier représente 11.4% du territoire national. Il joue un rôle déterminant au niveau de protection des sols contre l'érosion, à la conservation des eaux, à la couverture de 30% des besoins

en bois d'œuvre et d'industrie, à la contribution de 30% au bilan énergétique et de 17% aux besoins alimentaires du cheptel national et à la création d'emplois à hauteur de 100 millions de J.T/an (FAO 2010).

Cependant, La forêt marocaine est soumise à des variations climatiques marquées par une aridité croissante et des périodes de sècheresse récurrentes et prolongées, parfois dépassants 6 mois, et à des formes d'exploitation excessives et multiples tels que l'abus de l'exercice des droits d'usage, les prélèvements du bois du feu (10 millions de m3/an), le surpâturage, le défrichement et la mise en culture (6 000 ha/an) (HCP 2006).

Les écosystèmes montagnards marocains sont caractérisés par leur grande fragilité. Le rythme de la dégradation de la couverture végétale des écosystèmes forestiers s'accélère en fonction de la croissance démographique rurale et des changements climatiques. Cela remet en question la durabilité des ressources forestières et le développement socio-économique des espaces ruraux.

La forêt d'Azrif-Anergui au Haut Atlas central ne s'éloigne pas de ces contraintes. D'une part, la superficie de la forêt peu ouverte perd annuellement 1,34 % (3,87 ha/an). D'autre part, la superficie du matorral très ouverts s'accroît annuellement de 5,2 % (28 ha/an) dû à la pression anthropique fondée sur une économie de subsistance.

Le présent travail est mené sur le massif forestier d'Azrif-Anergui qui fait partie dans sa majorité du bassin versant de l'oued Ourous, l'un des principaux affluents de l'oued Tessaout à l'amont du barrage Moulay Youssef au Haut Atlas central (figure :1). Ce massif forestier couvre une superficie de 18 997 ha. Ils se localisent dans la province d'Al Haouz. Ils s'étendent sur le territoire de trois communes rurales d'Ait Hkim, Ait Adel et Abadou. Ils sont délimités en 1939 par l'arrêté viziriel du 14/09/1998. La zone d'étude est caractérisée par un milieu très accidenté d'une altitude moyenne de 2164.5 m et par une topographie à pentes fortes dépassant 25°. La pluviométrie est caractérisée par son irrégularité. Les moyennes annuelles varient de 435 mm/an à la station d'Azrif à 514 mm/an pour la station de Toufliht. Le bioclimat de la région varie du subhumide à variante fraiche à froide. Par ailleurs, la lithologie du bassin est constituée

principalement par des calcaires, marnes, argiles rouges et localement par des formations de quaternaire. L'utilisation des terres s'articule principalement autour de la céréaliculture, le pâturage et l'exploitation de la foret.

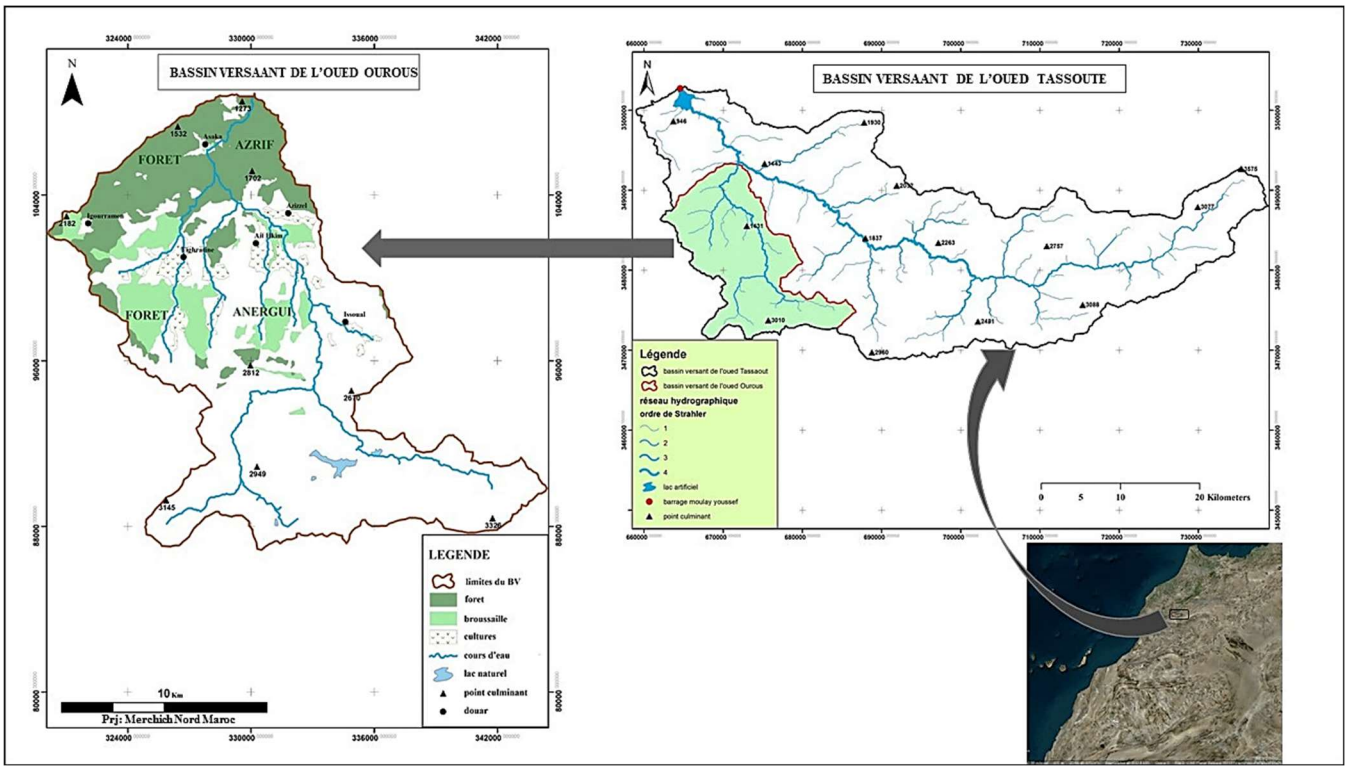

Figure 1 : Zone d'étude

La zone étudiée a fait l'objectif de plusieurs études comme : l'aménagement du bassin versant de l'oued Tessaout en amont du barrage Moulay Youssef (DEFMARA 1976) et l'aménagement de la foret d'Azrif et Anergui (DREFHAM 2003), mais aucune étude n'a utilisé l'outil de la télédétection pour suivre la dynamique du couvert végétal afin de détecter l'ampleur de la dégradation de ces massifs forestiers st surtout la foret d'Anergui qui a subi une exploitation intensive au long de 27 ans.

Matériels et méthodes

Pour cette étude, le choix des images satellitaires est basé sur les critères suivantes : la couverture de la zone étudiée, la résolution spatiale (30m), les années (1987-2014) et la saison de prise du vue (juillet).

- Image Landsat TM 10 /07 / 1987
- Image Landsat 8 OLI-TIRS 04 /07 / 2014

Tout d'abord, les images choisies, d'une langueur de 185 km et une largeur de 170 km, ont une taille appropriée pour couvrir à la fois le bassin versant de l'oued Ourous et les massifs forestiers ciblés. Ensuite, les images multispectrales, à haute résolution spatiale de Landsat (visible et infrarouge 30m ; panchromatique 15m), permettent d'observer des paysages hétérogènes et d'effectuer des suivis spatiaux détaillés de l'occupation du sol sur des échelles temporelles décennales (1987-2014), voire interannuelles. Le mois juillet a été sélectionné en vue de la réduction de l'impact négatif de la couverture nuageuse et de l'ombre crée par les versants accidentés sur les valeurs obtenues ; parce que cette période de l'année se caractérise par des rayons du soleil qui sont perpendiculaires avec la surface terrestre. En outre, cette dernière connait une disparition de la canopée herbeuse du printemps et une exposition directe des terres labourées après la fin de la récolte des céréales. Ce qui nous permet de distinguer le couvert végétal forestier des autres catégories d'occupation du sol (les cultures, les parcours, les sols nu, etc.).

Le suivi du changement de l'occupation du sol a été mise en œuvre à partir de l'interprétation des images satellites Landsat (1987 – 2014), des données auxiliaires comme les cartes des types de peuplement issues des aménagements forestiers de 1994 et 2003 et les observations du terrain. L'élaboration des cartes d'occupation du sol a été mise en œuvre par classification supervisée sur Erdas Imagine utilisant un échantillon d'apprentissage et une validation de 120 points. Ensuite, on a procédé à une comparaison « Wall to Wall » pour identifier les dynamiques du changement en cours et pour déterminer les zones stables ou peu dynamiques.

Les cartes de risque d'érosion ont été élaborées à partir des principaux facteurs du milieu physique (nature de la roche mère, le type et la densité de la couverture végétale, la pente et la longueur des versants). Utilisant une approche spatiale, ces facteurs ont été pondérés et intégrés dans une évaluation multicritère pour produire une échelle de 4 niveaux décrivant la gravité de l'érosion hydrique.

La figure :2 ci-dessous illustre les stades d'élaboration les cartes d'occupation des sols et d'érosion potentiel :

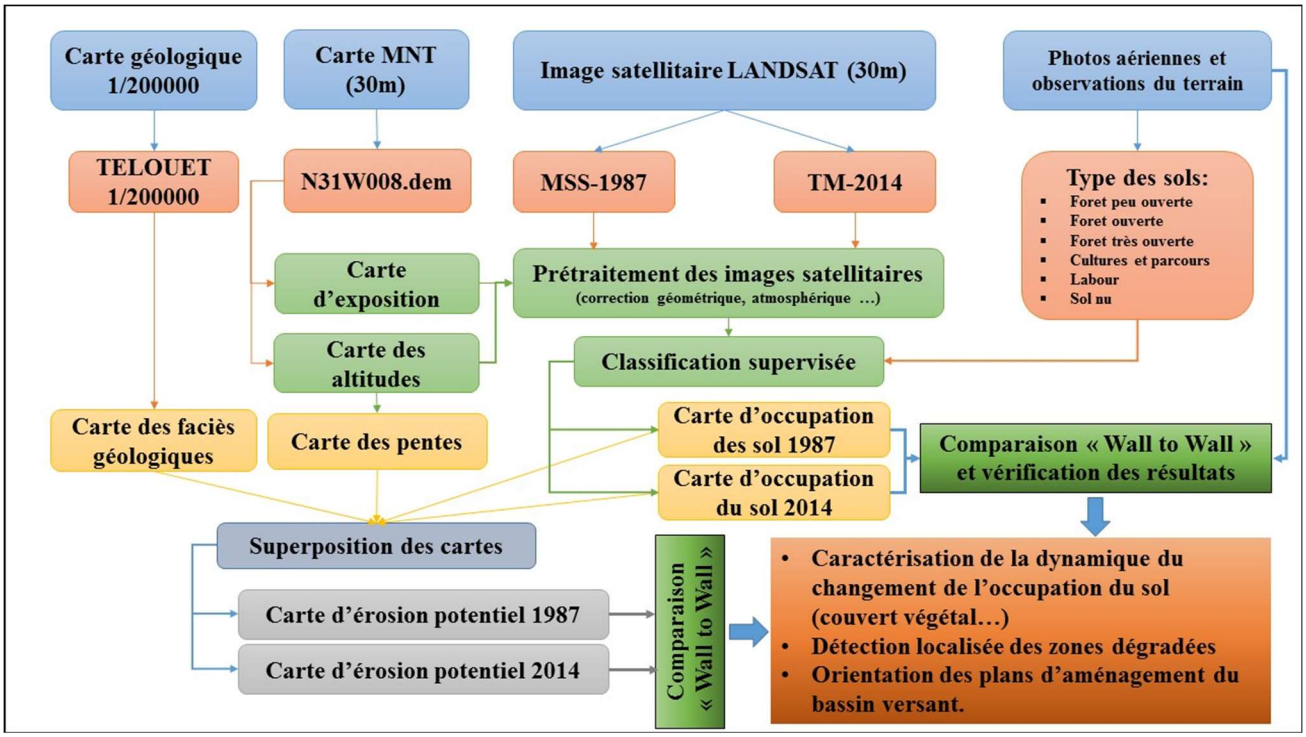

Figure 2 : organigramme de l'élaboration des cartes d'occupation des sols et d'érosion potentiel

Résultats et discussions

L'analyse de l'évolution de l'occupation du sol a passé par la présentation de la carte de 1987 et celle de 2014 (figure :3), ainsi que de leurs statistiques respectives. Une comparaison « wall to wall » des deux cartes d'occupation du sol du bassin versant d'oued Ourous, entre 1987 et de 2014, permettra la détection du changement spatial des différents types d'occupation du sol et rendra possible la focalisation des zones où le couvert végétal a été dégradé et les zones ont été encore protégées.

Les taux de changement estimés par l'analyse diachronique des données de télédétection entre les années 1987 et 2014 montrent que (figure3) :

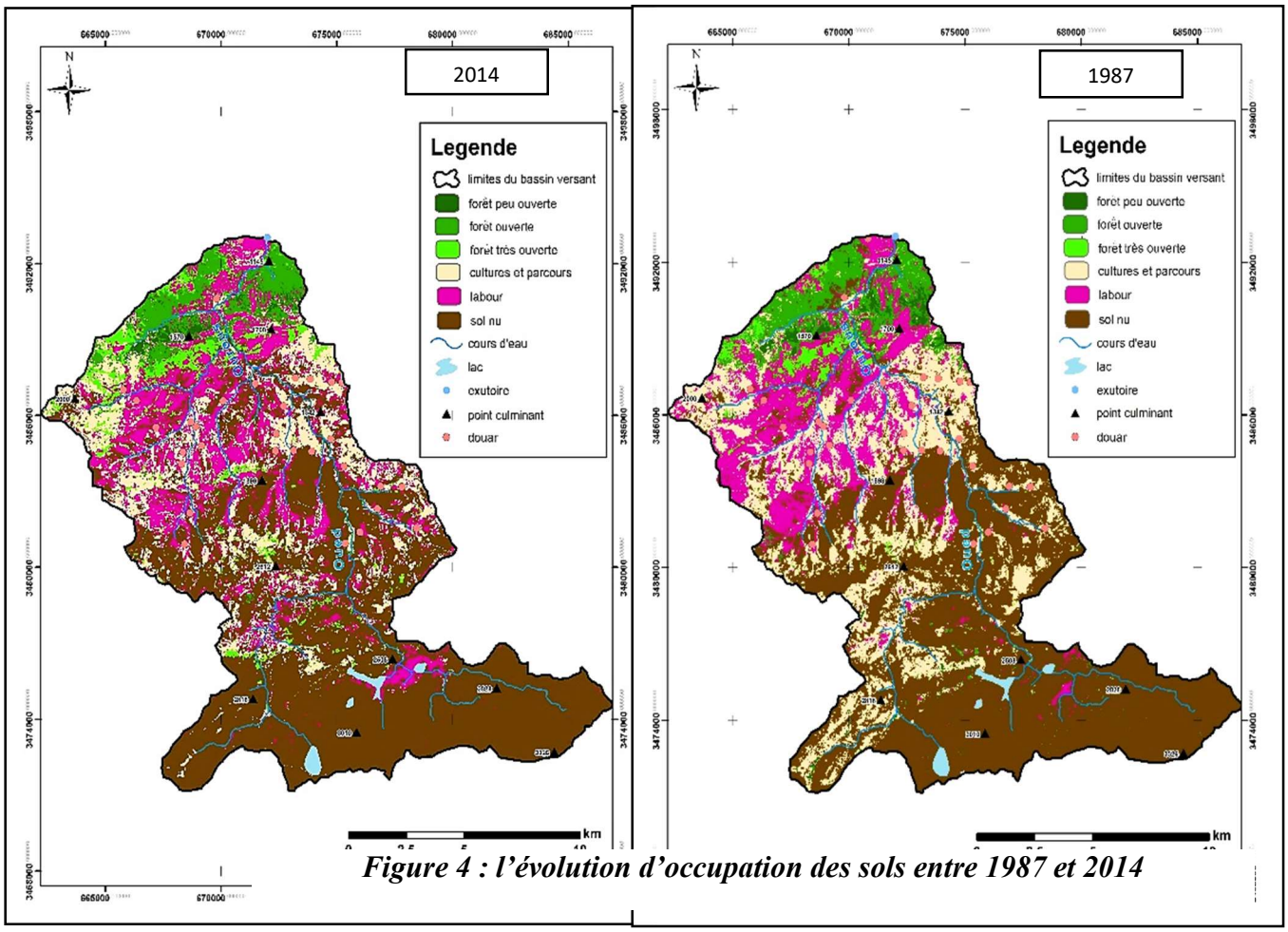

Figure 4 : l'évolution d'occupation des sols entre 1987 et 2014

Figure 3 : l'évolution d'occupation des sols entre 1987 et 2014

La forêt peu ouverte perd annuellement 1,34 % (3,87 ha), le matorral peu ouvert quant à lui perd annuellement 0,65 % (10,26 ha). Ces terrains autrefois colonisés par ces deux formations se sont transformés par un processus de dégradation au profit des matorrals très ouverts dont leur superficie s'accroit annuellement de 5,2 % (28 ha/an). Les terrains de culture et de pâturage (Azib) ont été reculés de 5387ha à 4133 ha en faveur des terrains de labour qui s'étendent de 8% (65 ha) suite à une surexploitation de ces milieux. Les sols nus ont aussi connu une augmentation de 1.4% aux alentours des douars.

La dynamique enregistrée de l'occupation du sol dans la zone d'étude ne cesse pas de s'accélérer à la suite de la surexploitation des ressources forestières à différentes usages par les douars voisinants, qui a

entrainé un recul de couvert végétal surtout dans la forêt d'Anergui ou les versants sont presque dénudés de toute végétation forestière. Parmi les activités anthropiques enregistrées de la zone d'étude qui ont contribué à la répartition spatiale du couvert végétale. On cite :

.1. Prélèvement du bois

Au niveau de la zone étudiée, on notera que tous les massifs forestiers du bassin versant d'oued Ourous sont soumis à la même pression sauf Anergui qui est très surexploitée. Le bois feu constitue le principal prélèvement effectué par la population locale. Il présente l'une des principales sources énergétiques de la zone d'étude. La part du bois comme source d'énergie est de :

- Bois de feu : 96.4%
- Charbon de bois : 3.1%
- Bois de service : 0.5%

D'après la même étude, on constate que les prélèvements annuels dans la région d'Azrif-Anergui s'élèvent à 8708.6 tonnes de bois de feu par an (DREFHAM 2003). Ce qui correspond à environ 2.75 tonnes/ménage/an. En revanche, une part prélevée assez importante (2403.6 t) provient des arbres fruitiers (DREFHAM 2003).

La zone d'étude confronte un grand défi face aux plusieurs contraintes liées au milieu physique, cela rend les possibilités d'utilisation d'autre sources énergies très réduites.

.2. Le surpâturage

L'élevage dans la zone étudiée est considéré comme une activité importante et complémentaire dans le processus de fonctionnement des exploitations agricole et aussi dans le cadre de l'exploitation des ressources forestières.

La forêt est la principale source pastorale pour le cheptel dans toute la zone d'étude. Le cheptel (bovins, ovins, caprins) dans la région d'Azrif et Anergui comporte plus de 68000 têtes sans oublier de mentionner que

le troupeau des équidés se compose de 3642 têtes. Les ovins (Photo 1) sont les plus nombreux (37653 têtes). Mais les caprins, pourtant beaucoup moins représentés (20017 têtes), sont les plus dévastateurs, du fait qu'ils peuvent se nourrir des branches des arbres (DREFHAM 2003).

En outre, Benabid (2000) estime que la charge pastorale excessive et incontrôlée est très nuisible aux arbres. Elle prélève une quantité très importante de la biomasse. Elle empêche aussi, par le broutage et le piétinement, toute régénération naturelle des peuplements de chêne vert, et entraîne la disparition ou la réduction considérable d'un grand nombre d'espèces végétales palatables tandis qu'elle favorise la multiplication des espèces envahissantes et toxiques. Le piétinement contribue aussi au tassement des sols qui deviennent non favorables au développement des jeunes semis.

.3. Carbonisation

La carbonisation du bois est un problème majeur dans la zone d'étude. Il contribue d'une manière significative à la dynamique régressive du massif forestier d'Azrif-Anergui par l'exploitation intensive des racines du chêne vert. La carbonisation est perçue par la population locale comme un moyen de survie et comme une activité secondaire capable de faire une compensation face au manque de bénéfice engendré par l'agriculture et l'élevage.

La fabrication du charbon du bois au nord d'Afrique n'est pas réalisée dans les meilleures conditions, elle risque de compromettre toute l'opération, étant donné qu'un mauvais rendement de la carbonisation risque de se répercuter sur l'ensemble de la chaîne sous la forme d'accroissement des coûts et de gaspillage des ressources (Roose et al 2010).

Pour extraire une quantité de 7 Qx, elle nécessite 5700 arbres avec un diamètre de 0.5 m (Benali Gassmi 1998). La moyenne annuelle des quantités prélevées et désignées la carbonisation tourne au tour de 75 qx (DREFHAM 2003).

Une partie de ce charbon est autoconsommée mais la grande quantité est destinée à l'approvisionnement des marchés hebdomadaires locaux de Sidi Rahhal et Demnate.

.4. Les feux de forêt

Dans les forêts d'Azrif et Anergui, l'incendie est un fléau rare. En effet. L'étendue des surfaces parcourues par le feu est négligeable soit un peu moins de 5 ha, en raison d'énormes risques (carbonisation) qui pèsent sur la forêt (DREFHAM 2003).

Les conditions du milieu physique de l'espace forestier d'Azrif et Anergui présente des aptitudes favorables à la manifestation des incendies. En outre, la propagation et l'intensité de ces derniers dépendent à certains facteurs : la topographie, la direction du vent et le type de la végétation. Le chêne vert est l'essence la plus menacée par les incendies à cause de son abondance dans la zone d'étude et sa vulnérabilité au feu.

D'après les services forestiers locaux, en 1995 le feu a ravagé 76 arbres de diverses espèces. De plus, des incendies désastreux ont consumé environ 60 stères en 1990.

Année	Cause	Essence	Surface	Dégâts
1987	Carbonisation	Chêne vert Genévrier rouge Genévrier oxycèdre Arbousier	0.9 ha	76 arbres
1990	Mégot de cigarette	Chêne vert Genévrier rouge	3.15 ha	60 stères
1992	Carbonisation	Chêne vert Genévrier rouge	1.5 ha	12 stères

Tableau 1 : incendies déclenchés entre 1987 et 1992.DREFHAM 2003

Ces incendies se déclenchent pendant la période d'été notamment aux mois de juillet, aout et septembre où la température moyenne dépasse les 35°c. il est donc impératif de prévenir toute éventualité d'incendie dans cette zone par la mise en place d'équipement nécessaire comme la création

de postes vigies pour une intervention rapide. Ajoutant qu'une bonne politique préventive par la sensibilisation de la population locale peut diminuer la probabilité des risques d'incendie.

En conclusion le bassin versant de l'Oued Ourous connaît une active dynamique de dégradation du milieu forestier et agronomique due à différents facteurs anthropiques de sur-usage des ressources très limitées dans la zone.

.5. L'érosion hydrique

Les cartes produites de risque potentiel d'érosion (figure :4) basée sur la superposition des cartes des pentes, des faciès géologiques et de l'occupation des sols. Les indices suggérés a permis de visualiser différentes zones en quatre niveaux de vulnérabilité à l'érosion hydrique : faible, moyen, fort et très fort (Elaloui :2015). Les résultats obtenus correspondent bien aux observations qui ont été faites sur le terrain. Les secteurs qui présentent des risques d'érosion fort et très fort occupent 80% de la superficie totale du bassin versant et qui ne cessent plus à augmenter au long de période étudiée, suivie par la classe d'érosion moyen qui couvre 16.4% (3868 ha) du bassin puis par les zones où l'érosion potentiel est faible et qui ont vu un rétrécissement successif.

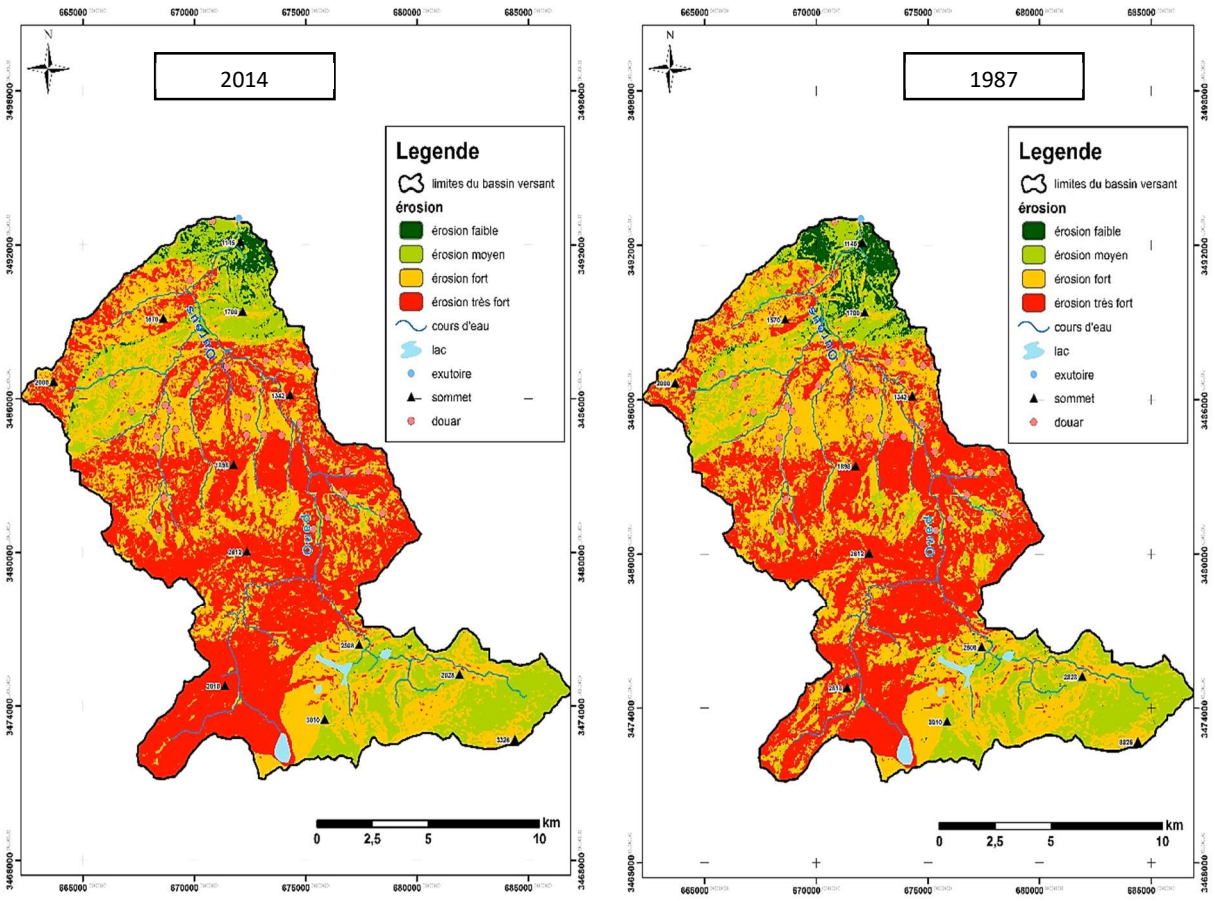

Figure 5 : l'évolution de l'érosion potentiel entre 1987 et 2014.

Globalement, La carte de risque potentiel d'érosion montre que les zones à grands risques d'érosion correspondent particulièrement aux terrains avec un taux de friabilité des sols assez élevé et un taux de recouvrement faible à très faible. On constate que l'érosion s'avère active et apparente sur plus des 3/4 du bassin versant (80% de la superficie de risque potentiel d'érosion fort et très fort).

Ce bassin versant est sujet à une dynamique érosive intense dont les modalités sont très variées. Les conséquences de cette situation se font nettement sentir en aval et la capacité de rétention du barrage Moulay Youssef ne cesse de diminuer. Le lac du barrage reçoit annuellement environ un million 250 mille tonnes de terres par an correspondant à une parte (envasement) annuelle de 0,6 à 1 % de la capacité totale de rétention. En effet, celle-ci est passée de 200 millions m^3 en 1971 à 140 millions m^3 en 2012 (ONEEP 2012). Cette tendance régressive de la capacité de rétention du barrage condamnera dans un future proche son utilité comme

infrastructure d'irrigation d'environ 50562 ha du périmètre du Haut Tassoute et sa capacité de génération de l'électricité (AHT GROUP AG - RESING 2016).

Conclusion

Cette étude a permis de faire un suivi de la dynamique de changement de la couverture forestière du bassin versant de l'oued Ourous sur une période 23 ans. Elle a permis de pointer les zones caractérisées par un fort rythme de changement de la couverture végétale, permettant de focaliser les efforts et fédérer les moyens dans le cadre d'une approche intégrée de gestion du territoire pouvant impliquer le HCEFLCD, l'Agriculture, l'Agence du bassin hydraulique, etc.,

En matière de conservation des sols cette étude dégage les premiers résultats de caractérisation des formes de dégradation des terres et des risques potentiels d'érosion dans le bassin versant de l'Oued Ourous. En outre une estimation de la durée de vie du barrage de Moulay a été réalisé à titre indicatif pour tirer la sonnette d'alarme sur les risques encourus par cette infrastructure primordiale pour toute l'activité agricole de bas Tassaout.

Bibliographie

- AHT GROUP AG – RESING (2016) : Diagnostic du sous-bassin de Tassaout, Rapport final, Programme d'appui à la gestion intégrée des ressources en eau, ministre de l'Energie des mines de l'eau et de l'environnement.
- Benabid A. (2000) : Flore et écosystème du Maroc : évaluation et préservation de la Biodiversité. Ibis Press, Paris, 357 p.
- Cheggour Aouatif (2008) : mesures de l'érosion hydrique à différentes échelles spatiales dans un bassin versant montagneux semi-aride et spatialisation par des S.I.G. : Application au bassin versant de la Rhéraya, Haut Atlas, Maroc ; thèse pour obtenir le grade de docteur, faculté des sciences Semlalia ; Marrakech.
- DEFMARA (1976) : Etude de l'aménagement intégré du bassin versant de la Tessaout en amont du barrage Moulay Youssef, Direction des Eaux et Forêts du ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire, 1996.
- DREFHAM (2003) : étude d'aménagement de la foret d'Azrif et Anergui.
- Direction des eaux et forêts et de la conservation des sols (1976) : aménagement du bassin versant de la Tessaout en amont du barrage Moulay Youssef ; le secteur agro-pastoral.
- Elaloui et al (2015) : Mise en place d'un modèle qualitatif pour la cartographie des zones à risque d'érosion hydrique dans la chaîne atlasique : cas du bassin versant de la Tassaout amont. Haut atlas central, Maroc, European Scientific Journal, ESJ, 11(29).
- Éric Roose, Mohamed Sabir et Abdellah Laouina (2010) : gestion durable des eaux et des sols au Maroc, valorisation des techniques traditionnelles méditerranéennes, IRD Éditions, Marseille.
- FAO (2010) : Evaluation des ressources forestières mondiales, rapport national Maroc, FRA2010/139, Rome
- HCP (2006) : Gestion durable des ressources naturelles et de biodiversité au Maroc, Prospective Maroc 2030.
- Mohamed Benzyane (2007) : la gestion durable des ressources forestières au Maroc : quelle stratégie ? forêt méditerranéenne ; Tome.XXVIII, n°1.
- ONEEP (2012) : Usine de production d'électricité du barrage Moulay Youssef ; rapport annuel ; Ait Adel ; Marrakech.

عرف مجال تساوت العديد من التحولات العامة؛ إذ تميزت منذ القديم باستقرار سكاني، جعلها تعرف دينامية وحركية مستمرة، وميزتها بتراث مادي ولا مادي غني، وتعود تسمية المجال بتساوت حسب ثلة من المؤرخين، إلى أصله الأمازيغي والتي تعني الأطراف والتخوم، ويخترق هذا المجال واد تساوين، وهو عند مارمول كاربخال في كتاب أفريقيا "نهران ينبعان من عينين في جبل غجدامة (الأطلس الكبير) يصبان في واد العبيد"، في حين يرجع الحسن الوزاني في كتابه وصف إفريقيا تساوين إلى: "جبلين بجوار بعضهما البعض، ينبع منهما نهر يجري في سهل بديع ."

أما على المستوى المجالي فقد عرف مجال تساوت عدة تطورات، تتنوع بين الامتداد والتراجع، وبين القوة والضعف، بسبب الوقائع التاريخية التي مر منها باعتباره مجاورا لمدينة مراكش التي حظيت باهتمام الدول المتعاقبة على حكم المغرب. ومن أبرز التحولات التي عرفها مجال تساوت هي تأسيس مدينة قلعة السراغنة، كعاصمة له، كما قال الباحث الحسن شوقي: "إذا كانت مصر هي هبة النيل، فالسراغنة هي هبة تساوت". وقد لعبت هذه القلعة منذ تشييدها دورا استراتيجيا تمثل في مراقبة القبائل المجاورة لها وضبطها، إلى جانب دورها التجاري؛ حيث كانت مركزا لمرور واستراحة القوافل القادمة من الجنوب نحو فاس.

ويزخر هذا المجال بالعديد من الموارد الطبيعية والبشرية القادرة على خلق دينامية وتحقيق التنمية به، وهو ما جعله وجهة لاستقرار التيارات البشرية المتنقلة خاصة خلال سنوات الوفرة؛ إذ يسهم توفر المياه به وخصوبة تربته، في ارتفاع كثافته السكانية، وتعايش العديد من التيارات البشرية المختلفة، حسب العرق (أمازيغ وعرب) وحسب الديانة (مسلمين، يهود، مسيحيين)، كما تتميز المنطقة بالنشاط الفلاحي الذي يعتبر نمط عيش سكان تساوت بامتياز، واشتهرت بزراعة الشعير والقمح والحبوب، بالإضافة إلى تعاطي سكانها أنشطة حرفية وصناعية أخرى.

واشتهر مجال تساوت عبر تاريخه كقبلة للأولياء؛ إذ لا تزال قبورهم المنتشرة بمجاله شاهدة على ذلك. ولعلها الأصل في تسمية المدينة بالسراغنة وهي كلمة أمازيغية تعني الشرفاء، نظرا لانتشار دور القرآن التي كانت الحناجر تصدح بقراءته وتعليمه فيه إلى يومنا هذا .

إن عمق هذه الدينامية المجالية والخصوصية التاريخية للمجال، والخوف من تلاشي آثارها المادية وغير المادية المشكلة لها، جعلنا نهتم بتوثيقها في كتاب جماعي، يؤرخ لهذه التحولات، ويشخص واقعها الحالي، ويساعد في وضع استراتيجية محلية لتنمية مجال تساوت.

عن لجنة التنسيق

" التاريخ، الفن، العمران والرأسمال اللامادي:في إطار مشروع "قلعة السراغنة.. نحو بناء هوية ثقافية

بدعم من وزارة الشباب والثقافة والتواصل قطاع الثقافة

المملكة المغربية
وزارة الشباب والثقافة والتواصل
قطاع الثقافة
Royaume du Maroc
Ministère de la Jeunesse, de la Culture et de la Communication
Département de la Culture

قلعة السراغنة
نحو بناء هوية ثقافية
التاريخ، الفن، العمران والرأسمال اللامادي